

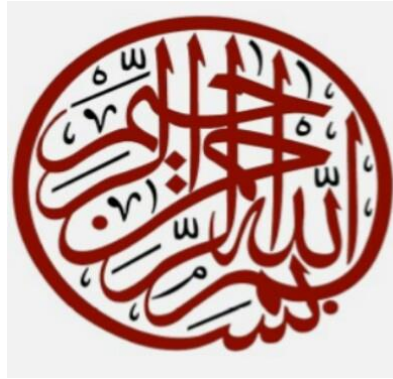
تَحْفَتُ الْإِخْوَانِ

بَذَكَرْ أَهْمُ

مُعَارِكُ وَغَزَوَاتِ رَمَضَانَ

تَالِيفُ /

أَبِي الْعَبَّاسِ مَنصُورِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ الْحَمْدِيِّ



حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى - ١٤٤٥ هـ



تقريظ الشيخ / فيصل الحاشدي لكتاب تحفة الإخوان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

أما بعد:

من فيصل الحاشدي إلى أخيه الشيخ / منصور المجيدي.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ونحمد الله الكريم إليك ونسأله لنا ولكم الفقه في الدين، والثبات على الحق

المبين.

أي أخي الكريم وصلتني رسالتك الموسومة ب (تحفة الإخوان بذكر أهم

معارك وغزوات رمضان).

فخلوت بها خلوة العاشق، وسامرتها مسامرة الحبيب، فاضحك تارة

وتتساقط الدموع من الأجفان تارة، لأنها تجري في الخواطر كما تصعد في الشجر

قطرات الماء، فتسمو همتي وإخال أني مع الأبطال في مقدمة الصفوف اضرب

بالسيف طلباً للثواب.

لأن تحفتك يا شيخ تحفة قادم، ودواء مريض، وواسطة قلادة، وزاد مسافر،

وقوت مقيم، وعروساً زفت إلى الدنيا، فأشرق جهاها أسلوباً، وتحقيقاً، وجودة.

كتابك تحفة التاريخ فنّاً
تألق حسناتها وأضياء حتى
وغرد للجمال وقد تجلى
ومن حمل اليراع وكان جلدًا
يا شيخ في البيان عي، وفي التعبير عجز، وفي الوصف قصور ، والعذر يقع
لطالبه وملتمسه، وأظنه قد وجب.

جرى القلم بما تقدم

وكتبه فيصل الحاشدي

مدينة القاعدة محافظة أب - اليمن



مقدمة المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾ [الأحزاب: ٦٩ - ٧١].

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

فقد يسر الله أثناء تدريسي في مسجد أبي بكر الصديق في مدينة جعار محافظة أربيل لقاء سلسلة من الدروس منها دروس في شهر رمضان المبارك لعام ألف وأربعمائة وثلاثة وأربعين للهجرة النبوية بعد عصر كل يوم بعنوان : (غزوات ومعارك رمضان) تحدثت عن كثير من الغزوات والمعارك التي حدثت في شهر رمضان على مر العصور ابتداءً بما جرى في زمن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ثم بعض ما جرى في زمن الصحابة ومن بعدهم إلى زمننا هذا باختصار شديد وإنما ذكرت أشهر وأكبر الغزوات والمعارك الرمضانية وإلا فالعدد أكثر مما ذكرت بكثير والقصد أخذ العبرة وليس قصدنا الحصر وقد ختمت ذلك بذكر بعض المعارك العصرية التي وقعت بين المسلمين والكفار من اليهود الغاصبين لأرض فلسطين ولما كان ذلك لم يحصل إلا بجهد كبير وجمع لمادة الموضوع من مراجع عدة ومصادر كثيرة بدا لي إخراجها على شكل كتاب لعل الله ينفع بها الإسلام والمسلمين .

تنبيهات:

١ - الغزوات والمعارك الرمضانية كثيرة وإنما تحدثت عن أكبرها وأشهرها كما سبق الإشارة إلى ذلك .

٢ - كلامي عن الأحداث كسرّ تاريخي بغض النظر عما يكون عليه بعض القادة أو الفاتحين من أمور أو مخالفات فلا يعني ذكري للقائد أو الفاتح الفلاني

التزكية له من كل الوجوه أو الموافقة أو الدفاع عن معصية أو بدعة وقع فيها فأنا أبرأ إلى الله من كل مخالفة لهدي النبي - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - قولاً كانت أو فعلاً معصية كانت أو بدعة

٣ - سأحاول جاهداً التركيز على ما صح وسأبذل جهدي ولا ألو فإن وافقت صواباً فمن الله وحده وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان والله ورسوله منه بريئان والله المستعان .

٤ - قد أتعرض لرد بعض المغالطات التاريخية إتماماً للفائدة .

٥ - حاولت سرد هذه الغزوات والمعارك حسب الترتيب الزمني .

٦ - حرصت على ضبط الكلمات التي يحتاج القارئ إلى ضبطها لاسيما أسماء الشخصيات والبلدان الغربية حتى تتم قراءتها قراءة صحيحة .

٧ - جميع المعارك المذكورات في هذا البحث وقعت في رمضان بعضها بالإجماع وبعضها على الصحيح عدى ثلاث معارك لم تقع في رمضان إنما ذكرتهن في هذا البحث لوجود ارتباط قوي بينهما وبين المعارك المذكورات بعدهن والمعارك الثلاث هن : معركة الجسر ، وسقوط بغداد في يد التتار، وحرب ١٩٦٧ م .

٨ - كنت أتمنى أن أضع بعض الخرائط الجغرافية لتحديد وتوضيح أماكن المواجهات لكن تعذر ذلك علي ولعل الله ييسر بذلك في طبعات قادمة .

أسباب طرق هذا الموضوع

إن طريقي لهذا الموضوع له أسباب منها:

١- تعليم المسلمين بأن هذا الشهر شهر جهاد وغزوات وليس شهر نوم وكسل وخمول كما هو حال كثير من المسلمين ونقصد بذلك غزو المسلمين للكفار وليس كما يزعم الخوارج فيجعلون من شهر رمضان موسماً لسفك دماء المسلمين والإكثار من ذلك زاعمين التقرب إلى الله بذلك

٢- جهل المسلمين بكثير من تاريخهم العظيم فكانت هذه مساهمة في تبصير المسلمين بشيء من ذلك أكتبها ولسان حالي كما قال الأول :

أسير خلف ركاب النُّجْب ذَا عَرَجٍ مؤملاً غير ما يقضى به عرجى
فإن لحقت بهم من بعد ما سبقوا فكم لربِّ الورى في ذاك من فرج
وإن بقيت بظهر الأرض منقطعاً فما على أعرج في ذاك من حرج
فهذا البحث جهد المقل، وبنان العاجز، وطاقة الأعشى أمام الضوء الباهر.

٣- يكثر في رمضان عرض مسلسلات يسمونها دينية - زعموا - فيفرح كثير من الناس بذلك ويقبلون عليها بقصد معرفة التاريخ والوقوف على كثير من أحداثه ولما كان في تلكم المسلسلات شيء كبير وكثير من الخطط والخلط لزم التحذير منها

وصرف المسلمين إلى ما هو خير لهم وأنفع لهذا فقد جعلت هذا البحث مكوناً من فصلين هما :

📖 الفصل الأول : في التحذير من المسلسلات وبيان مفسدها بالأدلة

📖 الفصل الثاني : ذكر أهم الغزوات والمعارك التي وقعت في شهر رمضان

مرتبة ترتيباً تاريخياً

أسأل الله العليّ القدير أن ينفع بنا وبها الإسلام والمسلمين وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم وأن يجعلها نافعة لنا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم إنه على كل شيء قدير.

كتبه الفقير إلى عفو ربه / أبو العباس منصور بن عبده بن أحمد المجيدي

اليمن - أبين - جعار - مسجد أبي بكر الصديق .





الفصل الأول

التحذير

من

المسلسلات وبيان مفسدها بالأدلة

أولاً: تعريف التمثيل :

التمثيل في اللغة: مصدر مثل يمثّل تمثيلاً.

و اصطلاحاً : عمل فني منشور أو منظوم يؤلف على قواعد خاصه ليمثل حادثاً حقيقياً أو مختلفاً تخيلياً – بقصد العبرة – زعموا .

وقيل التمثيل: محاكاة شخص لأخر حقيقي أو خيالي قصداً .

ثانياً: حكم التمثيل :

التمثيل محرم للأدلة الواردة في ذلك ولما اشتمل عليه من مفسد ومخالفات وإليك أخي القارئ الكريم بيان ذلك باختصار:

الدليل على تحريم التمثيل :

عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل قتله نبي ، أو قتل نبيا ، وإمام ضلالة ، وممثل من الممثلين ^(١) » .

ذكر شراح الحديث عند قوله صلى الله عليه وسلم « وممثل من الممثلين » .

أن كلمة ممثل في اللغة تأتي على معنيين اثنين :

المعنى الأول : الممثل هو المصور ، وقد جاءت الأدلة الكثيرة في تحريم الصور والتصوير من ذلك مايلي :

(١) صحيح : رواه أحمد (٣٨٦٨) وصححه الشيخان الألباني والوادعي – عليها رحمة الله تعالى .

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوَّرُونَ» ^(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كُلُّ مُصَوَّرٍ فِي النَّارِ يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ فَيُعَذَّبُهُ فِي جَهَنَّمَ» قال ابن عباس: فَإِنْ كُنْتَ لَا بُدَّ فَاعِلاً، فَاصْنَعِ الشَّجَرَ وَمَا لَا رُوحَ فِيهِ ^(٢).

عن سعيد بن أبي الحسن، قال: كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبَّاسٍ، إِنِّي إِنْسَانٌ إِنَّمَا مَعِيشَتِي مِنْ صَنْعَةِ يَدَيَّ، وَإِنِّي أَصْنَعُ هَذِهِ التَّصَاوِيرَ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَا أُحَدِّثُكَ إِلَّا مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «مَنْ صَوَّرَ صُورَةً، فَإِنَّ اللَّهَ مُعَذِّبُهُ حَتَّى يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ فِيهَا أَبَداً» فَرَبَا الرَّجُلُ رُبُوءَ شَدِيدَةٍ، وَاصْفَرَ وَجْهُهُ، فَقَالَ: وَنَحْكَ، إِنْ أَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تَصْنَعَ، فَعَلَيْكَ بِهَذَا الشَّجَرِ، كُلُّ شَيْءٍ لَيْسَ فِيهِ رُوحٌ ^(٣).

(١) رواه البخاري (٥٩٥٠)، ومسلم (٢١٠٩).

(٢) صحيح البخاري: البيوع (٢٢٢٥)، وصحيح مسلم (٢١١٠).

(٣) البخاري (٢٢٢٥) مسلم في اللباس والزينة باب تحريم تصوير صورة الحيوان. رقم (٢١١٠).

(صنعة يدي) عمل يدي. (وليس بنافخ) لا يستطيع النفخ أبداً فيستمر عليه العذاب. (ربا) علا نفسه وضاق صدره أو ذعر وامتلاً خوفاً. (ونحك) كلمة ترحم.

﴿ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يُخْلِقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً» (١) . »

﴿ وَعَنْ أَبِي طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ » . متفقٌ عليه (٢) .

﴿ وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: وَعَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَبْرِيلَ أَنْ يَأْتِيَهُ، فَرَأَتْ عَلَيْهِ حَتَّى اشْتَدَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَخَرَجَ فَلَقِيَهُ جَبْرِيلُ فَشَكَا إِلَيْهِ. فَقَالَ: « إِنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ » (٣) .

﴿ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: وَاعَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي سَاعَةٍ أَنْ يَأْتِيَهُ، فَجَاءَتْ تِلْكَ السَّاعَةُ وَلَمْ يَأْتِهِ، قَالَتْ: وَكَانَ بِيَدِهِ عَصَا، فَطَرَحَهَا مِنْ يَدِهِ وَهُوَ يَقُولُ: « مَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَا رُسُلُهُ » ثُمَّ التَفَتَ، فَإِذَا جَرُّو كَلْبٌ تَحْتَ سَرِيرِهِ. فَقَالَ: « مَتَى دَخَلَ هَذَا الْكَلْبُ؟ » فَقُلْتُ: وَاللَّهِ مَا دَرَيْتُ بِهِ، فَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ، فَجَاءَهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ

(١) البخاري (٥٩٥٣) مسلم في اللباس والزينة باب تحريم تصوير صورة الحيوان . . رقم (٢١١١).

(٢) البخاري (٣٢٢٥) مسلم في اللباس والزينة باب تحريم تصوير صورة الحيوان . . رقم (٢١٠٦).

(٣) رواه البخاري (٥٩٦٠) .

(فراث) هو بالثاء المثلثة. أبطأ في النزول. (اشتد) ثقل عليه تأخر نزوله وأحزنه ذلك .

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَعَدْتَنِي، فَجَلَسْتُ لَكَ وَلَمْ تَأْتَنِي» فَقَالَ: مَنْعَنِ الْكَلْبُ الَّذِي كَانَ فِي بَيْتِكَ إِنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ ^(١) .

وَعَنْ أَبِي التَّيَّاحِ حَيَّانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:** «أَلَا أْبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعْثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؟ أَنْ لَا تَدْعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتُهَا، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتُهُ ^(٢) .»

المعنى الثاني: الممثل هو الذي يحاكي فعل غيره أو قول غيره . أي يفعل مثله .

وعلى هذا المعنى فيكون هذا الحديث من أقوى الأدلة على تحريم التمثيل ويؤيد هذا المعنى قول النبي الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** «مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بِي» . في الصحيحين عن أبي هريرة .



(١) رواه مسلم (٢١٠٤) .

(٢) رواه مسلم (٩٦٩) .

الممثلون من أشد الناس عذاباً يوم القيامة

وفي قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل قتله نبي ، أو قتل نبيا ، وإمام ضلالة ، وممثل من الممثلين ». ترهيب شديد وبيان أن الممثل أشد جرماً وأعظم إثماً من غيره .

شبهة مع الرد عليها

فإن قال قائل : التمثيل لم يكن موجوداً في زمن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فكيف تقولون إن اللفظ المذكور في الحديث «وممثل من الممثلين» المقصود به هؤلاء القائمون بأعمال المسلسلات والتمثيليات ؟

والجواب : ما المانع أن يكون المقصود به هؤلاء وقد حذر النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** من فتن كثيرة لم تكن موجودة في زمنه وقد وقع بعضها كالتمثيل وغيره وبعضها لم يقع إلى الآن كفتنه المسيح الدجال .

دليل آخر على تحريم التمثيل:

روى أبو داود في سننه عن عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** قالت : قلت لرسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: « حسبك من صفية أنها كذا » جاء في بعض الروايات : « أي » أنها قصيرة ، فقال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: « لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته » .

قالت رضي الله عنها: وحكى له إنساناً . فقال لها : « ما أحب اني حكيت إنسانا وأن لي كذا وكذا ^(١) » .

ومعنى حكيت له إنساناً: قال شراح الحديث : الحكاية هي التمثيل .

فإن قال قائل : قلت إن التمثيل لم يكن موجوداً في زمن النبي **صلى الله عليه وسلم** والآن تقول الحكاية هي التمثيل فكيف هذا ؟

أقول : التمثيل بهذه الصورة الحالية لم يكن موجوداً ، ولكن كون شخص يمشي خلف رجل أعرج ويتعرج مثله فهذه محاكاة ، وكونك تمشي مع رجل قصير ، فتحاول التقصير من طولك معه فهذه هي المحاكاة ، وهذا التصرف هو تمثيل بدائي وهو محاكاة وغبية ، فأنت لا ترضى أن يمشي أحد من خلفك ويقلد حركاتك ويضحك الناس عليك ، لأنه استهزاء بك واحتقار لك ، فهو إذن غبية ولا شك في تحريره .

عن أبي هريرة **رضي الله عنه** أن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** قال : « اتدرون ما الغيبة ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « ذكرك أخاك بما يكره » قيل : أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال : « إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته ^(٢) » .

(١) صحيح : صححه الشيخان الألباني والوادعي عليها رحمة الله تعالى .

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٢٥٠٩) .

وقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «وَحَكِيتَ لَهُ إِنْسَانًا» ليس فيه مطعن فيها فهي فعلت ذلك قبل أن تعرف أن هذا الفعل محرم وهي تتعلم من النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فإذا نهاها عن شيء وحذرها منه ستترك ذلك مباشرة ولا شك .

فدل الحديث على تحريم التمثيل وأن الممثلين حينما يستلمون مبالغ حق التمثيل ، أن هذا ليس بربح ، بل هو الخسران المبين لأنه يستلم مالاً مقابل كذب وزور وبهتان ودجل وتضليل وغيبة ونميمة وفحش وخنا وغنا وبعضهم يستلم مالاً مقابل زنا عياداً بالله ، فلو يعطى الدنيا بكاملها إنه لفي خسارة عظيمة.



إمام الممثلين

إن إمام الممثلين هو الشيطان الرجيم فهو يمثل أدوار من شاء من الخلق إلا تمثيل دور رسولنا الكريم **صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فإنه يعجز عن ذلك ففي الصحيحين عن أبي هريرة **رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ** أن النبي الله **صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بِي» ومعنى هذا أن الشيطان يأتي في المنام يمثل دور أي إنسان فقد يمثل دور بعض الصالحين فيزعم مثلاً أنه أبوبكر الصديق أو فلان أو فلان من الصحابة أو ممن بعدهم وأنه يقول كذا وكذا... لكن الله منعه وحال بينه وبين تمثيل النبي **صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فلا يستطيع أن يمثل دور النبي **صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.
للحديث السابق الذكر.

📖 قال العلماء : لا يستطيع أن يمثل دور النبي **صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بصورة النبي **صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، لكن ممكن يأتي بصورة شخص آخر ويقول لك : أنا رسول الله ويفتن كثيراً من الناس بذلك، أما أن يأتي بصورة النبي **صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فلا يستطيع ذلك، فقد حمى الله نبيه من أن يتشبه به الشيطان أو يمثله يقظة أو مناماً. وأنا أذكر
هذا الحديث أقول : هذا الشيطان الرجيم - لعنه الله - عجز أن يمثل دور الرسول ، لكن شياطين بني آدم مثلوا الرسول في اليقظة ، فهناك تمثيلات مثلوا فيها رسول الله **صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**. ولم يمنعهم من ذلك خوف ولا حياء لا من الله ولا من الناس وهناك مسلسلات مثل فيها الممثلون نبي الله يوسف ، ومسلسلات

مثل فيه ممثلون نبي الله إبراهيم ، ومسلسلات مثل فيها المجرمون الملائكة ، ومسلسلات وصل ببعضهم السفه إلى أن مثلوا الله عز وجل عياداً بالله ، فلما وجد الممثلون حقاً وغضباً واستنكاراً من كثير من المسلمين بسبب تمثيلهم دور النبي - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**^(١) - صار بعض الممثلين وبعض القائمين على التمثيل يمثل النبي من وراء ستار ، يأتي الذي يمثل الصحابي ، يأتي مدبر من المدبرين ومجرم من المجرمين ، فيقول : يا رسول الله إن القوم قد فعلوا وفعلوا ! ، وذاك يناديه من وراء الستار بصوت يزعمون أنه صوت الرسول ، وأحياناً بعض الممثلين يخاف ليس من الله ، وإنما يخاف من ردة فعل بعض المسلمين ، فيقول من وراء الستار : إن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول لك كذا وكذا ! كأن المتكلم عن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بلال بن رباح أو ابن مسعود أو حذيفة ابن اليمان ، ممن يقوم بخدمة النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وهذا من الممثلين السفهاء ، سفه وخبث .

فالنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول : « فإن الشيطان لا يتمثل بي » .

وهؤلاء فعلوا ما لم يفعله الشيطان ولسان حال أحدهم كما قال الخوارزمي :

**وقد كنت من جند إبليس فارتقى بي الحال حتى صار إبليس من جندي
فإن مات قبلي كنت أحسن بعده طرائق فسق ليس يحسنها بعدي**

(١) ومن ذلك أنه لما أراد الممثل المصري يوسف وهبي تمثيل دور النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** غضب عليه الملك فاروق وهدده بخلع الجنسية المصرية عنه .

أصل التمثيل وبدايته

📖 **قال أهل العلم :** أصل التمثيل كان عبارة عن طقوس وأمور تعبدية عند اليونان ، كانوا يتعبدون بنوع من التمثيليات ثم تسربت هذه الطقوس وهذه الأمور التي هي تعبدية في نظر أولئك الأقوام انتقلت إلى النصارى.

📖 **وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في ” اقتضاء الصراط المستقيم “:** أن النصارى كانوا يمثلون عيسى فيأخذون أوراق الزيتون في عيد الشعانين ، ويدخلون إلى بيت المقدس يمثلون ، أو متمثلين بعيسى ابن مريم ، فكانت هذه هي بداية فكرة التمثيل انتقلت من اليونان إلى النصارى واستمرت مدة من الزمن

خيال الظل :

وفي القرن السادس و منتصف القرن السابع الهجري بدأ بعض المؤلفين، يتكلم عن مسألة اسمها **" خيال الظل "** وخيال الظل بداية فكرة التمثيل .

س: متى عرف المسلمون التمثيل؟؟

أما المسلمون فلم يعرفوا التمثيل بالصورة المعروفة الآن ، إلا عام ألف وثمانمائة وأربعين للميلاد ، كما ذكر هذا الشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد في كتاب **" حكم التمثيل "** أن أول من جاء به إلى بلاد المسلمين رجل نصراني اسمه مارون النقاش كان أول عمل تمثيلي قام به عام ١٨٤٠ للميلاد.

التمثيل وظيفة القروء:

من الأمثال المشهورة عند العرب قولهم: **(فلان أحكى من قرد)** وهذا لأن القروء هي التي عرفت بولوعها بمحاكاة أفعال الإنسان إذن التمثيل تركة نصرانية يونانية خبيثة مقيتة لا خير فيها وهو في الأصل وضيعة الشيطان أخذها عنه من البشر كفار اليونان ومن الحيوانات القروء وأخذها عنهم النصارى وأخذها عن النصارى المسوخون من المسلمين .



مفاسد المسلسلات والتمثيلات

١. التمثيل من الفتن التي يجب البعد عنها:

عن المقداد بن الأسود الكندي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال ايم الله لقد سمعت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: «إن السعيد لمن جنب الفتن إن السعيد لمن جنب الفتن إن السعيد لمن جنب الفتن ولمن ابتلي فصبر فواها» (١).

وهذه البلية متضمنة أنواع شتى من الفتن وكلها ترجع إلى نوعي الفتن فتنه الشبهات وفتنه الشهوات وكم حصل من افتتان عظيم لكثير من المتعلقين بهذه الآفة من الرجال والنساء .

٢ - التمثيل جعل العقوبات متعة :

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ: عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَكَانَ جُرَيْجٌ رَجُلًا عَابِدًا، فَاتَّخَذَ صَوْمَعَةً فَكَانَ فِيهَا، فَأَتَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ يُصَلِّي فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، فَقَالَ: يَا رَبَّ أُمِّي وَصَلَاتِي فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ فَأَنْصَرَفَتْ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: « يَا جُرَيْجُ »، فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي. فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ

(١) صحيح : رواه أبو داود (٤٢٦٣) وصححه الألباني والوادعي - عليها رحمة الله تعالى . واهأ: قال أبو

سليمان الخطابي: واهأ كلمة معناها التلهف.

وَهُوَ يُصَلِّي فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لَا تُمِثَّهُ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى وُجُوهِ الْمُؤْمِسَاتِ. فَتَذَاكَّرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ جُرَيْجًا وَعِبَادَتَهُ، وَكَانَتْ امْرَأَةٌ بَغِيٌّ يُتِمِّثُ بِحُسْنِهَا، فَقَالَتْ: إِنْ شِئْتُمْ لَا فِتْنَتَهُ، فَتَعَرَّضْتُ لَهُ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا، فَأَتَتْ رَاعِيًا كَانَ يَأْوِي إِلَى صَوْمَعَتِهِ، فَأَمَكَّتَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا فَوَقَعَ عَلَيْهَا. فَحَمَلَتْ، فَلَمَّا وَلَدَتْ قَالَتْ: هُوَ مِنْ جُرَيْجٍ، فَأَتَوْهُ فَاسْتَنْزَلُوهُ وَهَدَمُوا صَوْمَعَتَهُ، وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ، فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟ قَالُوا: زَنَيْتَ بِهِذِهِ الْبَغِيِّ فَوَلَدْتَ مِنْكَ. قَالَ: أَتَيْنَ الصَّبِيَّ؟ فَجَاءُوا بِهِ فَقَالَ: دَعُونِي حَتَّى أَصَلِّيَ فَصَلَّى، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَى الصَّبِيَّ فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ وَقَالَ: يَا غُلَامُ مَنْ أَبُوكَ؟ قَالَ: فُلَانُ الرَّاعِي، فَأَقْبَلُوا عَلَى جُرَيْجٍ يُقْبَلُونَهُ وَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ وَقَالُوا: نَبِيٌّ لَكَ صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ قَالَ: لَا، أَعِيدُوهَا مِنْ طِينٍ كَمَا كَانَتْ، فَفَعَلُوا. وَبَيْنَا صَبِيٌّ يَرْضَعُ مِنْ أُمِّهِ، فَمَرَّ رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَى دَابَّةٍ فَارَاهُ وَشَارَهُ حَسَنَةً فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ ابْنِي مِثْلَ هَذَا، فَتَرَكَ الثَّدِيَّ وَأَقْبَلَ إِلَيْهِ فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيِهِ فَجَعَلَ يَرْضَعُ " فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَحْكِي ارْتِضَاعَهُ بِأُصْبُعِهِ السَّبَابَةِ فِي فِيهِ، فَجَعَلَ يَمْصُهَا، قَالَ: «وَمَرُّوا بِجَارِيَةٍ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا، وَيَقُولُونَ: زَنَيْتَ سَرَقْتَ، وَهِيَ تَقُولُ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعَمَ الْوَكِيلُ. فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهَا، فَتَرَكَ الرِّضَاعَ وَنَظَرَ إِلَيْهَا فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا، فَهَنَالِكَ تَرَا جَعَا الْحَدِيثِ فَقَالَتْ: مَرَّ رَجُلٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهُ فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، وَمَرُّوا بِهِذِهِ الْأَمَةِ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولُونَ: زَنَيْتَ سَرَقْتَ، فَقُلْتُ:

اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهَا فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا؟، قَالَ: إِنَّ ذَلِكَ الرَّجُلَ كَانَ جَبَّارًا فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، وَإِنَّ هَذِهِ يَقُولُونَ لَهَا زَنَيْتِ، وَلَمْ تَزْنِ، وَسَرَقْتَ، وَلَمْ تَسْرِقْ، فَقُلْتُ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا» (١).

«والمومسات»: بضم الميم الأولى، وإسكان الواو وكسر الميم الثانية وبالسين المهملة وهن الزواني. والمومسة: الزانية.

فتأمل دعوة أم جريج على ولدها حيث قالت: «اللَّهُمَّ لَا تُمِثِّهِ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى وُجُوهِ المومسات».

فرؤية وجوه الزانيات كان فيما مضى عقوبة وعذاب أما في زمن أهل التمثيل فصار النظر إلى وجوه الزانيات متعه!!!

وإذا كان مجرد النظر إلى وجوه الزانيات عقوبة وعذاب فما ظنك بالنظر إلى العورات والفروج نعوذ بالله من الفتن.

٣- التمثيل مجاهرة بالمعاصي والفواحش:

عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: كل أمتي معافي إلا المجاهرين وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد

(١) البخاري (٣٤٣٦)، ومسلم (٢٥٥٠).

ستره الله عليه فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه ^(١) .»

فالممثلون يقعون في كثير من المحرمات أمام الجمهور ويتفاحرون بذلك والمحرمات التي يجاهرون بها لا تحصى لكثرتها وسيأتي ذكر بعضها مفصلاً وأقبح الأمور التي تحصل المجاهرة بها الفواحش من الزنى واللواط الذي يحصل من قبل القائمين بالأدوار الإباحية وقد روى ابن ماجه بسند صحيح عن ابن عمر - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** - أن رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - قال: «يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلب الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم» ^(٢) .»

٤. التمثيل كثير منه يتضمن الاستهزاء بحملة الدين أو بشي من الدين:

عن عبد الله بن عمر - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** - قال رجل في غزوة تبوك في مجلس يوماً: ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء لا أرغب بطونا ولا أكذب ألسنة ولا أجبن عند اللقاء. فقال

(١) البخاري (٦٠٦٩) ومسلم (٢٩٩٠).

(٢) صحيح: ابن ماجه (١٣٣٢) و صححه الشيخان الألباني والوادعي رحمة الله عليها .

رجل في المجلس: كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - فبلغ ذلك النبي - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - ونزل القرآن. قال عبد الله فأنا رأيته متعلقاً بحقب ناقة رسول الله تنكبه الحجارة وهو يقول يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب ورسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - يقول: «**قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ**» [التوبة: ٦٥].
(١).

وهذا الأمر يحصل بشكل كبير عند الممثلين وبعضهم أشد من بعض فهناك بعض الممثلين صار من أبرز أعمالهم التعرض للمتدينين والسخرية بهم وكل ممثل حصل منه ذلك فهو مجرم قال تعالى ﴿**إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ**﴾ [المطففين: ٢٩].

وحينما نتكلم أو نكتب عن هذا الأمر نتذكر ويتذكر غيرنا المجرم الأثيم عادل إمام الذي حمل على عاتقه لواء هذا الإجرام ومحاربة كل فضيلة حيث يأتي هذا المجرم فيمثل في أحد المسلسلات وقد جعل على وجهه تركيبة لحية ولبس ثوبا إلى نصف الساق ويدخل مسجداً ثم ينظر إلى محراب المسجد وإلى جدرانها ، ثم يهز رأسه غير مقتنع، وإذا به يقول : الله ، الناس فين واحنا فين . " الناس فين ونحن فين " يعني : المسلمون جلوس في المسجد ، والناس طلوعوا الفضاء ، العالم فعل

(١) صحيح : رواه ابن جرير (١٠ / ١١٩) ، وابن أبي حاتم (٤ / ٦٤) و صححه الشيخان الألباني

وفعل والمسلم جالس في المسجد ، يقصد أن الكفار تطوروا وتحضروا وأهل الإسلام باقون على تخلفهم داخل المسجد وبمعنى أوضح لا داعي للمكث داخل المسجد إن أردنا التطور والتحضر ، ثم إن دخولك هذا إلى المسجد ليس دخولاً صادقا ، هذا الدخول مجرد تغيير على الناس ونفاق بدليل أنه يخرج من المسجد ، فيسمع امرأة تغتسل في دارها ، فيحاول ينظر إليها من فتحة صغيرة بجانب الباب، وكأنه يقول : هؤلاء أصحاب اللحى ، يتظاهرون بالتدين . وهم أصحاب فجور ودعارة وبمثل هذه الأفعال القبيحة والكذب والزور يتم تشويه الصالحين في المسلسلات والتمثيلات وصدق ذلك كثير من المشاهدين لها فإذا بهم يقولون : أصحاب اللحى أكبر مجرمين ، يتظاهرون بالتدين والصلاح وهم لا يتورعون عن أي فاحشة يقدرّون عليها . والله الموعد ومن هذه المسلسلات مسلسل الإرهاب والكباب ، وطاش ما طاش وباب الحارة وغيرها كثير عامل الله المخرجين لها بما يستحقونه ، فكم عملوا على تشويه الصالحين .

٥ - التمثيل قائم على تغيير خلق الله:

وهذا من أعظم ما يدعو إليه الشيطان فقد قال الله تعالى مخبرا عنه أنه قال:

﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَّا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا (١١٧) لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (١١٨) وَلَا ضِلَّكُمْ وَلَا مَنِيتُمْ وَلَا مَرْتَمُكُمْ فَلْيَسْتَكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرْتَمُكُمْ فَلْيُغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا (١١٩)﴾. [النساء: ١١٧ - ١١٩].

فتغيير خلق الله من أعظم مقاصد إبليس وهو من أعظم ما يقوم عليه وبه التمثيل والممثلون رجالاً ونساء. ودور التمثيل مملوءة بوسائل تغيير خلق الله من أقنعة وتراكيب وغيرها وأقبح أنواع تغيير خلق الله ما يحصل من كثير من الممثلين الذكور حينما يمثلون أدوار نساء وهكذا ما يحصل من كثير من الممثلات الإناث حينما يؤدين دور الذكور وهذا كثير في عالم التمثيل والممثلين.

٦ - التمثيل سبيل للتشبه المحرم الواسع:

يقوم التمثيل على التشبه المحرم المطلق فمن ذلك تشبه الرجال بالنساء والعكس وهذا من الكبائر التي ورد في الشرع لعن الواقع فيها .

عن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: « لعن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال ^(١) » .

ومن ذلك: تشبه المسلم بالكافر وهذا منهي عنه أيضا لقول رسولنا الكريم: «من تشبه بقوم فهو منهم» ^(٢)

ومن ذلك التشبه بالحيوانات والتشبه بالشیطان

فلا يوجد شيء اسمه حرام عند الممثلين لا يوجد في عالم التمثيل شيء حرام أبداً ، يمكن يتشبه الممثل بالمرأة ، و بالشیطان ، و بالكافر ، ويسب الله ، ويسب

(١) رواه البخاري (٥٨٨٥).

(٢) صَحِيحُ: أَبُو دَاوُدَ (٤٠٣١) وأحمد في مسنده (٥١١٤) عن ابن عمر وصححه الشيخان الألباني والوادعي - عليها رحمة الله تعالى .

الرسول ، ويسب القرآن ، ويمكن يقلد بعض الحيوانات ، ويمكن أيضا يمثل أنه مجرم يغتصب بعض النساء ، ويمكن يمثل أنه مجرم يشرب الخمر ويشرب المخدرات ، ما في شيء اسمه حرام في عالم التمثيل والمسلسلات .

♦ أمور عجيبة في عالم التمثيل

وعلى سبيل المثال مسلسل شوتر و زنبقة : كان بعض الناس يقول لي إن زنبقة رجل يمثل دور امرأة ، فدهشت جداً وما صدقت ذلك كيف هذا ؟ هل يُعقل أن يرضى رجل يمثل دور امرأة ويتزوج على رجل آخر اسمه شوتر ، وتختلف معه ويطلقها ، فتبكي ، ثم يرجع يصالحها ويراجعها ، لا إله إلا الله ، أمعقول أن الممثلين وصلوا إلى هذا الحد ؟ نعم حصل ، وهو حاصل ، والرجل مفتخر بذلك يؤدي دور زنبقة بجميع حركات وأقوال وأفعال المرأة هذه التصرفات الخرقاء الرعناء لو عرضت على أبي لهب لأبأها ورفضها ، وربما لو قيل له : تمثل دور امرأة ربما قاتل ، وهو كافر مشرك أيام الجاهلية ، سيقول : أنا ألبس ثوب امرأة وأزوج نفسي بفلان ، هذا سفه و خسة. إنا لله وإنا إليه راجعون ماتت الرجولة لاسيما عند الممثلين .

وذكر لي أحد الإخوة أن بعض القنوات أجرت مقابلة تلفزيونية مع ممثل زنبقه، فكان من جملة الأسئلة التي طرحت عليه السؤال الآتي :

س : ما هو أخرج موقف مريبك ؟

فكان جوابه : اختلفت ذات مرة مع ولدي ، فكان أخرج موقف أنه قال لي : اذهب عند شوتر !!

يعني : تقلد رجولة داخل البيت والعالم كله يعلم أنك ممثل دور امرأة وهي زوجة شوتر. !!

وأخبرني صديق لي أنه التقى به فقال له : ما وجدت برنامج ولا دور تمثله إلا دور زنبقة ؟ فضحك الرجل - زنبقة - ولم يجر جواباً.

٧- التمثيل سبب لإضاعة المال :

﴿ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا: فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ. » (١) ﴾

﴿ وعن المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمّهَاتِ، وَمَنْعًا وَهَاتِ، وَوَادَ الْبَنَاتِ، وَكَرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ (٢) » . ﴾

﴿ قال الإمام النووي - رحمه الله تعالى - في معنى «إِضَاعَةُ الْمَالِ»: تَبْذِيرُهُ وَصَرْفُهُ فِي غَيْرِ الْوُجُوهِ الْمَأْذُونِ فِيهَا مِنْ مَقَاصِدِ الْآخِرَةِ وَالْدُّنْيَا، وَتَرْكُ حِفْظِهِ مَعَ إِمْكَانِ الْحِفْظِ (٣) . اهـ ﴾

(١) أخرجه مسلم (١٧١٥)، ومالك في الموطأ (١٧٩٦)، وأحمد (٣٦٧ ٢)، والبخاري في الأدب المفرد

(٤٤٢)، وابن حبان (٣٣٨٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٦٤٣٣).

(٢) رواه: البخاري (٢٤٠٨)، ومسلم (٥٩٣) .

(٣) رياض الصالحين (ص ١٣٦).

عن أبي بَرزَةَ نَضْلَةَ بْنِ عُبَيْدٍ الْأَسْلَمِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ فِيهِ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ»^(١).

فهذه الأحاديث تدل على تحريم العبث بالمال وأن الله سيسأل العباد عن ذلك يوم القيامة فما عذر الممثلين والمشرفين والمخرجين ما عذرهم أمام الله حينما يسألهم عن الملايين بل المليارات التي ينفقونها في هذا العبث وفي هذا اللعب الذي لا فائدة منه وإنما هو الضرر المحض؟.

٨ - التمثيل سبب لضیاع الأوقات :

عن أبي بَرزَةَ نَضْلَةَ بْنِ عُبَيْدٍ الْأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ فِيهِ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ»^(٢).

(١) رواه الترمذي وَقَالَ: حديث حسن صحيح.

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي (٦١٢/٤) (٢٤١٦) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وَقَالَ الترمذي: قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ الْحُسَيْنِ بْنِ قَيْسٍ وَحُسَيْنِ بْنِ قَيْسٍ يَضْعَفُ فِي الْحَدِيثِ مِنْ قَبْلِ حِفْظِهِ. وَفِي الْبَابِ عَنْ أَبِي بَرزَةَ وَأبي سعيد. والحديث يصححه الألباني في الصحيحة (٩٤٦) واحتج به الوادعي في شرح مقدمة صحيح مسلم - رحمه الله عليها -.

وكم تضيق على المسلمين من أوقات في العكوف على هذه المسلسلات التي بعضها من مائة حلقة ومن مائة وعشرين ومن مائتي حلقة وكم تذهب على الممثلين والمخرجين من أوقات وهم يعدون المسلسلات والتمثيلات فأين العقول

دقات قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثوان
٩. التمثيل يفسد القلوب ويجعلها تتعلق بالصور وبالمجرمين:

عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ إِمَامٌ عَدْلٌ وَشَابُّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إني أَخَافُ اللَّهَ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» (١).

«سبعة» أشخاص وكل من يتصف بصفاتهم.

«ظله» ظل عرشه.

«معلق في المساجد» أي شديد الحب لها والملازمة للجماعة فيها.

«اجتمعوا عليه» اجتمعت قلوبها وأجسادها على الحب في الله.

«تفرقا» استمرا على تلك المحبة حتى فرق بينهما الموت.

(١) البخاري (٦٦٠) مسلم في الزكاة باب فضل إخفاء الصدقة رقم (١٠٣١).

«طلبته» دعتة للزنا.

«ذات منصب» امرأة لها مكانة ووجاهة ومال ونسب.

«أخفى» الصدقة وأسرها عند إخراجها.

«لا تعلم شماله» كناية عن المبالغة في السر والإخفاء.

«خاليا» من الخلاء وهو موضع ليس فيه أحد من الناس.

«ففاضت عيناه» ذرفت بالدموع إجلالا لله وشوقا إلى لقائه.

فما أجمله من وصف في قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «ورجل قلبه معلق بالمساجد» وأصحاب المسلسلات لم تتعلق قلوبهم إلا بهذه السخافات وبأهلها وتلك مصيبة عظيمة لأن المسلم العاقل لا يرضى أن يعلق قلبه إلا بربه وبما يحبه ربه حتى يحصل له الخير العظيم.

١٠ - التمثيل سبب للسهر الجالب لكثير من المشكلات:

عن أبي برزة أن رسولنا الكريم - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - كان يكره النوم قبل صلاة العشاء والحديث بعدها ^(١).

والمغرمون بالمسلسلات يسهرون الليالي الطوال في المشاهدة فتفوتهم صلاة الفجر وتفوتهم أعمالهم الدنيوية فلم يستفيدوا إلا الضياع والحرمان.

(١) أخرجه مطولاً ومختصراً البخاري (٥٤١) و (٥٤٧) و (٥٦٨) و (٥٩٩)، ومسلم (٦٤٧)، وأبو داود (٣٩٨) (٤٨٤٩)، والترمذي (١٦٦).

١١- التمثيل من أعظم أسباب هدم عقيدة الولاء والبراء وذلك بأمور منها :

حب المشاهدين للممثلين الكفار الذين صورتهم التمثيليات بأنهم أبطال مغامرون وأنهم أصحاب صفات مرموقة فتتعلق قلوب كثير من المشاهدين بهؤلاء السفلة لدرجة أنهم يفرحون فرحاً شديداً بما يشاهدونه من أمور محبوبة للممثل وهكذا يحزنون حزناً بليغاً إن حصل شيء يكرهونه للممثل بل يبكي بعضهم !!

ومن مظاهر الولاء لهؤلاء الممثلين التشبه بهم في حركاتهم وسكناتهم وملابسهم بل وعلى سبيل الفخر والاعتزاز .

١٢ - التمثيل سبب لمحبة بعض الحيوانات المستقذرة والضارة :

إن كثيراً من الأفلام ولا سيما الكرتونية تغرس في نفوس الأطفال حب كثير من الحيوانات الخبيثة والتي جاء ديننا بالأمر بقتلها مثل الفأر كما في "توم جيري" و" ميكي والخنزير" كما في مسلسل تيمون و "بمبا والكلب" كما في سكوبيدو وغيرها وهذه الحيوانات الثلاثة على سبيل المثال كلها مستقذرة شرعاً وفطرة لكن لما كانت محبوبة عند كثير من الغربيين عملوا على تحبيبها لدى كثير من المسلمين بواسطة هذه المسلسلات ولسان حالهم يقول لن نترك المسلمين حتى يحبوا ما نحب ويكرهوا ما نكره عن طريق المسلسلات حتى على مستوى الفئران والكلاب والخننازير ومسألة قتل الفئران (الحقيقية) الواردة في الشرع سببها ما هو

معلوم واقعاً وطبا وتجربة وفطرة من ضرره وقذارته ولذلك أمرت الشريعة بقتل الفويسقات الخمس. قال - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - «خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم الحية والغراب الأبقع والفأرة والكلب العقور والحديا ^(١)». والفأرة سماها النبي - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - «فويسقة ^(٢)»، وأخبر عن ضررها فقال «**الْفُؤَيْسِقَةُ تُضَرِّمُ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ بَيْتَهُمْ ^(٣)**». وأنها تنجس ما وقعت فيه: سئل رَسُولُ اللَّهِ - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - عَنْ فَأْرَةٍ سَقَطَتْ فِي سَمْنٍ فَقَالَ: «**أَلْقُوهَا وَمَا حَوْلَهَا ^(٤)**». لكنها بفضل التمثيل وبفضل بعض أفلام الكرتون كتوم جيري وغيره صار هذا الحيوان الخبيث محبوباً كريماً.

١٣ - التمثيل سبب لتفويت مواسم الخير على المسلمين :

كان السلف يستقبلون رمضان بمراجعة القرآن ويودعون رمضان وهم يدعون الله أن يتقبل منهم صيامهم وقيامهم ، و أن يغفر لهم ونحن نستقبل رمضان بمسلسلات وتمثيلات ، وتذهب ليالي رمضان المباركات في هذه السخافات والتراهات ، الناس يركعون ويسجدون لله ويدعون الله ويكون ويتضرعون ، والمغرمون بالمسلسلات من مسلسل إلى مسلسل ومن تمثيلية إلى تمثيلية ويكثر ذلك في رمضان ولاسيما ما يسمى بالمسلسلات الدينية فمتى

(١) رواه مسلم (١١٩٨).

(٢) رواه مسلم (٢٠١٢).

(٣) رواه مسلم (٣).

(٤) رواه البخاري (٢٣٥).

سيعلم الناس أنه لا يوجد في دين الله عز وجل مسلسلات ، وأن دين الله جد وقرآن وسنة ، وأن هذه التمثيلات لعب وكذب وغزو للعقول ، وأن وراءه ما وراءه ؟ إن في القلب ألف مبكية ومبكية من هذا الغزو الخبيث الماكر بالإسلام والمسلمين.

فأنصح نفسي ومعاشر المسلمين أجمعين بالحيلة والحذر والتحذير من هذا المكر الكبار ، وعدم الاغترار بما يقوله ويردده بعض الجهلة .



خطر المسلسلات والتمثيلات عموماً

يقول الله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٥٥]، فكل مجرم يجب فضحه والتحذير منه ، وإذا كان قاتل النفس في قائمة كبار المجرمين ، فما ظنكم بقاتل العقول، ما ظنكم بمن يقتل العقل، ويصيب الجسد بالتبلد والشلل ، - الشلل المعنوي - ، ويخدر أجسام المسلمين ، وأجسام الناس ، كما هو حاصل ، الآن في الشوارع كثير من الشباب مثل السكران ، السماعة في أذنيه ونظره إلى الجوال لو ينهدم العالم ، ولو تحترق الدنيا من حوله ، ما يبالي بما حوله ولا يدري ما يحدث ، هو في سُكر وتخدير كلي .

إن هذا النوع من الغزو للأسف الشديد التطرق إليه نادر ، ولا سيما على سبيل التخصيص ، فقد يتكلم عنه كثير منا ، ويمر عليه مرور الكرام ، فيذكره ذكراً عابراً أما تخصيصه فأمر نادر ، رغم أنه موضوع مهم يحتاج إليه الصغير والكبير ، والحاكم والمحكوم ، ويحتاج إليه الرجال والنساء ، موضوع في غاية الخطورة وهو معضلة ومشكلة هي وراء جميع مشكلاتنا ، أو هي وراء أكثر مشكلاتنا إن لم تكن وراء جميع مشكلاتنا.

وسببه انتشرت السرقة وأنّ منها المسلمون وتألّموا وانتشر الزنا وتألّم منه المسلمون وحزنوا ، وضجروا ، وانتشرت جرائم القتل ، وجرائم الاغتصاب ، وجرائم الاختطافات ، وجرائم المخدرات ، وجرائم الحشيش ، وجرائم شرب الخمر

والترويج له ، وجريمة المغازلات والعشق والغرام والحب والمراسلات بين الشباب والشابات ، وبين الأبناء والبنات .

انتشر التمرد على الدول والحكومات ، وانتشر العقوق ، وانتشر التمرد من قبل النساء على الأزواج ، وانتشرت أمور كثيرة ، واختلالات واضطرابات اجتماعية كبيرة هذا يشتكي ، وهذا يتألم ، وهذا يبكي ، وهذا يئن ، وهذا بُح صوته وهو يحذّر من بعضها ، وكثير من المسلمين لا يدري أن وراء هذه المشكلات كلها ، مشكلة المسلسلات والتمثيلات وأن لهذه المعضلات كلها أسباب ، ويأتي في مقدمة هذه الأسباب ، المعضلة التي نتحدث عنها ، وهي المصيبة الكبيرة ، والوسيلة الخطيرة ، الوسيلة الإبليسية ، والحيلة الشيطانية ، أخبث وسيلة من وسائل الغزو الفكري وهي هذه المسلسلات والتمثيلات التي نتكلم عنها ، رغم ، أن الذي يحذر منها في نظر كثير من الناس متشدد ، يحرم شيئاً ليس فيه كبير ضرر في نظرهم ، ويحذّر من شيء ليس له في نظرهم تأثير كبير على الدين والدنيا ، ولكن أنا متأكد أن هؤلاء حينما يقرءون البيان التفصيلي لهذه المصيبة ولهذا المكر الشيطاني ولما يحصل للمسلمين بسببه من نتائج خطيرة وأضرار كبيرة ، حينها سيحصل اليقين الجازم بأن هذا البلاء يجب البعد عنه ، ويجب التحذير منه ، ويجب تخصيصه في محاضرات وخطب ومؤلفات وقد تطرقت إليه في بعض مساجد عدن ، فقام بعض العقلاء بعد صلاة العشاء ، وإذا به يقول : نريد أن يعمم هذا الموضوع على جميع مساجد عدن وصدق والله . فالقضية ليست قضية

سهلة ، بل الأمر خطير جداً، إن المسلسلات والتمثيلات التي امتلأت بها البيوت ،وغزتنا عبر الفضائيات ، هدمت أخلاقنا ، ودمرت عقيدتنا ، وأفسدت مجتمعاتنا ، وفعلت بنا ما لم تفعله القنبلة الذرية و المفاعل النووية والأساطيل البحرية والقوات الغربية الجوية والأرضية ، هذه المسلسلات والتمثيلات التي تسعى قلعة هوليوود اليهودية العالمية لبثها بجميع صورها ، وهكذا شركات صهيونية عالمية كشركة جولدا مائير وغيرها من شركات الكفر والفساد التي تبذل المليارات لإنتاج الكم الهائل من هذه المسلسلات والتمثيلات بجميع أنواعها وسواء المسلسلات الترفيهية أو المسلسلات الاجتماعية أو المسلسلات الغرامية أو مسلسلات العهر والدعارة - وهي ما تسمى بمسلسلات الجنس - أو المسلسلات الإباحية أو المسلسلات التي تسمى بمسلسلات دينية زوراً وبهتاناً .

فكل هذه المسلسلات والتمثيلات ، تصب في قالب واحد وهو تدمير العقيدة وتدمير الدين والأخلاق ، بأنواع مختلفة ، وإذا حذرت من نوع من أنواعها ، وجدت من يدافع عن نوع آخر ، والعجيب أن يجادلك في ذلك بعض المتدينين ، ويقول لك : هذه المخالفات ما هي منطبقة على جميع المسلسلات ، هناك كذا ، وهناك كذا ، وهناك أفلام دينية ، وهناك أفلام كذا وكذا وغير ذلك. لهذا أقول :

هاك أخي القارئ الكريم هذا البيان المختصر لأخطار وأضرار هذه المسلسلات ولم أذكر إلا دليلاً شرعياً مع ما يوضح ذلك من واقع المسلسلات والتمثيلات ، وهذا الواقع الذي أذكره ليس تحريضاً ، وإنما ناتج عن دراسة لآثار



المسلسلات والتمثيلات وآثار الشاشات على المجتمعات استغرقت مني وقتاً ليس باليسير ، فرأيت أمراً مهولاً وشيئاً كبيراً جعلني وأنا أقرأ وأنتقل في فصول الدراسات لهذه المسلسلات بما فيها الدرامية والمسرحيات أقول وبصوت مسموع : " يَاكَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ " فالمكر كُبار ، والقضية ليست قضية ترفيه بل المسألة مسألة قتل للعقول ، ومسخ للفطر ، وغزو بكل ما تعنيه كلمة غزو .

❖ حقائق ووقائع

ونقد الفضائيات وما يُعرض في الشاشات وقع حتى من بعض الكفار لكن من جوانب اقتصادية أو ثقافية واجتماعية ، أو سياسية ونحن نناقشها من جوانب دينية ، ونضيف إليها بعض تلك الجوانب فمفاسدها كثيرة على جميع الجوانب ومن خلال بحثي ودراستي للموضوع ، تبين لي أنه أهم تأثيراتها على الجانب الديني .

اشتغل جيري ما ندر ، - رجل إعلامي أمريكي - في الأعلام الأمريكي خمس عشرة سنة ، وكان مديراً إعلامياً ، وكان يدرس القضية من جوانب صحية وجوانب أخلاقية وأمنية ، فخرجت تجربته التي استغرقت مدة زمنية ، خرج منها بكتاب سماه " أربع مناقشات لإلغاء التلفزيون " خرج بهذا البحث ولو كان هذا الكاتب عربي مسلم لقالوا عنه متشدد وهذه باحثة فرنسية تُخرج بحثاً اسمه " كيف تتغلب على التلفزيون ؟ " وكثير منهم ، يناقشون في هذه البحوث عدة قضايا ، ومن أهمها المسلسلات والتمثيلات بجميع أنواعها ، الأفلام الكرتونية ،

والأفلام الدرامية ، والمسرحيات ، والأفلام الغربية ، والأفلام الفرنسية ،
والأفلام العربية ، وهناك كُتّاب مسلمون تطرقوا للموضوع وأدلوها بدلوهم
وأخذوا الموضوع بدراسة منهم على سبيل المثال :

❖ **عدنان الطرشة في كتابه: (ولدك والتلفزيون)**

❖ **ومروان كجك في كتابه: (آثار الفيديو والتلفزيون على الفرد والمجتمع) .**

❖ **ومحمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم في كتابه: (الإجهاز على التلفاز ^(١))**
. وغيرهم كثير لكن للأسف لانجد قبولاً كبيراً لما يكتبه ويقرره الناصحون .

📖 **ومما قرأته في بداية كتاب: (آثار الفيديو والتلفزيون على الفرد والمجتمع)**

أن صديقاً للمؤلف زار أستاذه الجامعي النصراني إلى شقته الخاصة به ، فلم يجد في
شقته تلفازاً ، فقال له : يا دكتور أين التلفاز ؟ قال له الدكتور النصراني : أمجنون
أنا حتى أدخل إلى بيتي من ينافسني في تربية أبنائي!!
أي أنا لست مجنوناً حتى أدخل إلى بيتي من ينافسني في تربية أولادي وهو التلفاز
ومن يعرضهم على شاشته . وذكر كثيراً من سلبيات برامج الفيديو والتلفزيون
ومنها المسلسلات والتمثيلات .

(١) الراني والراني : كلمتان وضعتا للتلفزيون وهما (اسم فاعل) بمعنى (اسم المفعول) المرئي كقوله تعالى

﴿ فَهَوَّ فِي عَيْشِهِ رَاضِيَةً ﴾ [الحاقة: ٢١].



❖ لفظة محزنة

قد أصبحت الشاشات اليوم في بيوت المسلمين ، من أدوات البيت الأساسية . ومن أخطر برامجها هذه المسلسلات التي صارت بضاعة العصر ، وقد ملأت بها ، جوالات المسلمين وجوالات أبنائهم وبناتهم فيها المئات ، إن لم تكن آلاف من المقاطع والمسلسلات والتمثيلات بأنواع عربي وعجمي وتركي وكرتوني وأمور وأمور بعضها يُستحى من ذكرها . وصار كثير من المسلمين مدمناً عليها ومتعلقاً بها تعلقاً كبيراً والأدلة على ذلك كثيرة جداً بل إن الأمر كما قيل :

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

❖ موقف عجيب

وما يدل على قوة تأثير هذه المسلسلات على متابعيها هذا الموقف العجيب الذي وقفت عليه بنفسي وهو أنني انتقلت في صغري إلى إحدى مدن اليمن للجمع بين الدراسة والعمل وكنت أسكن في بيت أحد الأقارب وكانت هناك تمثيلية يتم عرضها على شاشة التلفاز اليمني قبل أن تأتي الصبحون المقعرة - الد شوش - والجوالات ما كان يوجد إلا التلفاز، وكان موعد هذه التمثيلية الساعة العاشرة وأحياناً العاشرة والنصف مساءً، بعد الأخبار وكان صاحب البيت رجل أعمال ، عنده متجر ، يشتغل فيه في النهار فشعر ذات ليلة بإرهاق شديد بسبب العمل وأيضاً بسبب تراكم السهر عليه فهو متعب يريد ينام ، ولا يريد أن يفوته المسلسل فقال لأولاده : أنا سأدخل أنام وأستريح قليلاً ، فإذا جاء المسلسل أيقظوني ، قالوا : نعم ادخل ، فدخل غرفته وبقي أولاده مرابطون في مترس

العجل الفضّي - التلفاز - يترقبون ساعة الصفر ، فجاءت نشرة الأخبار ثم جاءت الإعلانات التجارية ، ثم بدأ العرض القصصي ، فإذا بهم يبرون بأبيهم ، ، ويدقون عليه الباب ، يا أبانا ، قم جاء المسلسل ، جاءت القصة ، فيقوم وهو يمسح عينيه وإلى المجلس فيجلس أمام الشاشة ويتابع مع أولاده !! فيا سبحان الله !. هذا إن دل على شيء فإنما يدل على قوة التخدير ، وقوة التأثير .

علماً أني مكثت عندهم مدة ليست باليسيرة فلم يحصل من الأب أن أيقظ أولاده ولا حتى يوماً واحداً لصلاة الفجر وهكذا لم يحصل أن قال لهم أبوهم أيقظوني لصلاة الفجر بل كانت تأتي صلاة الفجر ويخرج وقتها والكل في نوم عميق إلا من رحم الله .

❖ حقيقة مؤلمة

تحدث بعض الكاتبين عن خروج " الاحتلال " من تونس ، وأنه كان يعيش بين أهل تونس مبغوضاً ممقوتاً في الشوارع ، ثم ما هي إلا مدة زمنية يسيرة حتى رجع محبوباً مرغوباً فيه والناس مسرورون به ، " لم يرجع إلى الشوارع لكنه رجع إلى البيوت، ودخل غرف النوم ، دخل محبوباً ويشتري بالمال عن طريق الشاشات إنها لحقيقة مؤلمة .

❖ أقمار فضائية نصرانية

أصدرت الكنيسة الكاثوليكية قبل عام ٢٠٠٠ م بشارة لأبنائها ، - أبناء النصرانية - تقول فيها بأنها تقوم بإنشاء ثلاثة أقمار فضائية ، وأطلقت عليه مشروع نومين

ألفين ، هذا نومين ألفين عبارة عن ثلاثة أقمار فضائية ، هي ملك للكنيسة كل قمر يغطي ثلث الكرة الأرضية ، ومعنى هذا أن الثلاثة الأقمار ستغطي الكرة الأرضية .

والسؤال المهم هو : ما الذي ستشره هذه الأقمار ؟

ستشر عقيدة الصليب وأن الله ثالث ثلاثة ، وأن عيسى ابن مريم إله وأنه ولد الله ، وكل ذلك والله موجود في الفضائيات ، موجود في الغزو الإعلامي الفكري التمثيلي وفي المسلسلات الهابطة موجود ، بخبث وعلانية إنها الحرب على الإسلام والمسلمين والمسلمون للأسف في غفلة من هذا .

❖ حقيقة لا بد من ذكرها

هذه حقيقة سأذكرها ، بعضهم قد لا ينتبه لها وهي أن الممثل لا يملك شيئاً ، مما يظهر به عبر الشاشات ، النظارة ملك لدار التمثيل لوزارة الثقافة ، الكوت الذي يلبسه ، والبدلة التي يظهر بها هي عارية من دار التمثيل ، ومجرد ما ينتهي يخلعها ويرجعها إلى دار التمثيل .

وأحياناً تكون دعاية لشركة تجارية فبعض الشركات تريد الترويج لبضاعته ، فتتواصل مع بعض المخرجين لبعض المسلسلات ، عندكم مسلسل جديد ؟ أين البطل الفلاني ، ثم تلتقي به الشركة وتقول له : نريدك تلبس هذه البدلة في الدور التمثيلي ، من أجل ماذا ؟ !

دعاية وترويج ، للبضاعة فيلبسها الممثل ويظهر عبر الشاشات وهو لا بس تلك البدلة، وما يدرون إلا وقد نزلت في اليوم الثاني في الأسواق في المحلات التجارية ، هذه البدلة بدلة البطل الفلاني . كبدة مراد علمدار كم اشتغل التجار ببدة مراد علمدار ، ويبيعونها بمبالغ كبيرة جداً ، وهكذا يخططون .

❖ ضحكات الممثلين ومشاعرهم ليست ملكاً لهم

حتى الضحكة التي يضحكها الممثل لا يملكها هي مطلوبة منه ، المخرج يقول له حينما تصل إلى الفقرة الفلانية يجب أن تتبسم ، وآلة التصوير تستعد . ويقول له المخرج وحينما تصل إلى المقطع الفلاني أو الفقرة الفلانية يجب أن تبكي فضحكه ليس ملكاً له ، و بكاءه ليس ملكاً له ، وكل شيء في المسلسل والتمثيلية وتراه في الشاشة ليس ملكاً له ، البيت ، السيارة الضخمة التي يأتي يسوقها إلى باب الفلة الضخمة ويدخل ، وتستقبله تلك المرأة العاهرة التي تزعم أنها زوجة له فتستقبله بالأحضان ، هذا فسق وفجور وغاية في الدناءة ، امرأة أجنبية تستقبله وتقبله ويقبلها ، مرحباً زوجي العزيز ، وهو ليس لها زوج وليس بعزيز ، وهو يقول لها : أهلاً زوجتي وحببتي !!، وكله كذب وهراء ودجل و تستقبله الفتاة الثانية على أنها ابنته فيحتضنها : كيف حالك يا ابنتي ؟

فهو دنيء سافل ينتقل من حضن امرأة فاجرة إلى حضن امرأة أخرى ، واحدة على أنها زوجته ، والثانية على أنها ابنته ، وكله دجل وتضليل . وعهر وفسق .

❖ مشكلة كبرى

فهذه مشكلة ، ولكن المشكلة الأخطر منها والأكبر في الجمهور المشاهد المغفل ، يبقى يتابع اللقطات والحركات التمثيلية ، فيرى ذلكم الرجل الكاذب - الممثل - وقد سلم على تلك المرأة ويتحسر ، ويقول : ما شاء الله معه امرأة جميلة وطيبة و و ونحن ما عندنا إلا من بنات الجن ، عندنا نساء كأنهن وحوش ، هذه المرأة جميلة ورائعة وغير ذلك ، وهو لا يدري أنها جلست تدلك وجهها الساعات الطوال وتستخدم المكياج ، وهناك هيئات تجميلية لذلك والتجميل والمكياج والمساحيق لتظهر عبر الشاشة بتلك الصورة ، ولا يدري أنها زوجة مستعارة اليوم زوجة الممثل الفلاني وغداً هي زوجة لممثل فلاني آخر والمشاهد حاسد لهذا الممثل ، لقد صدّق فهو يتأوه ويتحسر ويكاد يموت أهات وحسرات. حتى قال أحد المشاهدين لمسلسل وهو ينظر إلى ممثلة فقال لمن حوله بالله عليكم هل هذه - الممثلة وأم فلان يعني زوجته سواء؟

❖ مشكلة أخرى

وهذه المشكلة حاصلة أيضاً في زوجته فهي تجلس تشاهد الممثل ثم تبدأ تقارن بينه وبين زوجها الذي يتعب طول النهار ، ويوفر لها الرزق الحلال ولقمة العيش الحلال ، من كد جبينه وعرقه ، وذاك الممثل من حَضَنَ فلانة الفاسقة إلى حَضَنَ فلانة العاهرة ، والمرأة المشاهدة المغفلة تقول : والله ما متزوجة وما مستريحة إلا فلانة الممثلة ، معها زوج لا يوجد مثله في الدنيا ، فهذا من أعظم الغزو للعقول

ذكر بعضهم أن امرأة خرجت من مكان بعد مشاهدتها لفلم ظهر فيه الرجال المتمكيجون كالنساء وإذا بهذه المرأة تقول لصديقتها كيف يمكنني الرجوع إلى فلان - تقصد زوجها - بعد رؤية هؤلاء؟. فيا سبحان الله.

❖ تأثير اللقطات على الناس

والله لقد أثرت هذه اللقطات في حالات اجتماعية كثيرة ، وتنافر كثير من الأزواج وحصلت حالات فراق وطلاق كثيرة بسبب التمثيلات والمسلسلات.

الرجل كره زوجته و يقول لها : اسكتي تحسبي نفسك فلانة ، وتظنين نفسك الممثلة الفلانية ، أنت لست بشيء وهذه المرأة قد تولدت عندها عقد نفسية ، فتنفجر في وجهه قائلة : وأنت إيش من رجال ، النساء متزوجات زواج الهناء والسعادة النساء متنعمات ، النساء عندهن الفل ، عندهن النعيم والأموال ، وأنا ماذا معي منك ؟.

مسكينة صدّقت ، وما تدري أن كل هذا تمثيل وكذب ، ما تمتلك تلك المرأة تلك الفلة ، ولا تمتلك تلك المجوهرات ، ولا تمتلك تلك الألبسة ، كله كذب، وهراء ودجل وتضليل على الناس .

وقد ذكر بعض المؤلفين أن أحد الممثلين كان يقوم في التمثيل بدور طبيب فإذا به يتلقى مائتين وخمسين ألف رسالة يطلب فيها أصحابها منه المعونة الطبية !!!

♦ المخرجون مجرمون

والمخرجون مجرمون، يحرصون على انتقاء أصحاب الوسامة والصور الجميلة ، فيختارون الوسمين الجميلين من الرجال ، والوسيمات الجميلات من النساء ، ليكثر الجمهور المشاهد حتى قال بعض الكتّاب : لولا أن في المسلسل الفلاني امرأة جميلة ما تابعه كثير من الرجال ولولا أن في المسلسل الفلاني رجل وسيم ما تابعته كثير من النساء إذن كثير من الجمهور المشاهد يتجمعون ليتمتعوا بالنظر والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي الإِزْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٣١) [النور: ٣٠-٣١].

هذا أمر من الله عز وجل ، فهل هو خاص فقط بالذي يمشي في الشارع أو في الطرقات ، لا يحل له أن ينظر إلى امرأة تمشي في الشارع وهي قد تكون محجبة من رأسها إلى رجلها، ويجوز له أن ينظر إلى أخرى في الشاشة شبه عارية ، من يقول بهذا التناقض ؟.

عجيب هذا، فالحكم واحد وهو عدم الجواز بل إن النظر في هذه المسلسلات والتمثيلات أشد خطراً وأعظم ضرراً.

❖ عقوبات عظيمة

كم مسخ من رجال؟ وكم مسخت من نساء؟ وكم مسخ من شباب؟

وكم مسخت من شباب بسبب هذه المسلسلات؟

بعض الناس يوفر الشاشات وجوالات اللمس للأبناء والبنات وهم في سن الطيش وإذا بالذواكر مملوءة بجميع أنواع المسلسلات والمقاطع والفيديوهات ، وبعدها ما تدري إلا وقد انفجر الوضع ، زنا اغتصابات ، لواط ، فحش ، أمور فضيحة ، ومراسلات ، ومغازلات وغير ذلك.

ثم يجيء شخص فيقول لك : لماذا تغير الناس ؟ . أنا والله ما كنت أعرف شيئاً عن العشرة الزوجية إلا لما تزوجت والآن ابن العشر السنين ، يعرف تفاصيل القضية من أولها إلى آخرها .

أقول لأن الفضائيات وفّرت جميع الكوادر من المعلمين والمعلمات و أساتذة الإجرام وأوصلتهم إلى البيوت ، وأنت ساعدتهم على ذلك ثم تريد من ولدك أن يجلس أعمى ما يدرى بشيء؟ ، وتريد من ابنتك أن تجلس عمياء ما تدري بشيء؟

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له إياك إياك أن تبطل بالهاء

أي شيء يتعلمونه من الشاشات والمسلسلات والتمثيلات ، غير البلاء والشر؟ ماذا عند اليهود والنصارى؟ ما الذي عند الملاحدة من بضاعة؟ ما الذي يأتي من وراءهم غير العهر والفجور؟ ماذا يريد اليهود والنصارى وغيرهم من المسلمين

ومن غزوهم لهم عبر الشاشات والتمثيلات والمسلسلات؟ إنما أرادوا القضاء على ديننا وأخلاقنا وأرادوا أن يسقط المسلمون إلى الحضيض البهيمي وإلى مستنقع الرذائل.

يريدون انفلات الأخلاق وقد حصل ذلك في كثير من المجتمعات للأسف ، وبقي المجتمع اليمني بفضل الله سبحانه وتعالى ، مجتمع حفظه الله بأمور من التدين والدعوة والحياء ، والأعراف والقبيلة فبقي متماسك .

والخلاصة : أن هذه الأفلام والمسلسلات من أقبح أنواع الغزو الفكري، فهي لا تعبّر عن واقعنا الإسلامي والعربي، بل هناك هوةٌ سحيقة بين ما تعرضه وما يعانيه الناس في حياتهم اليومية إنما هي تعبير عن الواقع الغربي فقط. وهي تعمل على مسح أبناء الأمة فكرياً وثقافياً وعقدياً. كما أنها تجتهد في تلميع الرجل الغربي، وتشويه صورة الرجل العربي المسلم عند الأمم الأخرى.

❖ تحذيرات مهمة

فنكرر التحذير ونؤكد ، بأن المجتمع إذا لم ينتبه فأنا مهددون ، بكارثة أخلاقية عظيمة. الآن الاحتباس حاصل ، ، يشاهد الشباب لقطات ومسلسلات ، وتشاهد البنات لقطات ومسلسلات ، وتمثيلات من هنا ومن هناك والضغط يحصل ، هناك أشياء تمنع وتحول بينهم وبين الشر العظيم.

لكن نخشى أن ينفجر السد المنيع ، فتحصل الكارثة الكبرى .



فعلى المجتمع أن يتقي الله عز وجل في نفسه وفي أبناء وبنات المسلمين بالابتعاد
عن جميع المخالفات ولا سيما هذه المسلسلات .





بطولة الممثل الزائفة مأساة عظيمة

صار البطل اليوم في نظر كثير من أبناء المسلمين ليس خالد بن الوليد ولا صلاح الدين ولا قطز ولا غيرهم من عظماء الإسلام من الصحابة ومن بعدهم من أهل الفضل والصلاح وإنما البطل في نظرهم هو ذاك الممثل التركي مراد علمدار ، أو الفرنسي فلان أو البريطاني فلان من المسوخين ، من أصحاب المسلسلات وهذا الممثل المتشبع بما لم يعط يتشبع في جوانب كثيرة ومنها البطولات الوهمية في نظر الجمهور المشاهد الذي صدّق أن فلاناً بطل ، فما هي بطولاته ؟

من لوازم البطولة في المسلسلات أن يكون للبطل فتاة يعشقها ويراسلها مغازلاً لها ثم هي تخبره بأنها تحبه ومعجبة به ثم تبدأ سلسلة من المواجهات والمصارعات في كثير من الأفلام على المعشوقة الفلانية ، البطل يريد لها لنفسه وآخرون يريدونها لهم ، وهي ترفض ، وهم يؤكدون ويصرون على ذلك ، يتدخل البطل ، تتطور القضية ، تتحول إلى مواجهات ، تتدخل الشرطة ، تتدخل الدولة ، البطل يصعد فوق الجبال ويقتحم الأكوام النارية ، وتطارده السيارات فيفلت من بين أيديها ، تطلق عليه الرشاشات النارية من جميع الجهات وهو يتقلب تقلباً سريعاً ثم يرد عليهم بهجمات مرتدة ثم في لمح البصر يكسب الموقف إنه البطل ، هذا ليس بطلاً عادياً هذا بطل من نوع عاشق ، بطل من نوع إذا أعيته الأمور وانسدت عليه الأبواب ، وجاءه المطاردون من هنا ، وجاء الجيش من هناك ، أخرج من الجيب إما حبة دخان ، وإما حبة من المخدرات وابتلعها ، وبعد ذلك لا تسلم عن بطولاته الخارقة.



❖ مشكلة أخرى

يتلقى أبناؤنا هذه البطولات على أنها حقائق واقعية ، ثم يخرج الواحد منهم ويقلد ذلك البطل مع أبناء الجيران ، وما تدري إلا والمشكلات داخل البيوت وداخل القرية ، والصراخ عليك من كل مكان يا فلان ولدك فعل كذا وكذا ، يا فلان ابنك كان سيخنق فلاناً ، ابنك كان سيقتل فلاناً ، وكم تحصل في الحارات من عصابات، ومن بطولات تقليدية وكم فيها من قادة ومواجهات !!

من أين هذا؟؟!

كل هذا من معلم الإجرام البطل الممثل، كل هذا من أساتذة الإجرام من الممثلين الذين دخلوا إلى بيوتنا وإلى غرف نومنا ، ولو كان عندنا انتباه وحرص ما رضينا بهذا أبدا .
إن الكتب التي كتبت في نقد الشاشات والفضائيات مليئة بالقصص لكنني أكتفي بذكر القصة الآتية :

❖ قصة مدرسة المشاغبين

لما نُشر مسلسل "مدرسة المشاغبين" اضطرت بعض الحكومات أن تخاطب وزارة الإعلام وتناشدها أن توقف هذا المسلسل وتهدد إذا لم يتم توقيف هذا المسلسل " - مسلسل مدرسة المشاغبين - فسيكون الرد مؤلماً .

س : لماذا ؟

لأنه تعرض أكثر من ألفي مدرس للاعتداء من قبل الطلاب في كثير من المدارس .
إنها مدرسة المشاغبين فعلاً ، يشاهده الطالب طول الليل ، ولم يراجع درساً ولم

يكتب ولم يحفظ شيئاً ، ويتحرك في الصباح إلى المدرسة ، فإذا بالمدرس يسأله : هل حفظت ؟ هل قرأت ؟

والجواب: لا شيء فإذا أراد أن يستخدم معه شيئاً من التأديب إذا بالطالب يحول ما شاهده في المسلسل في الليل إلى واقع عملي فلا تزال سُحن التأثير قوية ، فيقوم هو وفلان و فلان ويعتدون على المدرس بالضرب ويتحول الفصل الدراسي إلى حلبة مصارعة وميدان قتال.

♦ السجون مليئة

من يقرأ عن حضارة الغرب الزائفة سيعرف الحقيقة المخزية فالسجون مليئة بالمجرمين هذه هي حقيقة الحضارة الكاذبة الخبيثة التي يخدعون بها المساكين من المسلمين ، يصورون لنا شوارع نظيفة ، ويصورون أحوالاً وأموراً في التمثيليات من حياتهم التي يغترون بها علينا وهي جزء من التمثيل فحياتهم جحيم ، سجونهم مملوءة بالقتلة وأصحاب الفواحش من لواط وزنا واغتصابات ومخدرات ، وما سجنوهم تديناً ، إنما شعوراً بالخطر العام الداهم فإذا كانت السجون جامعة المجرمين ، فإن المدرسة الإعدادية الثانوية لها هي الفضائيات والشاشات والمسلسلات والتمثيليات.

فمن أين تعلمت البنت المسكينة المراسلات ؟ ومن أين تعلم المجرمون التسلق على البيوت والسرقة ؟؟ . ومن أين تعلموا مهاجمة الشرطة ورجال الدولة ؟ ومن أين تعلم الزناة حيل وخطط الاغتصابات إلى غير ذلك من الفساد ؟

لقد تعلموا كل ذلك من الفضائيات ومن الأفلام والمسلسلات وعندنا عشرات الأدلة على ذلك مما لا يتناسب سردها في هذا المختصر والأمر كما قيل :

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل
❖ نقطة مهمة:

فمن ينظر إلى القضية بأنها قضية ترفهية ، أو أنها وسيلة تعليمية مهمة أضاعها المسلمون فقد جانب الصواب واغتر بالسراب وهي نتيجة حتمية للجهل بنصوص السنة والكتاب ومن هؤلاء قاسم أمين صديق لطفي السيد حيث يقول في كتابه "كلمات": "لعل أكبر الأسباب في انحطاط الأمة المصرية تأخرها في الفنون الجميلة: التمثيل والتصوير والموسيقى" ^(١) .

هكذا قال وهو كاذب في هذا وفي غيره ولو قال إن أكبر الأسباب في انحطاط المسلمين انغماسهم في التمثيل والتصوير والموسيقى لصدق لكن حاله كما قيل:

ومن جعل الغراب له دليلاً يمر به على جيف الكلاب
عندنا وسيلة تعليمية ناجحة، لكن الناس أهملوها وهي تعليم القرآن والسنة ، في بيوت الله عز وجل ولكن بسبب هذا الغزو صار كثير من المسلمين لا يلتفتون إليها . فمما سبق يتبين خطورة هذه الوسيلة وأنها محرمة لا يجوز الرضا بها وإن كان من الصعب أن يقتنع الكثير من الناس بهذا الحكم لأنهم قد أشربوا حبها في قلوبهم ، إلا من رحم الله عز وجل لكن هذا هو الحق :

فهذا الحق ليس به خفاء فدعني من بنيات الطريق

(١) "قاسم أمين" (ص ٣٩) .

خطر ما يُسمى ب (المسلسلات الإسلامية) خصوصاً :

للأسف الشديد لا يعرف كثير من المسلمين أن ما يسمى بالمسلسلات الدينية أخطر بكثير من المسلسلات الاجتماعية والتمثيلية الترفيحية وغيرها لأنها مشتملة على ما اشتملت عليه هذه المسلسلات من المفاصد وزيادة فمن هذه المفاصد:

١- الكذب :

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥].

ويقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾. [التوبة: ١١٩].

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لِيَصْدُقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لِيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا»^(١).

(١) متفق عليه البخاري (٦٠٩٤) ومسلم (٢٦٠٧).

﴿ وعن أبي أمامة الباهليِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « أَنَا زَعِيمٌ بَيْتٍ فِي رِبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ. وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبَيْتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ، وَإِنْ كَانَ مَارِحًا، وَبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ ^(١) » .

« الزَّعِيمُ: الضَّامِنُ.

﴿ وعن عبدِ اللهِ بنِ عمرو بنِ العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ، كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ، كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ نِفَاقٍ حَتَّى يَدْعَهَا: إِذَا أَوْثَمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ ^(٢) » .

﴿ عن أبي هريرة، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أَوْثَمِنَ خَانَ ^(٣) » .

وفي رواية: « وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ » .

والممثلون أعظم الناس كذبا والتمثيلات بجميع أنواعها كلها كذب من أولها إلى آخرها فتقمص الممثل شخصية غيره كذب وكلماته وضحكاته وبكاؤه كذب وأيمانه كذب وادعاؤه بأن فلانه زوجته وفلان ابنه والبيت الفلاني بيته كل ذلك

(١) صحيح : رواه أبو داود برقم (٤٨٠٠) وصححه الألباني .

(٢) البخاري (٣٤) مسلم (٨٥).

(٣) البخاري (٣٣) مسلم (٥٩).

كذب وهكذا حينما يمثل دور الطبيب أو الضابط أو القاضي كل ذلك كذب فلا تكاد تجد شيئاً في أعمال الممثلين يخلو من الكذب إلا تمثيلهم دور المجرمين فذاك أقرب إلى الصدق من بعض الوجوه وبالذات من حيث الوصف العام

♦ وكذبات الممثلين تبلغ الآفاق مما يجعلهم على خطر عظيم

عن سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ لِأَصْحَابِهِ: « هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا؟ » فَيَقْصُّ عَلَيْهِ مِنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقْصَّ. وَإِنَّهُ قَالَ لَنَا ذَاتَ غَدَاةٍ: " إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي: انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، وَإِنَّا آتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ، وَإِذَا آخِرُ قَائِمٍ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ، فَيَثْلَغُ رَأْسُهُ، فَيَتَدَهَدُهُ الْحَجَرُ هَاهُنَا. فَيَتَبِعُ الْحَجَرَ فَيَأْخُذُهُ، فَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ، فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَى، " قَالَ: قُلْتُ لَهَا: سُبْحَانَ اللَّهِ، مَا هَذَا؟ قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ، فَاَنْطَلَقْنَا. فَاتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ وَإِذَا آخِرُ قَائِمٍ عَلَيْهِ بِكَلْبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقْيَيْ وَجْهِهِ فَيُشْرِشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمِنْخَرَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنَهُ إِلَى قَفَاهُ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخِرِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الْأَوَّلِ، فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ حَتَّى يَصِحَّ ذَلِكَ الْجَانِبُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ، فَيَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى. قَالَ: قُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، مَا هَذَا؟ قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ، فَاَنْطَلَقْنَا. فَاتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التَّنُورِ فَأَحْسِبُ أَنَّهُ قَالَ: فَإِذَا فِيهِ لَعَطٌ، وَأَصْوَاتٌ، فَاطَّلَعْنَا فِيهِ فَإِذَا فِيهِ رَجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ هَبٌّ مِنْ أَسْفَلٍ مِنْهُمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ

ذَلِكَ اللَّهْبُ ضَوْضُوا، قُلْتُ مَا هَؤُلَاءِ؟ قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا. فَاتَيْنَا عَلَى نَهْرٍ حَسِبْتُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: "أَحْمَرُ مِثْلُ الدَّمِ، وَإِذَا فِي النَّهْرِ رَجُلٌ سَابِحٌ يَسْبَحُ، وَإِذَا عَلَى شَطِّ النَّهْرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةً كَثِيرَةً، وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبَحُ مَا يَسْبَحُ، ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الَّذِي قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الْحِجَارَةَ، فَيَفْغَرُ لَهُ فَاهُ، فَيُلْقِمُهُ حَجَرًا، فَيَنْطَلِقُ فَيَسْبَحُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ، كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ، فَغَرَّ لَهُ فَاهُ، فَأَلْقَمَهُ حَجَرًا، قُلْتُ لهُمَا: مَا هَذَا؟ قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا. فَاتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ كَرِهَ الْمَرَاةَ، أَوْ كَأَكْرَهَ مَا أَنْتَ رَاءٍ رَجُلًا مَرَأَى، فَإِذَا هُوَ عِنْدَهُ نَارٌ يَحْشُهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا، قُلْتُ لهُمَا: مَا هَذَا؟ قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا. فَاتَيْنَا عَلَى رَوْضَةٍ مُعْتَمَةٍ فِيهَا مِنْ كُلِّ نَوْرِ الرَّبِيعِ، وَإِذَا بَيْنَ ظَهْرِي الرَّوْضَةِ رَجُلٌ طَوِيلٌ لَا أَكَادُ أَرَى رَأْسَهُ طَوَلًا فِي السَّمَاءِ، وَإِذَا حَوْلَ الرَّجُلِ مِنْ أَكْثَرِ وَلَدَانٍ رَأَيْتُهُمْ قَطُّ، قُلْتُ: مَا هَذَا؟ وَمَا هَؤُلَاءِ؟ قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ فَانْطَلَقْنَا. فَاتَيْنَا إِلَى دَوْحَةٍ عَظِيمَةٍ لَمْ أَرْ دَوْحَةً قَطُّ أَعْظَمَ مِنْهَا، وَلَا أَحْسَنَ، قَالَا لِي: ارْقَ فِيهَا، فَارْتَقَيْنَا فِيهَا، إِلَى مَدِينَةٍ مَبْنِيَّةٍ بِلَبَنِ ذَهَبٍ وَلَبَنِ فِضَّةٍ، فَاتَيْنَا بَابَ الْمَدِينَةِ فَاسْتَفْتَحْنَا، فَفُتِحَ لَنَا، فَدَخَلْنَاهَا، فَتَلَقَّانَا رَجَالٌ شَطْرُ مَنْ خَلَقَهُمْ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ، وَشَطْرُ مِنْهُمْ كَأَقْبَحِ مَا أَنْتَ رَاءٍ، قَالَا لُهُمْ: اذْهَبُوا فَقَعُوا فِي ذَلِكَ النَّهْرِ، وَإِذَا هُوَ نَهْرٌ مَعْتَرِضٌ يُجْرِي كَأَنَّ مَاءَهُ الْمُحَضُّ فِي الْبَيَاضِ، فَذَهَبُوا فَوَقَعُوا فِيهِ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْنَا قَدْ ذَهَبَ ذَلِكَ الشُّؤْ عَنْهُمْ، فَصَارُوا فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ. قَالَ: قَالَا لِي: هَذِهِ جَنَّةٌ عَدْنٌ، وَهَذَاكَ مَنْزِلُكَ، فَسَمَا بَصْرِي صُعْدًا، فَإِذَا قَصْرٌ مِثْلُ الرَّبَابَةِ الْبِيضَاءِ. قَالَا لِي: هَذَاكَ مَنْزِلُكَ. قُلْتُ لهُمَا: بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ، فَذَرَانِي فَأَدْخُلْهُ. قَالَا: أَمَّا الْآنَ

فَلاَ، وَأَنْتَ دَاخِلُهُ. قُلْتُ لَهُمَا: فَإِنِّي رَأَيْتُ مُنْذُ اللَّيْلَةِ عَجَبًا؟ فَمَا هَذَا الَّذِي رَأَيْتَ؟
 قَالَا لِي: إِنَّا سَنَخْبِرُكَ. أَمَّا الرَّجُلُ الْأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يَثْلُغُ رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ، فَإِنَّهُ
 الرَّجُلُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ، وَيَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ. وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ
 عَلَيْهِ يُشْرِشُرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخَرُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ
 بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكَذِبَ تَبْلُغُ الْآفَاقَ. وَأَمَّا الرَّجَالُ وَالنِّسَاءُ الْعُرَاةُ الَّذِينَ هُمْ فِي مِثْلِ بِنَاءِ
 التَّنُورِ، فَإِنَّهُمْ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي. وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يَسْبِغُ فِي النَّهْرِ، وَيَلْقُمُ
 الْحِجَارَةَ، فَإِنَّهُ أَكَلُ الرَّبَا. وَأَمَّا الرَّجُلُ الْكَرِيهُ الْمَرَاةُ الَّذِي عِنْدَ النَّارِ يُحْشِشُهَا وَيَسْعَى
 حَوْلَهَا فَإِنَّهُ مَالِكُ خَازِنِ جَهَنَّمَ. وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرُّوضَةِ، فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَمَّا الْوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ، فَكُلُّ مُوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ"
 وَفِي رِوَايَةِ الْبَرْقَانِيِّ: «وُلِدَ عَلَى الْفِطْرَةِ». فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَوْلَادُ
 الْمَشْرِكِينَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْلَادُ الْمَشْرِكِينَ». وَأَمَّا الْقَوْمُ الَّذِينَ
 كَانُوا شَطْرَ مِنْهُمْ حَسَنٌ وَشَطْرَ مِنْهُمْ قَبِيحٌ فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ
 سَيِّئًا تَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُمْ (١).

وفي رواية له: «رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتْيَانِي فَأَخْرَجَانِي إِلَى أَرْضٍ مُقَدَّسَةٍ" ثُمَّ
 ذَكَرَهُ. وَقَالَ: "فَانْطَلَقْنَا إِلَى نَقَبٍ مِثْلِ التَّنُورِ، أَعْلَاهُ ضَيْقٌ وَأَسْفَلُهُ وَاسِعٌ، يَتَوَقَّدُ
 تَحْتَهُ نَارًا، فَإِذَا ارْتَفَعَتْ ارْتَفَعُوا حَتَّى كَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا، وَإِذَا خَفَتْ، رَجَعُوا فِيهَا،

وفيها رجالٌ ونساءٌ عراةٌ. وفيها: حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَهْرٍ مِنْ دَمٍ، ولم يشك فيه رجلٌ قائمٌ عَلَى وَسْطِ النَّهْرِ، وعلى شَطِّ النَّهْرِ رجلٌ، وبينَ يديه حجارةٌ، فأقبلَ الرَّجُلُ الذي في النَّهْرِ، فإذا أَرَادَ أَنْ يُخْرَجَ، رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِيهِ، فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ، فجعلَ كُلُّمَا جَاءَ لِيُخْرَجَ جَعَلَ يَرْمِي فِيهِ بِحَجَرٍ، فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ. وفيها: « فَصَعَدَا بِ الشَّجَرَةِ، فَأَدْخَلَانِي دَارًا لَمْ أَرَقُ أَخْسَنَ مِنْهَا، فيها رجالٌ شيوخٌ وشبابٌ ». وفيها: « الَّذِي رَأَيْتُهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ فَكَذَّابٌ، يُحَدِّثُ بِالْكَذِبَةِ فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الْآفَاقَ، فيُضْنَعُ بِهِ مَا رَأَيْتَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ». وفيها: « الَّذِي رَأَيْتُهُ يُشَدِّخُ رَأْسُهُ فَرَجُلٌ عَلَّمَهُ اللهُ الْقُرْآنَ، فَتَأَمَّ عَنْهُ بِاللَّيْلِ، وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ بِالنَّهَارِ، فَيُفْعَلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ». والدَّارُ الأولى الَّتِي دَخَلْتَ دَارَ عَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَمَّا هَذِهِ الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَدَاءِ، وَأَنَا جَبْرِيلُ، وَهَذَا مِيكَائِيلُ، فَارْفَعْ رَأْسَكَ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا فَوْقِي مِثْلُ السَّحَابِ، قَالَا: ذَاكَ مَنْزِلُكَ، قُلْتُ: دَعَانِي أَدْخُلْ مَنْزِلِي، قَالَا: إِنَّهُ بَقِيَ لَكَ عُمُرٌ لَمْ تَسْتَكْمِلْهُ، فَلَوْ اسْتَكْمَلْتَهُ، أَتَيْتَ مَنْزِلَكَ ».

والشاهد من الحديث قوله: « فَاَنْطَلَقْنَا. فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ وَإِذَا آخَرُ قائمٌ عليه بكُلُوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقَيَّ وَجْهِهِ فَيُشْرِشُرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمِنْخَرَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخِرِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الْأَوَّلِ، فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ حَتَّى يَصِحَّ ذَلِكَ الْجَانِبُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ، فَيَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى ».

وفي آخر الحديث قال : « وأما الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُشْرِشُرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخَرِهِ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكَذْبَةَ تَبْلُغُ الْآفَاقَ . » ومعنى « يشرشر شدقه » أي: يُقَطِّعُ.

والممثلون أعظم الناس كذبا والتمثيلات بجميع أنواعها كلها كذب من أولها إلى آخرها فتقمص الممثل شخصية غيره كذب وكلماته وضحكاته وبكاؤه كذب وأيما كذب وادعاؤه بأن فلانه زوجته وفلان ابنه والبيت الفلاني بيته كل ذلك كذب وهكذا حينما يمثل دور الطبيب أو الضابط أو القاضي كل ذلك كذب فلا تكاد تجد شيئاً في أعمال الممثلين يخلو من الكذب إلا تمثيلهم دور المجرمين فذاك أقرب إلى الصدق من بعض الوجوه وبالذات من حيث الوصف العام .

٢- الغيبة :

﴿ سبق ذكر حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأنها قالت : قلت لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « حسبك من صفية أنها كذا » جاء في بعض الروايات : أي « أنها قصيرة » فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته » . قالت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : وحكى له إنسانا . فقال ما أحب اني حكيت إنسانا وأن لي كذا وكذا ^(١) . »

(١) صَحِيحٌ: رواه أَبُو دَاوُدَ (٤٠٣١) وأحمد في مسنده (٥١١٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع)

(٢٨٣١) وحسنه الوادعي في تحقيقه لتفسير ابن كثير (٢٧٥/١)

فتمثيل المجرمين الفجار للصحابة أو لمن بعدهم من الأخيار هو من أقبح أنواع الغيبة المحرمة في دين الله تبارك وتعالى .

٣- التشبه بالكافرين والوقوع في الأفعال الكفرية لغير ضرورة

﴿ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُحْمِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ ^(١) » .

والممثلون يقعون في هذه المخالفة الشنيعة لغير ما ضرورة فيمثل أحدهم دور أبي لهب أو دور عقبة بن أبي معيط ويمثلون دور فرعون بل ودور إبليس ثم يقولون الكفر ويفعلونه فيسبون الله ويسبون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويستهزئون بالإسلام فما الداعي للوقوع في مثل هذه الكفريات؟ .

ثم يزعمون ويزعم غيرهم بأن هذه مسلسلات أو تمثيلات إسلامية !!!

٤- الإساءة إلى الصحابة وانتقاصهم :

قال الله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَاهُكُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ

(١) صَحِيحٌ: رواه أَبُو دَاوُدَ (٤٠٣١) وأحمد في مسنده (٥١١٤) عن ابن عمر وصححه الشيخان الألباني

والوادعي -عليهما رحمة الله تعالى.

فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿ [الفتح : ٢٩].

وقال سبحانه : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿ [الفتح : ١٨].

وقال سبحانه : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿ [التوبة : ١٠٠].

وفي الصحيحين عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: « خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » ، قال عمران: « فلا أدري أذكر بعد قوله: قرنين أو ثلاثاً ». وهذا لفظ البخاري. وعند مسلم بلفظ: سئل رسول الله ﷺ: أي الناس خير؟ قال: « قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم ».

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أبي بردة عن أبيه قال: صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء، قال: فجلسنا حتى خرج علينا فقال: « ما زلتم هاهنا » ، قلنا: يا رسول الله صلينا معك المغرب، وقلنا نجلس حتى نصلي معك العشاء، قال: « أحستم » أو « أصبتم » ، قال: فرفع رأسه إلى السماء وكان كثيراً ما يرفع رأسه إلى السماء، فقال: « النجوم

أمنة للسماء فإذا ذهب النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهب أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون».

❧ وأخرج البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: « لا تسبوا أصحابي، فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه ».

❧ **قال أبو زرعة :** إذا رأيت الرجل ينتقص امراً من الصحابة فاعلم أنه زنديق؛ وذلك أن القرآن حق والرسول حق وما جاء به حق وما أدى إلينا ذلك كله إلا الصحابة، فمن جرحهم إنما أراد إبطال الكتاب والسنة! فيكون الجرح به أليق والحكم عليه بالزندقة والضلال أقوم وأحق ^(١).

❧ **ونقل ابن قيم الجوزية - رحمه الله - في كتابه حادي الأرواح (ص ٣٦٨):**
ما ذكره حَرْبٌ في مسائله عن الإمام أحمد - رحمه الله - قال : وذكر محاسن أصحاب رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - كلهم والكف عن مساوئهم التي شجرت بينهم، فمن سب أصحاب رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - أو واحداً منهم أو نقصه أو طعن عليه أو عرّض بهم أو عاب أحداً منهم فهو مبتدع رافضي خبيث مخالف لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً .

(١) أخرجه الخطيب في الكفاية (ص ٦٧).

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جريـر المـجامـع

فالواجب على المؤمنين حب الصحابة وإجلالهم ولا يجوز تقمص شخصياتهم من قبل الممثلين الذين يمثلون أدواراً متعددة يمثل أحدهم خالد بن الوليد تارة وتارة يمثل دور العاهر الفاجر في مسلسل آخر ماجن ومن الإساءة للصحابة تمثيل أدوارهم أيام كفرهم ومن الإساءة إليهم تمثيلهم على وجه غير لائق بهم كتمثيل بعض الممثلات لبعض الصحابيات وهن كاشفات لوجوههن يتخاطبن مع الرجال الأجانب ويختلطن بهم إلى غير ذلك من الدس المشين .

٥ - تشويه متعمد لتاريخنا الإسلامي :

إن تشويه الممثلين لتاريخنا الإسلامي يحصل بتشويه رجاله كخالد بن الوليد فيمثلونه وهو يقطع بجيشه المسافات الطوال ليصل إلى بلدة فيها امرأة يحبها ويريد الزواج بها فيدخل مع أهل تلك البلاد في حرب ضروس يُقتل فيها الكثير من الرجال من الطرفين وكل ذلك لقصد الوصول إلى تلك المرأة !! ويمثلون هارون الرشيد وهو غارق في الملذات والشهوات وشرب المسكرات وحوله الجواري الحسان يغنين ويتمايلن حتى ظن بعض المتابعين لهذه المسلسلات أن هارون الرشيد من أهل الفسق والمجون وحاشاه لكن هكذا أراد المجرمون . فهمهم قلب حقائق التاريخ وتشويه شخصياته .

٦- تنشئة الأطفال على حب الصور والموسيقى :

عن أبي عامر أو أبي مالك الأشعري - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - سمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول « ليكوننَّ من أمتي أقوام يستحلون الحرَّ، والخمر، والمعازف، ولينزلنَّ أقوامٌ إلى جنب علم، يروح عليهم بسارحةٍ لهم، يأتيهم - يعني الفقير - لحاجة فيقولون إرجع إلينا غداً، فيبيتهم الله ويضع العلم، ويمسح آخرين قردهً وخنازير إلى يوم القيامة ^(١) » .

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : والمعازف هي جميع آلات الطرب بإجماع أهل اللغة .

وعن أنس بن مالك - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « صوتان ملعونان في الدنيا والآخرة صوت مزمار عند نعمة، ورنة عند مصيبة ^(٢) » .

وعن عمران بن الحصين - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « ليكونن في هذه الأمة خسف، وقذف، ومسح، وذلك إذا شربوا الخمر، واتخذوا القينات، وضربوا بالمعازف ^(٣) » .

والأدلة الدالة على تحريم الأغاني وتحريم الموسيقى كثيرة هذا بعضها والمسلسلات المسماة دينية مليئة بالموسيقى بعضها خاصة بالفرح وبعضها خاصة

(١) البخاري في صحيحه (٥٥٩٠).

(٢) صحيح بمجموع طرقه، السلسلة الصحيحة (٢٢٠٣).

(٣) صحيح : بمجموع طرقه، السلسلة الصحيحة (٢٢٠٣).

بالحزن وبعضها خاصة بالمفاجآت وتبدأ بموسيقى وتنتهي بموسيقى فلو لم تكن فيها من المخالفات سوى هذه لكانت كافية . فكيف إذا انضم إليها غيرها ؟

٨ - تبديد للأموال:

الأموال التي ينفقها القائمون على المسلسلات لا يمكن حصرها وذلك بشراء مستلزمات التمثيل من خيول وسيوف وملابس وتركيبات ولحى تركيية وشعر للرأس مما لا يُحتاج إليه إلا في مثل هذه السخافات وهكذا من شراء أو استئجار عمارات وحدائق وهكذا في مراتب الممثلين والقائمين على ذلك وهكذا ما يتعلق بحقوق التمثيل إلى غير ذلك وقد سبق ذكر بعض الأدلة في النهي عن إضاعة المال الدالة على تحريم ذلك .

٩ - اليمين الغموس :

تكثر عند الممثلين الأيمان الكاذبة الفاجرة فيحلف أحدهم أنه فعل كذا أو أنه حصل كذا وهو لم يفعل ولم يحصل ذلك وهذه كبيرة من الكبائر .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، قَالَ: الْكِبَائِرُ: « الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ ، وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ ^(١) .

(١) رواه البخاري (٦٦٧٥) .

«اليمين الغموس» : التي يحلفها كاذباً عامداً، سميت غموساً؛ لأنها تغمس الحالف في الإثم وقيل في النار.

١٠- الانتساب إلى غير الأب الحقيقي والتبني:

وقد جاء الترهيب من ذلك في أحاديث كثيرة منها :

عن واثلة بن الأسقع، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْفِرَى أَنْ يَدَّعِيَ الرَّجُلُ إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، أَوْ يُرِيَ عَيْنَهُ مَا لَمْ تَرَ، أَوْ يَقُولَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا لَمْ يَقُلْ»^(١).

«الفرى» بكسر الفاء وفتح الراء جمع فرية وهي الكذب والبهت والاختلاق. «يدعي» يتنسب .

وعن سعد بن أبي وقاص وأبي بكره - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قالَا: سَمِعْنَا النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ فَالْجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ»^(٢).

وعن علي بن أبي طالبٍ فَقَالَ: «مَنْ زَعَمَ أَنَّ عِنْدَنَا شَيْئًا نَقَرُوهُ إِلَّا كِتَابَ اللَّهِ وَهَذِهِ الصَّحِيفَةُ - قَالَ: وَصَحِيفَةٌ مُعَلَّقَةٌ فِي قِرَابِ سَيْفِهِ - فَقَدْ كَذَبَ، فِيهَا أَسْنَانُ الْإِبْلِ، وَأَشْيَاءٌ مِنَ الْجَرَاحَاتِ، وَفِيهَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْمَدِينَةُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَى ثَوْرٍ، فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا، أَوْ آوَى مُحْدِثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا، وَلَا عَدْلًا، وَذِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ، يَسْعَى

(١) رواه البخاري : (٣٥٠٩).

(٢) رواه البخاري : (٤٣٢٦).

بَهَا أَذْنَاهُمْ، وَمَنْ أَدْعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، أَوْ انْتَمَى إِلَى غَيْرِ مَوَالِيهِ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا، وَلَا عَدْلًا ^(١) .

وحتى يتبين لك خطورة هذه المسلسلات بشكل أكبر فإليك هذا التعليق المختصر على مسلسل (الرسالة) هذا المسلسل الذي شاع وذاع في كثير من المجتمعات وأعجب به كثير من المسلمين وأصبح أغلب عوام المسلمين يأخذون منه سيرة النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - .

♦ حقائق يجب أن تعرفها عنه :

أولاً : الفيلم لم يُظهر أي دور لأبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهم في الرسالة النبوية المحمدية فهو أخفى كل شيء عنهم وهم كانوا أقرب أصحابه ولم يفارقوه طوال فترة دعوته وجهاده عليه الصلاة والسلام وهذا لحقد الشيعة على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثانياً : قال أبو سفيان في حوار مع عمار بن ياسر في الفيلم أنتم تقولون (أن الله في كل مكان) فلم يرد عمار - على حسب الفيلم - لم يرد عليه وفوت هذه المصيبة العقائدية .

والصحيح : أننا أهل السنة والجماعة لا نقول أن الله بذاته سبحانه في كل مكان بل الله ﴿ على العرش استوى ﴾ ، أما فكرة أن الله في كل مكان يعني في الخلاء وفي الحيوانات وفي الشجر والحجر هو معتقد شيعي ومعتقد صوفي ومعتقد نصراني وليس معتقدنا ولا هو معتقد الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

(١) رواه مسلم : (١٣٧٠) .

ثالثاً : ورد في الفيلم أن هند بنت عتبة اتفقت مع وحشي على قتل حمزة بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأنها أكلت كبده وأن المكافأة أنها سوف تعتقه وتعطيه وزنه ذهباً . وهذا في الحقيقة لم يحدث وليس له أصل بل إن وحشي لم يكن عبداً لهند بنت عتبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بل كان عبداً لجبير بن مطعم وهو من أمره بذلك ثاراً لمقتل عمه طعيمة بن عدي في بدر .

رابعاً : ورد في الفيلم أن هند بنت عتبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أكلت كبدة حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تشويهاً لصورتها وهذا غير صحيح وهو مأخوذ من الطبرسي الشيعي الكذاب ولم يثبت عند أهل السنة أنها أكلت كبدة سيد الشهداء حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والأحاديث الواردة في هذه المسألة كلها محكوم عليها بالضعف سواء لعله في السند أو المتن .

خامساً : اعتبر الفيلم أبا طالب مسلماً موحداً ويدعو للتوحيد وهذا غير صحيح فأبو طالب مات على الكفر فقد روى البخاري ومسلم وأحمد والترمذي والنسائي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : « لما حضرت وفاة أبي طالب أتاه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال : يا عماه قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة فقال : لولا أن تعيرني قريش يقولون : ما حملة عليه إلا جزع الموت لأقررت بها عينك لا أقولها إلا لأقر بها عينك فأنزل الله عز وجل : « إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين »

سادساً : مقتل أبي جهل والذي جاء في الفيلم أنه قتل برمح من مجهول والحقيقة أنه قتل على يد غلامين من الصحابة وهما معاذ بن عمرو بن الجموح ومعوذ ابن عفراء وذلك قصاصاً منه لسبه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

سابعاً: تلفيق واقعة العنكبوت الذي سد باب الغار وقت هجرة النبي **صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وهي قصة لا أساس لها من الصحة وليس لها أصل .

ثامناً: إظهار الصحابة دون لحى وكأن النبي **صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لم يأمر أصحابه بإعفاء اللحية .

تاسعاً : إظهار كفار قريش بلحى كبيرة بشكل قبيح الهيئة مستقذر المنظر في رسالة غير مباشرة لشويه اللحية وأصحابها .

عاشراً : إظهار خنجر أبي لؤلؤة اللعين الذي يمجدّه الشيعة على أنه سيف علي **رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ** وهذا خطأ وسيف علي اسمه ذو الفقار وله رأس واحد وليس رأسين .

أخيراً : والذي سيبين أن الفيلم خبيث دسيس على الدين وقام بتشويه أهل السنة وتشويه الصحابة **رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ** وأرضاهم هو :

١. كل المصادر التي اعتمد عليها الفيلم مصادر شيعية سواء في سرد التفاسير أو الأحاديث .

٢. الفيلم من مراجعة المجلس الإسلامي الشيعي بلبنان وإخراج الرافضي السوري مصطفى العقاد .

إنها حقيقة مؤلمة عندما لا تجد في ذاكرة الناس من سيرة نبهم سوى فيلم (الرسالة) والله المستعان .

وهذا مجرد مثال واحد لبيان خطر هذه المسلسلات التي يتفاعل معها كثير من المسلمين ويحسبون كل ما يُعرض فيها حقائق ثابتة لا تقبل الجدل.

الفصل الثاني

أهم الغزوات والمعارك
التي
وقعت في شهر رمضان

الغزوات المذكورة في هذا البحث هي :

١	غزوة بدر	١٠	معركة عين جالوت
٢	فتح مكة	١١	معركة حارم
٣	معركة الجسر	١٢	فتح أرمينيا
٤	معركة البويب	١٣	معركة شقحب
٥	فتح النوبة (السودان)	١٤	فتح البوسنة والهرسك
٦	فتح جزيرة رودوس	١٥	فتح بلغراد
٧	فتح الأندلس	١٦	معركة الحبشة
٨	معركة بلاط الشهداء	١٧	حرب النكسة ٦٧
٩	فتح عمورية	١٨	معركة العاشر من رمضان ١٣٩٣ هـ جريه بين مصر وسوريا واليهود من جهة أخرى وسقوط خط (بارليف)

الأولى :غزوة بدر الكبرى

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [آل عمران : ١٢٣].

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ [الأنفال : ٥ - ٨].

بدر مدينة تبعد عن المدينة النبوية بمائة وخمسين كيلو مترا وقد كانت قبل واديا به بئر يملكها رجل يقال له بدر فسميت باسمه وقيل هو اسم حافرها وهو بدر بن الحارث ، وقيل : بدر بن كلداء، وقيل إنها سميت بذلك : لاستدارتها، وقيل : لصفائها ورؤية البدر فيها.

♦ ووقعت عنده غزوة بدر

يقال لها غزوة بدر الكبرى ، أو العظمى ، وتسمى بدر الثانية ، وتسمى بدر القتال. وهي يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والواقعة العظيمة التي فرق الله فيها بين الحق والباطل ، وأعز الإسلام وأهله ، ودمغ الكفر وأهله .

س: متى كانت؟

كانت في السنة الثانية من الهجرة من شهر رمضان - باتفاق أهل السير - يوم الجمعة والجمهور أنها كانت في السابع عشر.

يقول ابن أبي العز - رحمه الله تعالى - في أرجوزته :

والغزوة الكبرى التي ببدر في الصوم في سابع عشر الشهر سببها:.

بلغ رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - أن عيراً لقريش مقبلة من الشام صحبة أبي سفيان وهي عير عظيمة تحمل أموالاً جزيلة في ثلاثين أو أربعين رجلاً فبعث رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - بُسَيْسَةَ بن عمرو الجهني عَيْناً ينظر ما صنعت عير أبي سفيان فجاء فحدثه الحديث فخرج رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - فتكلم فقال : **إِنَّ لَنَا طَلِبَةً^(١)** فمن كان ظهره حاضراً فليركب معنا فجعل رجال يستأذنونهم في ظهرانهم في علو المدينة فقال: (لا إلا من كان ظهره حاضراً) ولم يستعد لها رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - استعداداً كبيراً بل تعجل بمن كان مستعداً دون أن ينتظر من رغب في الخروج من سكان العوالي لئلا تفوتهم القافلة فخرج في ثلاثمائة وبضعة

(١) أي شيئاً نطلبه.

عشر ^(١) منهم مائة من المهاجرين وبقيتهم من الأنصار وكان معهم سبعون بعيراً يتعاقبون على ركوبها الرجال والثلاثة على البعير الواحد .

عن عبد الله بن مسعود قال: كُنَّا يَوْمَ بَدْرٍ كُلُّ ثَلَاثَةٍ عَلَى بَعِيرٍ، كَانَ أَبُو لُبَابَةَ وَعَلِيٌّ زَمِيلَي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ فَكَانَتْ عُقْبَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَا نَحْنُ نَمْشِي عَنْكَ فَقَالَ: « مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى مِنِّي وَلَا أَنَا بِأَعْنَى عَنِ الْأَجْرِ مِنْكُمَا » ^(٢).

ولم يكن معه من الخيل سوى فرس للزبير وفرس للمقداد بن الأسود الكندي خرج وأصحابه لثمان خلون من رمضان ودفع ﷺ اللواء إلى مصعب بن عمير والراية الواحدة إلى علي بن أبي طالب والراية الأخرى إلى رجل من الأنصار واستخلف على المدينة وعلى الصلاة عبد الله بن أم مكتوم فلما كان بالروحاء رد أبا لبابة بن عبد المنذر واستعمله على المدينة بلغ أبا سفيان خروج رسولنا الكريم - ﷺ - وقصده إياه فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري

(١) البخاري: (٣٩٥٨).

(٢) صحيح: رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ (١ / ٤١١) والنسائي في السير تحفة الاشراف (٧ / ٢٦) والبيهقي في الدلائل (ج ٣ / ٣٩) والحاكم في المستدرک (٣ / ٢٠) وقال: صحيح على شرط الشيخين. وصححه الشيخان الألباني والوادعي عليهما رحمة الله - تعالى والمشهور عند أهل المغازي أن أبا لبابة رده النبي ﷺ من الروحاء واستخلفه على المدينة، وعده ابن سعد من المتخلفين في المدينة ولم يذكر مسيرة إلى الروحاء، وفي ابن الأثير أن زميلي النبي ﷺ على وزيد بن حارثة.

إلى مكة مستصرخاً لقريش بالنفير إلى غيرهم ليمنعوه من محمد وأصحابه فلما وصل مكة شق قميصه وحول رحله وجدع أنف بعيره.

وصرخ قائلاً : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشِ اللَّطِيمَةِ اللَّطِيمَةِ، أَمْوَالُكُمْ مَعَ أَبِي سُفْيَانَ، وَتِجَارَتُكُمْ قَدْ عَرَضَ لَهَا مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ، فَالْغَوْثَ الْغَوْثَ .

فأعلنت قريش النفير العام ونهضوا مسرعين وأوعبوا في الخروج فلم يتخلف من أشرافهم أحد سوى أبي لهب فإنه عوض عنه رجلاً كان عليه دين وحشدوا فيمن حولهم من قبائل العرب ، ولم يتخلف عنهم أحد من بطون قريش إلا بني عدي فلم يخرج معهم منهم أحد. خرجت قريش وقد جندت كل طاقتها وهي في أشد الغضب حيث اعتبرت هذا الفعل امتهاناً لكرامتها وخطأً لمكانتها خرجوا من ديارهم كما قال الله تعالى : ﴿ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [الأنفال: ٤٧] . ثم إن قريشاً تذكرت ما كان بينها وبين بني بكر فترددت وكاد ذلك يشيهم فتبدى لهم إبليس على صورة سُراقَة بن مالك بن جُعشم المدلجي وكان من أشراف بني كنانة فقال لهم أنا جار لكم من أن تأتاكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه ^(١) .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ زَيْنَ هُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي

(١) ابن هشام في السيرة (١ / ٦١٢)، وسنده صحيح لكنه مرسل، ابن كثير من طريقه (٢ / ٤٣٢).

أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٧﴾ [الأنفال: ٤٧] غرهم لعنه الله حتى ساروا وسار معهم منزلة منزلة ومعه جنوده وراياته كما قاله غير واحد منهم، فأسلمهم لمصارعهم. فخرجوا سراعا بجيش بلغ عدده ألف مقاتل ولما بلغ رسولنا الكريم - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - خبر خروج قريش أخبر أصحابه واستشارهم فقال : (أشيروا علي أيها الناس) ، فقام أبو بكر الصديق، فتكلم وأحسن. ثم قام عمر بن الخطاب، فتكلم وأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله، امضي لما أراك الله، فنحن معك، والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿ **فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ [المائدة: ٢٤]** . ولكن نقول : (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فو الذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه) فقال له رسول الله خيرا، ودعا له . ثم قال رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - : (أشيروا علي أيها الناس)، وإنما يريد الأنصار، وذلك أنهم كانوا عدد الناس ^(١) وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا: يا رسول الله: إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا، فأنت في ذمتنا، نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا، فكان رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو في بلادهم. فلما قال ذلك رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - ، قال سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال:

(١) أي: أكثر الناس، فهم أكثر من المهاجرين.

(أجل). قال: فقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا، على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فو الذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصبر في الحرب، صدق عند اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله، فسر رسول الله - **صلى الله عليه وسلم** - بقول سعد ونشطه ذلك، ثم قال: (سيروا وابشروا، فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم ^(١)).

ولما قرب رسولنا الكريم - **صلى الله عليه وسلم** - من الصفراء بعث بسبس بن عمرو الجهني وعدي بن أبي الزغباء الجهني إلى بدر يتحسسان الخبر - خبر العير - فوصلا فسمعا جارية تقول لصاحبتهما: ألا تقضيني ديني؟ فقالت الأخرى: إنما تقدم العير غداً أو بعد غد فأعمل لهم وأقضيك. فصدقها مجدي بن عمرو. فانطلقا مقبلين لما سمعا وجاء بعدهما أبو سفيان، فقال لمجدي بن عمرو: هل أحسست أحداً من أصحاب محمد؟ فقال: لا إلا أن راكبين نزلا عند تلك الأكمة.

(١) صحيح : أخرجه ابن هشام في السيرة: (١/ ٦١٤ - ٦١٥)، بإسناد صحيح وقد صرح ابن إسحاق بالسماع، وأخرجه الطبراني وإسناده حسن كما في المجموع (٦/ ٧٣)، والبيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٣٢)، وقال ابن كثير في البداية (٣/ ٢٦٢ - ٢٦٣) هكذا رواه ابن إسحاق رحمه الله، وله شواهد من وجوه كثيرة من، ذلك رواية البخاري والنسائي وأحمد.

فانطلق أبو سفيان إلى مكانهما وأخذ من بعر بعيرهما ففثته فوجد فيه النوى فقال: والله هذه علائف يثرب، فعدل بالبعير إلى طريق الساحل، فنجا وبعث إلى قريش يعلمهم أنه قد نجا هو والبعير ويأمرهم أن يرجعوا.

فبلغ ذلك قريشاً، فأبى أبو جهل وقال: والله لا نرجع حتى نرد ماء بدر، ونقيم عليه ثلاثاً، ونشرب الخمر، وتضرب على رؤوسنا القيان، فتهابنا العرب أبداً، فرجع الأخنس بن شريق بقومه بني زهرة قاطبة، وقال: إنما خرجتم لتمنعوا عيركم وقد نجت وواصل رسولنا الكريم - **صلى الله عليه وسلم** - سيره حتى نزل قريب بدر ثم أرسل علياً وسعداً والزبير إلى ماء بدر يلتمسون الخبر، فقدموا بعبدین لقريش، ورسول الله **صلى الله عليه وسلم** قائم يصلي، فسألها أصحابه لمن أنتم.

؟ فقالوا: نحن سقاة لقريش.

فكره ذلك أصحاب رسول الله **صلى الله عليه وسلم** وودوا أن لو كانا لغير أبي سفيان وأنه منهم قريب ليفوزوا به، لأنه أخف مؤونة من قتال النفير من قريش لشدة بأسهم واستعدادهم لذلك، فجعلوا يضربونها، فإذا آذاهما الضرب قالوا: نحن لأبي سفيان. فإذا سكتوا عنها قالوا: نحن لقريش. فلما انصرف رسول الله **صلى الله عليه وسلم** من صلاته قال: والذي نفسي بيده إنكم لتضربونها إذا صدقا وتتركونها إذا كذبا.

ثم قال لهما: أخبراني أين قريش؟ قالوا: وراء هذا الكثيب.

قال: كم القوم؟ قالوا: لا علم لنا. فقال: كم ينحرون كل يوم؟ فقالوا: يوماً عشراً ويوماً تسعاً: فقال **صلى الله عليه وسلم**: «القوم ما بين التسعمائة إلى الألف» ^(١) ثم بادر **صلى الله عليه وسلم** قريشا إلى بدر وبني لرسول الله **صلى الله عليه وسلم** عريش أو قبة ^(٢) يكون فيه باقتراح من سعد بن معاذ

♦ ليلة المعركة دعاء واستفتاح ومطر

وبات رسول الله تلك الليلة يصلي إلى جذع شجرة هناك، ويدعوا ربه ويتضرع بين يديه، فاستقبل نبي الله **صلى الله عليه وسلم** القبلة، ثم مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: «اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنَّ تُهْلِكَ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبِدْ فِي الْأَرْضِ»، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَا ذَا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكَبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكَبَيْهِ، ثُمَّ التَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، كَفَاكَ مُنَاشِدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال (٩)]. فأمدّه الله بالملائكة ^(٣)

(١) رواه مسلم (١٧٧٩) عن أنس وأخرجه أحمد (١١٧/١) وأبو داود (٢٦٦٥) عن علي بن أبي طالب وصححه الشيخان الألباني والوادعي عليها رحمة الله تعالى.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب إذ تستغيثون ربكم ... رقم (٣٩٥٣) من طرق متعددة. والقبة بيت صغير من الخيام وكل بناء مدور.

(٣) صحيح: رواه مسلم: (١٧٦٣).

ثم خرج - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - من عريشه وهو يقول : ﴿ **سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ** ﴾ [القمر :٤٥] ^(١) ومشى في موضع المعركة وجعل يريهم مصارع رءوس القوم واحدا واحدا يقول : « هذا مصرع فلان غدا إن شاء الله وهذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فما أخطأ واحد منهم موضعه الذي أشار إليه رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** » ^(٢) .

وبات أبو جهل يدعو ويستفتح !! فكان يقول : « اللهم أينما كان أقطع للرحم وأتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة » ^(٣) .

- وبات المسلمون ليلاً هادئاً الأنفاس منير الآفاق، غمرت الثقة قلوبهم، وأخذوا من الراحة قسطهم، يأملون أن يروا بشائر ربهم بعيونهم صباحاً وأنزل الله مطراً على أرض المعركة تلك الليلة فكان ذلك من جملة التدبيرات الإلهية قال سبحانه : ﴿ **إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمُ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ** ﴾ [الأنفال :١١] .

(١) رواه البخاري : (٢٩١٥) .

(٢) صحيح : رواه مسلم : (١٧٧٩) من حديث أنس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** وأخرجه برقم (٢٨٧٣) من حديث عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** .

(٣) صحيح : رواه أحمد (٤٣١ / ٥) والنسائي في التفسير (٢٢١) . وصححه العلامة المحدث الوادعي في الصحيح المسند من أسباب النزول ومعنى أحنه الغداة : أي اقتله .

قال علي: « أصابنا من الليل طش من المطر - يعني الليلة التي كانت صبيحتها وقعة بدر - فانطلقنا تحت الشجر والحجف، نستظل تحتها من المطر، وبات رسول الله - ﷺ - يدعو ربه ويقول: «اللهم إن تهلك هذه الفئة لا تعبد^(١)» .

- وغشي المسلمين تلك الليلة نعاس شديد :

قال سبحانه : ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ [الأنفال: ١١].

قال علي : لقد رأيتنا يوم بدر وما منا إلا نائم إلا رسول الله فإنه كان يصلي إلى شجرة ويدعو حتى أصبح .

♦ صبيحة المعركة :

ولما طلع الفجر نادى المنادي : الصلاة يا عباد الله فجاء الناس من تحت الشجر والحجف فصلى بهم رسول الله - ﷺ - ثم حرض على القتال ثم رص رسولنا الكريم - ﷺ - أصحابه صفوفاً وحصلت أمور قبل المعركة منها :

(١) صحيح : أخرجه أحمد في المسند: (١ / ١١٧)، وأبو داود (٢٦٦٥)، في الجهاد باب في المبارزة من حديث علي وإسناده صحيح، وصححه الشيخان الألباني والوادعي - عليها رحمة الله تعالى - .

١- إظهار العدو بمظهر القلة :

حينما أصبح المسلمون مع المشركين وجها لوجه في الميدان. يظهر تدبير إلهي بمغايرة جديدة حول العدد الذي هو ميزان القوة والقتال. فيقلل كلا الطائفتين في نظر الأخرى قال سبحانه : ﴿وَإِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَاكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكُهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤٣) وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَقُّتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ [الأنفال: ٤٣-٤٤].

٢- توجيهان نبويان كريمان :

وبعد رص الصفوف وقبل بدء المعركة أصدر الرسول — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — توجيهات كريمة منها :

﴿قوله — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — : « لا يقدمن أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه ^(١) » .

﴿وقوله — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — : « إذا أكشبوكم فارموهم بالنبل واستبقوا نبلكم ^(٢) » .

(١) أخرجه مسلم في الإمامة باب ثبوت اللجنة للشهيد: رقم (١٩٠١)، أحمد في المسند: (٣ / ١٣٦ - ١٣٧)،

والحاكم في المستدرک: (٣ / ٤٢٦) - وابن سعد في الطبقات: (٢ / ٢٥)، والبيهقي في السنن: (٩ / ٤٣).

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب من شهد بدرًا رقم: (٣٩٨٤، ٣٩٨٥) أحمد انظر الفتح الرباني: (

٢١ / ٤٢) والبيهقي في الدلائل: (٣ / ٧٠).

وفي رواية أبي داود زيادة : « إذا اكشبوكم فارموهم بالنبل ، ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم ^(١) » .

٣- نزول جبريل عليه السلام للمشاركة في المعركة :

قال - تعالى - : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ ﴾ [الأنفال : ٩] .

فأمد الله نبيه بالملائكة الكرام لحكمة أخبر عنها سبحانه في كتابه فقال : ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران : ١٢٦] .

وخفق رسول الله - ﷺ - خفقة في العريش ثم انتبه فقال : « أبشريا أبا بكر هذا جبريل معتجراً بعمامته آخذ بعنان فرسه يقوده على ثنياه النقع أتاك نصر الله وعدته » .

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي - ﷺ - قال يوم بدر : « هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب ^(٢) » .

(١) أخرجه أبو داود في السنن طبعة الساعاتي : (٤٨ / ٢) وسكت عنه المنذري ، وفي إسناده إسحاق بن نجيح قال في التقريب : (٦١ / ١) ، مجهول ، ومالك بن حمزة بن أبي أسيد : التقريب : (٢ / ٢٢٤) ، مقبول ، ولكنه أخرجه بإسناد آخر وهو سند حسن في نفس الصفحة .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب شهود الملائكة بدرًا رقم (٣٩٩٥) .

♦ انشقاق وتنازع في صفوف الكفار :

ومن التدابير الإلهية التنازع الكبير الذي حصل بين المشركين حول قرار المواجهة يقول علي بن أبي طالب - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - " فلما دنا القوم منا وصاففناهم إذا رجل منهم على جمل أحمر، يسير في القوم، فقال رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - : « يا علي ناد حمزة »، وكان أقربهم من المشركين من صاحب الجمل الأحمر وماذا يقول لهم، ثم قال رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - : « إن يكن في القوم أحد يأمر بخير فعسى أن يكون صاحب الجمل الأحمر »، قال: هو عتبة بن ربيعة، وهو ينهى عن القتال، ويقول لهم: يا قوم: إني أرى قومًا مستميتين لا تصلون إليهم، وفيكم خير، يا قوم، اعصبوها اليوم برأسي وقولوا جبن عتبة بن ربيعة، وقد علمتم أنني لست بأجبنكم، فسمع ذلك أبو جهل فقال: أنت تقول هذا، والله لو غيرك يقول لأعضضته، قد ملأت رثك جوفك رعبًا، فقال عتبة: إياي تعني يا مصفر استه، ستعلم اليوم أننا الجبان ^(١) .

(١) صحيح : أخرجه أحمد في المسند (١ / ١١٧)، وأبو داود (٢٦٦٥)، في الجهاد باب في المبارزة من حديث علي وإسناده صحيح، وصححه الشيخان الألباني والوادعي - عليهما رحمة الله تعالى - .

بداية المعركة

❖ مبارزة فردية :

ثم خرج عتبة بن ربيعة، بين أخيه شيبه بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة، حتى إذا فصل من الصف دعا إلى المبارزة، فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة، وهم عوف، ومعوذ، أبناء الحارث - أمهما عفراء - وعبد الله بن رواحة فقالوا: من أنتم؟ فقالوا: رهط من الأنصار. قالوا: ما لنا بكم من حاجة. ثم نادى منادهم: يا محمد، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا. فقال رسول الله - ﷺ -: قم يا عبدة بن الحارث، قم يا حمزة، قم يا علي، فلما قاموا ودنوا منهم.

قالوا: من أنتم؟ قال عبدة: عبدة، وقال حمزة: حمزة، وقال علي: علي، قالوا: نعم، أكفاء كرام. فبارز عبدة - وكان أسن القوم، عتبة بن ربيعة، وبارز حمزة شيبه بن ربيعة، وبارز علي الوليد بن عتبة.

فأما حمزة فلم يمهل شيبه أن قتله، وأما علي فلم يمهل الوليد أن قتله، واختلف عبدة وعتبة بينهما ضربتين، كلاهما أثبت صاحبه، وكر حمزة وعلي بأسيا فها على عتبة فذفقا عليه، واحتملا صاحبهما، فحازاه إلى أصحابه ^(١).

❖ اصطدم الجيشين :

فلما رأى المشركون مصرع أصحابهم هجموا على المسلمين هجوماً كاسحاً فأصدر رسول الله ﷺ أوامره إلى جيشه بالهجمة المضادة فقال: وهو

(١) صحيح: أخرجه ابن هشام في السيرة بإسناد حسن عن ابن إسحاق (١/ ٢٢٥) ولكنه مرسل، وهو في فتح الباري: (٧/ ٢٩٨) وأخرجه الإمام أحمد بتحقيق أحمد شاکر: (٢/ ١٩٣) من حديث علي وإسناده صحيح. وصححه الشيخان الألباني والوادعي عليهما رحمة الله تعالى ومعنى فذفقا: أسرعا قتله.

يخضهم على القتال، : « قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض، (وحيثذ) قال عمير بن الحمام: بخ. بخ، فقال رسول الله ﷺ: ما يملكك على قولك: بخ بخ؟ قال: لا، والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال: فإنك من أهلها. فأخرج تمرات من قرنه، فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها حياة طويلة، فرمى بها كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قتل^(١).

❖ مشاركة الملائكة في القتال :

و يأمر ربنا سبحانه الملائكة بالتحرك لمساندة المسلمين قال الله عز وجل : ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ﴾ [الأنفال: ٩].

فحضرت الملائكة للمشاركة في المعركة وفي مقدمتهم جبريل - عليه السلام حتى قال النبي - ﷺ- « هذا جبريل أخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب^(٢) ». وبينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في إثر رجل من المشركين أمامه، إذ

(١) أخرجه مسلم في الإمارة باب ثبوت الجنة للشهيد: رقم: (١٩٠١)، أحمد في المسند: (٣ / ١٣٦ - ١٣٧

، والحاكم في المستدرک: (٣ / ٤٢٦) - وابن سعد في الطبقات: (٢ / ٢٥)، والبيهقي في السنن: (٩ /

٤٣). ومعنى بخ بخ: كلمة تطلق لتفخيم الأمر وتعظيمه في الخير.

وقرنه: جعبة الشباب.

(٢) سبق تخريجه .

أخرجه مسلم في الجهاد باب الإمداد بالملائكة من حديث عمر الذي حدثه ابن عمر رقم: (١٧٦٣).

انظر شرح مسلم للنووي: (١٢ / ٨٥ - ٨٦) .

سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول أقدم حيزوم. فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقيًا، فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله - ﷺ - فقال: « صدقت، ذلك من مدد السوء الثالثة ^(١) »

وجاء رجل من الأنصار قصير بالعباس بن عبد المطلب أسيرًا، فقال العباس: يا رسول الله إن هذا والله ما أسرني، لقد أسرني رجل أجلع من أحسن الناس وجهًا على فرس أبلق ما أراه في القوم، فقال الأنصاري: أنا أسرته يا رسول الله فقال: « اسكت فقد أيدك الله تعالى بملك كريم ^(٢) » .

ثم أخذ رسول الله ﷺ حفنة من الحصباء، فاستقبل بها قريشا وقال: شأهت الوجوه، ورمى بها في وجوههم، فما من المشركين أحد إلا أصاب عينه ومنخريه وفمه من تلك القبضة، وفي ذلك أنزل الله: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ [الأنفال: ١٧] ^(٣) .

خطم: الخطم الأثر على الأنف. حيزوم: اسم الفرس الذي يركبه الملك.

صحيح : أخرجه أحمد في المسند: (١ / ١١٧)، وأبو داود: (٢٦٦٥)، في الجهاد باب في المبارزة من حديث علي وإسناده صحيح، وصححه الشيخان الألباني والوادعي - عليها رحمة الله تعالى - روى الطبراني ذلك بإسنادين صحيحين إلى عروة وقتادة لكنهما مرسلان وبعضهم يقول : المرسل إذا تعددت مخارجه قوي .

(١) أخرجه مسلم (١٧٦٣).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٩٤٨).

(٣) رواه الطبراني : (١١٧٥٠) ورجاله رجال الصحيح.

ومعنى شأهت الوجوه - أي قبحت

وظهرت البطولات الإسلامية العظمى فمن ذلكم :

❖ **شجاعة رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**

كان رسولنا الكريم - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - أشجع رجلٍ في بدر أظهر شجاعة وبطولة لا نظير لها:

يقول علي بن أبي طالب - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - : « لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأساً » وفي لفظ : « لما كان يوم بدر اتقينا المشركين برسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - وكان أشد الناس بأساً » ^(١) .

❖ **شجاعة الغلامين الصغيرين اللذين صرعا أبا جهل :**

قال عبد الرحمن بن عوف - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - : « لقد رأيتني يوم بدر في الصف بين غلامين حديثه أسنانهما، فتمنيتُ أن أكون بين أكبر منهما، قال: فغمزني الذي عن يميني وقال: يا عماه أين أبو جهل؟ فقلت: يا ابن أخي ومالك ولأبي جهل قال: يا عماه لقد أخبرت أنه كان يسب رسول الله! لئن لقيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا. قال: ثم غمزني الذي عن يساري وأسرَّ إليّ بمثلها، فلم أنشب أن رأيت أبا جهل يجول في الناس. فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذي تسألان

(١) صحيح : أخرجه أحمد في المسند: (١ / ٨٦)، وأبو الشيخ في أخلاق النبي - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - (ص:

٥٧)، من طريق وكيع حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن حارثة بن مضرب به، وهذا إسناد صحيح فقد

صحح الشيخان رواية إسرائيل عن جده، وانظر مجمع الزوائد: (٩ / ١٢)، وصححه أحمد شاكر في تعليقه

على المسند: (٢ / ٢٢٨)، ويشهد له حديث البراء عند مسلم: (١٧٧٦)، الجهاد باب في غزوة حنين.

عنه، فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه . ثم انصرفا إلى رسول الله - **صلى الله عليه وسلم** - فأخبراه، فقال: (أيكما قتله؟) فقال كل واحد منهما: أنا قتلتها، فقال: (هل مسحتما سيفيكما؟) قالا: لا: فنظر في السيفين فقال: (كلاكما قتله)، وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح. والرجلان معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعاذ بن عفراء ^(١) .

والظاهر أنها تركاه مشخناً في جراحه قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة فقد روى أبو داود في **"سننه"** وأحمد في **"مسنده"**: أن عبد الله بن مسعود **رضي الله عنه** قال: **«** أدركت أبا جهل يوم بدر صريعاً، فقلت: أي عدو الله قد أخزأك الله؟ قال: وبما أخزاني: من رجل قتلتموه، ومعى سيف لي، فجعلت أضربه ولا يحتك فيه شيء، ومعه سيف له جيد، فضربت يده فوقع السيف من يده فأخذته، ثم كشفت المغفر عن رأسه فضربت عنقه، ثم أتيت النبي - **صلى الله عليه وسلم** - فأخبرته، فقال: **«** الله الذي لا إله إلا هو **»**.

قلت: الله الذي لا إله إلا هو.

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب فضل من شهد بدرًا رقم: (٣٩٨٨) ومسلم في الجهاد والسيرة باب استحقاق القاتل سلب القتل: (١٧٥٢) والحاكم: (٤٢٥ / ٣) والطبري في التاريخ: (٤٥٤ - ٤٥٥) والبيهقي في الدلائل: (٨٣ - ٨٥) .

صحيح : أخرجه الهيثمي في المجمع: (٧٩ / ٦) وقال رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن وهب بن أبي كريمة وهو ثقة، قال عنه في التقريب: (٢١٦ / ٢)، صدوق من العاشرة فيكون الحديث حسناً والله أعلم .

قال: فانطلق فاستثبت فانطلقت وأنا أسعى مثل الطائر، ثم جئت وأنا أسعى مثل الطائر أضحك فأخبرته.

فقال رسول الله - ﷺ -: «انطلق» فانطلقت معه فأريته، فلما وقف عليه - ﷺ - قال: «هذا فرعون هذه الأمة (١)» .

♦ شجاعة سعد بن أبي وقاص:

وكان سعد يقاتل مع رسول الله - ﷺ - قتال الفارس والراجل (٢)



(١) حسن: رواه الطبراني: (٨٤٦٨-٨٤٧٦) والبيهقي في الدلائل (٢/٢٦١-٢٦٢).

(٢) كشف الأستار: (١٧٦٨ - ١٧٦٩) وقال الهيثمي في المجمع: (٦/٨٢) رواه البزار بإسنادين أحدهما

متصل والآخر مرسل ورجاهما ثقات).

نهاية مفرحة

انقشع غبار المعركة عن نصر عظيم قتل سبعون من المشركين وأسر سبعون (١) واستشهد من المسلمين أربعة عشر (٢) ستة من المهاجرين وهم :

١	عبدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف.
٢	وعمير بن أبي وقاص، أخو سعد بن أبي وقاص، قتل يومئذ وله ستة عشر عاما.
٣	وذو الشمالين بن عبد عمرو بن نضلة الخزاعي، حليف بني زهرة.
٤	وعاقل بن البكير الليثي، حليف بني عدى بن كعب.
٥	ومهجع، مولى عمر بن الخطاب.
٦	وصفوان بن بيضاء، من بني الحارث بن فهر

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في المغازي: حديث رقم: (٣٩٨٦).

(٢) ابن هشام: السيرة (٢/ ٤٢٨). وابن كثير: البداية والنهاية (٣/ ٣٢٧). (٣٠).

وثمانية من الأنصار وهم :

١	سعد بن خيثمة بن عمرو بن عوف.
٢	ومبشر بن عبد المنذر
٣	ويزيد بن الحارث
٤	عمير بن الحمام.
٥	رافع بن المعلى.
٦	حارثة بن سراقة.
٧-٨	وعوف، ومعوذ، ابنا عفراء. قتلا أبا جهل ثم قتلا بعد ذلك .

وممن قتل من المشركين :

١ - أبو جهل وقد سبق ذكر مقتله .

٢- أمية بن خلف

عن سعد بن معاذ أنه كان صديقاً لأمية بن خلف، وكان أمية إذا مر بالمدينة

نزل على سعد، وكان سعد إذا مر بمكة نزل على أمية، فلما قدم رسول الله -

ﷺ المدينة انطلق سعد معتمراً، فنزل على أمية بمكة، فقال لأمية: »

انظرني ساعة خلوة لعلني أن أطوف بالبيت، فخرج به قريباً من نصف النهار، فلقيهما أبو جهل فقال: يا أبا صفوان من هذا معك؟

فقال: هذا سعد. فقال له أبو جهل: ألا أراك تطوف بمكة آمناً وقد آوَيْتُم الصبابة، وزعتم أنكم تنصرونهم وتعينوهم. أما والله لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعت إلى أهلك سالماً، فقال له سعد -ورفع صوته عليه-: أما والله لئن منعني هذا لأمنعك ما هو أشد عليك منه: طريقك على المدينة، فقال له أمية: لا ترفع صوتك يا سعد على أبي الحكم سيد أهل الوادي. فقال سعد: دعنا عنك يا أمية، فوالله لقد سمعت رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - يقول: (إنهم قاتلوك). قال: بمكة؟ قال: لا أدري، ففرع لذلك أمية فزعاً شديداً. فلما رجع أمية إلى أهله قال: يا أم صفوان، ألم تري ما قال لي سعد؟ قالت: وما قال لك؟ قال: زعم أن محمداً أخبرهم أنهم قاتلي. فقلت له: بمكة؟ قال: لا أدري. فقال أمية: والله لا أخرج من مكة. فلما كان يوم بدر استنفر أبو جهل الناس قال: أدركوا عيركم، فكره أمية أن يخرج، فأتاه أبو جهل فقال: يا أبا صفوان إنك متى ما يراك الناس قد تخلفت، وأنت سيد أهل الوادي تخلفوا معك، فلم يزل به أبو جهل حتى قال: أما إذا غلبتني فوالله لأشتري أجود بغير بمكة. ثم قال أمية: يا أم صفوان جهزيني. فقالت له: يا أبا صفوان وقد نسيت ما قال لك أخوك اليثربي؟ قال: لا ما أريد أن

أجوز معهم إلا قريباً. فلما خرج أمية أخذ لا يترك منزلاً إلا عقل بعيره. فلم يزل بذلك حتى قتله الله - عز وجل - ببدر» ^(١)

❖ قصة مقتله :

قال عبد الرحمن بن عوف **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: كاتبت أمية بن خلف كتاباً بأن يحفظني في صاغيتي بمكة، وأحفظه في صاغيته بالمدينة، فلما ذكرت «الرحمن» قال: لا أعرف الرحمن، كاتبني باسمك الذي كان في الجاهلية، فكاتبته (عبد عمرو).

فلما كان في يوم بدر خرجت إلى جبل لأحرزه حين نام الناس، فأبصره بلال، فخرج حتى وقف على مجلس من الأنصار، فقال: أمية بن خلف لا نجوت إن نجا أمية، فخرج معه فريق من الأنصار في آثارنا فلما خشيت أن يلحقونا خلفت لهم ابنه لأشغلهم فقتلوه، ثم أبوا حتى يتبعونا وكان رجلاً ثقيلاً - فلما أدركونا قلت له: «ابرك، فبرك، فألقيت عليه نفسي لأمنعه، فتجللوه بالسيوف من تحتي حتى قتلوه، وأصاب أحدهم رجلي بسيفه، وكان عبد الرحمن ابن عوف يرينا ذلك الأثر في ظهر قدمه» ^(٢)

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ذكر النبي من يقتل ببدر رقم: (٣٩٥٠)، وأحمد في المسند: (١) /

(٤٠٠) انظر الفتح الرباني: (٢١ / ٤٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الوكالة باب إذا وكل المسلم حربياً في دار الحرب رقم: (٢٣٠١)، فتح

الباري: (٤ / ٤٨٠) ومسلم برقم: (١٧٥٢).

وفي رواية أخرى: قال عبد الرحمن بن عوف **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: كان أمية بن خلف لي صديقاً بمكة، وكان اسمي عبد عمرو فتسميت حين أسلمت عبد الرحمن، ونحن بمكة، فكان يلقاني إذ نحن بمكة فيقول: يا عبد عمرو أرغبت عن اسم سمالك أبوك؟ قال: فأقول: نعم.

قال: فإني لا أعرف الرحمن، فاجعل بيني وبينك شيئاً أدعوك به، أما أنت فلا تجبني باسمك الأول، وأما أنا فلا أدعوك بها لا أعرف!.

قال: وكان إذا دعاني يا عبد عمرو لم أجبه، قال: فقلت: يا أبا علي اجعل ما شئت، قال: فأنت عبد الإله، قال: قلت نعم.

قال: فكنت إذا مررت به قال: يا عبد الإله فأجبهت فأحدث معه، حتى إذا كان يوم بدر، مررت به وهو واقف مع ابنه علي، وهو آخذ بيده قال: ومعي أذراع لي قد استلبتها، فأنا أحملها، فلما رأي قال: يا عبد عمرو فلم أجبه، فقال: يا عبد الإله، فقلت: نعم، قال: هل لك في فأنا خير لك من هذه الأذراع التي معك؟ قال: قلت: نعم ها الله؟

قال: فطرح الأذراع من يدي، وأخذت بيده وبيد ابنه وهو يقول: ما رأيت كالיום قط، أما لكم حاجة في اللبن؟ ثم خرجت أمشي بهما.

قال ابن هشام: يريد باللبن أن من أسرني افتديت منه بإبل كثيرة اللبن ^(١) وتم قتله كما سبق فإلى جهنم وبئس القرار.

♦ الشيطان يفر

وهكذا الشيطان الرجيم يأخذ نصيبه من الهزيمة والذل قال تعالى : ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٤٧) وَإِذْ زَيْنَ هُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤٨) ﴾ [الأنفال : ٤٧ - ٥٨].

لقد هرب إبليس ولم يغن عن أصحابه شيئاً فله الحمد والمنة .

♦ ما الحكمة من حضور الملائكة ؟

📖 **قال الحافظ في الفتح:** قال الشيخ تقي الدين السبكي: سئلت عن الحكمة في قتال الملائكة مع النبي - ﷺ - مع أن جبريل قادر على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه؟

فقلت: وقع ذلك لإرادة أن يكون الفعل للنبي وأصحابه، وتكون الملائكة مددًا على عادة مدد الجيوش، رعاية لصورة الأسباب وسنتها التي أجراها الله تعالى في عبادته، والله تعالى هو فاعل الجميع والله أعلم ^(٢) .

(١) السيرة النبوية ابن هشام: (١ / ٦٣١)، وسنده صحيح وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث.

(٢) فتح الباري: (٧ / ٣١٣)، في التعليق على حديث رقم: (٣٩٩٥).

رسولنا الكريم **صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقف على جثث المشركين فيوبخهم :

عن أبي طلحة أن نبي الله **صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلا من صناديد قريش، فقفوا في طوى من أطواء بدر خبيث مخبث.

وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال، فلما كان بدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها، ثم مشى، وأتبعه أصحابه حتى قام على شفة الركي - البئر التي فيها جثث المشركين -، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم، «يا فلان بن فلان، يا فلان بن فلان، يا أبا جهل بن هشام! يا أمية بن خلف! يا عتبة بن ربيعة! يا شيبة بن ربيعة! أيسركم أنكم أطعم الله ورسوله؟ فإننا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا؟» فقال عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها؟ قال النبي **صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «والذي نفس محمد بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم» ^(١).

وفي رواية: «ما أنتم بأسمع منهم، ولكن لا يجيئون» ^(٢).

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب قتل أبي جهل حديث رقم: (٣٩٧٦) و مسلم في الجنة باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه رقم: (٢٨٧٤ - ٢٨٧٥).

الركي: البئر. والمقصود به هنا البئر التي فيها جثث المشركين.

(٢) متفق عليه.

وبعد ثلاث ليال أمر رسولنا الكريم - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - أصحابه بالتحرك نحو المدينة ومعه الأسرى ومن هؤلاء الأسرى :

- ١ - عقبة بن أبي معيط
- ٢ - النضر بن الحارث
- ٣ - العباس بن عبد المطلب
- ٤ - عقيل بن أبي طالب
- ٥ - نوفل بن الحارث
- ٦ - أبو العاص بن الربيع
- ٧ - أبو عزيز - زرارة بن عمير العبدريّ أخو مصعب بن عمير
- ٨ - والسائب بن أبي حبيش
- ٩ - وخالد بن هشام المخزومي
- ١٠ - وعبد الله بن أبي السائب
- ١١ - والمطلب بن حنطب
- ١٢ - وأبو وداعة السهمي
- ١٣ - وعبد الله بن أبي بن خلف الجمحي

١٤ - وهب بن عمير الجمحي

١٥ - وعبد الله بن زمعة أخو سودة

١٦ - وقيس بن السائب.

١٧ - ونسطاس مولى أمية بن خلف

وكان تحركه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - من بدر ليلة الاثنين في العشرين من رمضان .

♦ صدور قرار بقتل اثنين من مجرمي الحرب :

ثم تحرك النبي - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - من بدرٍ راجعاً إلى المدينة، حتى إذا كان رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - بالصفراء أمر بقتل النضر بن الحارث فقتله عليُّ بن أبي طالب، ثم خرج حتى إذا كان بعزق الظبية أمر بقتل عقبة بن أبي معيط فتم قتله ^(١) .

وكانا يؤذيان المسلمين بمكة ويشتدان في عداوتهما لله ولرسوله. فهما من أئمة الكفر ومجرمي الحرب وفي قتلها صبراً درس بليغ للمجرمين وقد تخلى عقبة عن جبروته ونادى: من للصبيبة يا رسول الله؟ فأجابه: النار. فهلا تذكر عقبة يوم ألقى

(١) أخرج مقتل عقبة بن أبي معيط: الطحاوي في شرح مشكل الآثار - رقم الحديث (٤٥١٤) - وأبو داود

في سننه - كتاب الجهاد - باب في قتل الأسير صبراً - رقم الحديث (٢٦٨٦) - والحاكم في المستدرک -

كتاب الجهاد - باب اختيار أحوط الأميرين في أمر - رقم الحديث (٢٦١٨) - وابن إسحاق في السيرة (٣) /

(٣٢٤) - وإسناده صحيح.

سلاة جزور أو شاة على رأس النبي - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - وهو ساجد فجاءت فاطمة فغسلته عنه ؟

♦ الغنائم :

لما هزم الله تبارك وتعالى العدو، انطلقت طائفة في آثارهم يهزمون ويقتلون، وأكبت طائفة على المعسكر يحوونه ويجمعونه، وأحدقت طائفة برسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - لا يصيب العدو منه غرة، حتى إذا كان الليل، وفاء الناس بعضهم إلى بعض، قال الذين جمعوا الغنائم: نحن حويناها وجمعناها فليس لأحد فيها نصيب، وقال الذين خرجوا في طلب العدو: لستم بأحق بها منا، نفينا العدو وهزمناهم، وقال الذي أحدقوا برسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - لستم بأحق بها منا، نحن أحدقنا برسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - وخفنا أن يصيب العدو منه غرة واشتغلنا به فنزلت ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ١].

فقسمها رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - على وفاق بين المسلمين ^(١).

(١) صحيح : أخرجه أحمد في المسند: (٣٢٤ / ٥) بإسناد صحيح وقال الهيثمي في المجمع: (٩٢ / ٦) رجاله ثقات، وفي: (٢٦ / ٧) قال رجال الطريقين ثقات وابن حبان رقم: (١٦٩٣) موارد، وابن جرير في التفسير: (٩ / ١٧٢)، والحاكم: (٢ / ٣٢٦، ١٣٦، ١٣٥)، وقال على شرط مسلم وأقره الذهبي.

وفي رواية: أن النبي - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - قال يَوْمَ بَدْرٍ: «مَنْ فَعَلَ كَذَا وَكَذَا، فَلَهُ مِنَ النَّفْلِ كَذَا وَكَذَا». قَالَ: فَتَقَدَّمَ الْفِتْيَانُ وَلَزِمَ الْمُشِيخَةُ الرَّيَاتِ فَلَمْ يَبْرَحُوهَا، فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَالَ الْمُشِيخَةُ: كُنَّا رِذَاءًا لَكُمْ لَوْ انْهَزَمْتُمْ لَفِشْتُمْ إِلَيْنَا، فَلَا تَذْهَبُوا بِالْغَنَمِ وَنَبْقَى، فَأَبَى الْفِتْيَانُ وَقَالُوا: جَعَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لَنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ **﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾** [الأنفال: ١] إِلَى قَوْلِهِ: **﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ، وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾** [الأنفال: ٥] يَقُولُ: «فَكَانَ ذَلِكَ خَيْرًا لَهُمْ، فَكَذَلِكَ أَيْضًا فَأَطِيعُونِي فَإِنِّي أَغْلُمُ بِعَاقِبَةِ هَذَا مِنْكُمْ»

وفي رواية: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ يَوْمَ بَدْرٍ: «مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ كَذَا وَكَذَا، وَمَنْ أَسَرَ أَسِيرًا فَلَهُ كَذَا وَكَذَا»

وفي رواية: «فَقَسَمَهَا رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بِالسَّوَاءِ ^(١)» .

فحصل خلاف ثم تسليم لأمر الله وأمر رسوله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - والخلاف إنما حصل لأنه لم يكن قد نزل في الغنائم حكم فلما جاء الحكم زال الخلاف والحمد لله.

وتدل الآثار الصحيحة على أن النبي - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - أخرج الخمس من الغنيمة ثم قسمها بين المقاتلين وكانت آية الخمس قد نزلت ضمن سياق الآيات في غزوة بدر وهي قوله تعالى: **﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ**

(١) صحيح: رواه أبو داود برقم: (٢٧٣٧) وصححه الشيخان الألباني والوادعي - عليها رحمة الله تعالى.

وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ
الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّفْصِيلِ الْجُمُعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ [الأنفال: ٤١].

وكان تقسيم الغنائم في الصفراء : وأسهم رسول الله ﷺ. لتسعة
من الصحابة لم يشهدوا بدرًا لأعمال كلفهم بها في المدينة منهم عثمان بن عفان -
رضي الله عنه .

♦ المشاورة في الأسرى:

ثم استشار رسول الله - ﷺ - أبا بكر وعلي وعمر في الأسرى فقال
: « ما ترون في هؤلاء الأسارى » ؟ فقال أبو بكر: يا نبي الله! هم بنو العم
والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية، فتكون لنا قوة على الكفار، وعسى الله أن
يهديهم للإسلام. فقال رسول الله: ما ترى يا ابن الخطاب؟ قال: لا والله، يا رسول
الله ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم، فتمكن
عليًا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكني من فلان « نسيبًا لعمر » فأضرب عنقه، فإن
هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها فهوى رسول الله - ﷺ - ما قال أبو بكر
ولم يهو ما قلت. فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله - ﷺ - وأبو
بكر قاعدان يكيان. قلت: يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت
وصاحبك، فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تبكيت لبكائكما". فقال
رسول الله - ﷺ -: « أبكي للذي عرض على أصحابك من أخذهم
الفداء لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة » - شجرة قريبة من النبي -

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وأنزل الله عز وجل ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُشْخِنَ فِي الْأَرْضِ ﴾. إلى قوله سبحانه : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ فأحل الله الغنيمة لهم ^(١) .

◆ المفاداة بالمال :

وبقوله سبحانه : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ أحل للمسلمين ما أخذوه من الفداء بعد فدى النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الأسارى بهال وقد تباين فداء الأسرى فمن كان ذا مال أخذ فداؤه أربعة آلاف درهم ^(٢) ومن لم يكن له فداء من الأسرى ، جعل فداؤهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة .

ولم يكن هم المسلمين أخذ المال من هؤلاء قدر إضعافهم معنوياً ، فقد قال الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « لو كان المطعم بن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء النتنى لأطلقتهم له » .

رواه البخاري : (٤٠٢٤) : وإنما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك وفاءً للمطعم ؛ لأن المطعم كان ممن مزقوا صحيفة قریش الجائرة وأخرجوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من شعب أبي طالب، وأيضاً هو الذي أدخل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكة في جواره بعد عودته من الطائف .

(١) أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الجهاد والسير باب الإمداد بالملائكة حديث رقم : (١٧٦٣)، أحمد في

المسند : (١ / ٣٠ - ٣١)، والطبري في التفسير : (١٠ / ٤٤).

(٢) مجمع الزوائد : (٦ / ٩٠) وقال الهيثمي : رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله رجال الصحيح .

وقد أراد الأنصار إعفاء العباس من دفع الفدية لأنه عم الرسول **صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وجدته نجارية فقالوا : ائذن لنا فلنترك لابن اختنا عباس فداؤه فأبى الرسول ذلك وقال : « والله لا تذرون منه درهما ^(١) » .

❖ بشار النصر تصل المدينة :

عن أسامة بن زيد **رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا** : « إن النبي - **صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - خلف عثمان بن عفان، وأسامه بن زيد على بنت رسول الله - **صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - ، فجاء زيد بن حارثة على العضباء ناقة رسول الله - **صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - بالبشارة قال أسامة : فسمعت الهيعة، فخرجت فإذا زيد قد جاء بالبشارة، فو الله ما صدقت حتى رأينا الأسارى وضرب رسول الله - **صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - لعثمان سهمه ^(٢) »

وعن عبد الرحمن بن أسعد بن زرار **رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا** : قال : « قدم بالأسارى حين قدم بهم المدينة، وسودة بنت زمعة زوج النبي - **صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - عند آل عفرأ في مناحتهم على عوف ومعوذ ابني عفرأ، وذلك قبل أن يضرب الحجاب » .

قالت سودة : فو الله إني لعندهم إذ أتينا، فقبل هؤلاء الأسارى قد أتى بهم، فرجعت إلى بيتي ورسول الله - **صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - فيه، فإذا أبو يزيد سهيل بن عمرو

(١) رواه البخاري : (٤٠١٨) .

(٢) صحيح : أخرجه البيهقي في الدلائل (٣ / ١٣٠ - ١٣١) . بسند صحيح وعنه ابن كثير في البداية والنهاية : (٢ / ٤٤٠) .

في ناحية الحجرة ويداه مجموعتان إلى عنقه بحبل، فو الله ما ملكت حين رأيت أبا يزيد كذلك أن قلت: «أبا يزيد أعطيتم بأيديكم ألا مِتم كرامًا».

فما انتبهت إلا بقول رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - من البيت: «يا سودة على الله وعلى رسوله»، فقلت: «يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما ملكت حين رأيت أبا يزيد مجموعة يده إلى عنقه بالحبل أن قلت ما قلت ^(١)».

❖ فضل من شهد بدرًا من الصحابة والملائكة :

عن رِفاعَةَ بِنِ رَافِعِ الزُّرْقِيِّ وهو من أَهْلِ بَدْرٍ قَالَ: جَاءَ جَبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - فَقَالَ: مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فَيْكُمْ؟ قَالَ: «مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ» أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا. قَالَ: «وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ ^(٢)».

ولما قال عمر ابن الخطاب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - في قصة حاطب بن أبي بلتعة يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال له رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - «أَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ؟» فَقَالَ: «لَعَلَّ اللَّهَ أَطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ؟» فَقَالَ: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ،

(١) صحيح: ابن هشام: السيرة (٢ / ٣٣٥) عن ابن إسحاق قال: حدثني عبد الله بن أبي بكر عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة عن جده قال: قدم بالأسارى ... ومن طريق ابن إسحاق رواه الحاكم (٣ - ٢٤)، والبيهقي (٩ - ٨٩)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٤ - ٣٥)، وابن أبي شيبه (٧ - ٣٥٩) وهذا السند: صحيح. فعبد الله بن أبي بكر ثقة (التقريب ١ / ٤٠٥) ويحيى تابعي ثقة (التقريب ٢ / ٣٥٢) وجده ووالد جده صحابيان]. اهـ

(٢) رواه البخاري: (٣٩٩٢).

فَقَدْ وَجِبَتْ لَكُمْ الْجَنَّةُ، أَوْ: فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ " فَدَمَعَتْ عَيْنَا عُمَرُ، وَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ^(١) .

وجاء عبد لحاطب يشكو حاطباً للنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وقال : يا رسول الله ليدخلن حاطب النار ، فقال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « كذبت لا يدخلها فإنه شهد بدرًا والحديبية » ^(٢) .

- وأصيب يوم بدر حارثة بن سراقة وهو غلام ، فجاءت أمه إلى النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقالت : يا رسول الله قد عرفت منزلة حارثة مني فإن يكن في الجنة أصبر وأحتسب ، وإن تك الأخرى ترى ما أصنع ؟ فقال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « ويحك أوهبلت أو جنة واحدة هي إنها جنان كثيرة وإنه في جنة الفردوس » ^(٣) .

بهذا نكون قد انتهينا بحمد الله من هذه الغزوة العظيمة الجلييلة وندخل إن شاء الله في ذكر الغزوة الرمضانية الثانية من ترتيب هذا السفر المبارك .



(١) البخاري (٣٩٨٣) ومسلم (٢٤٩٤) .

(٢) مسلم (٢٤٩٥) .

(٣) رواه البخاري : (٣٩٨٢) .

الثانية : غزوة فتح مكة (الفتح الأعظم)

فيالك من فتح غدا زينة العلى وواسطة الدنيا ، وفائدة العصر^(١)

فتح مكة هو الفتح الأعظم الذي أعز الله به دينه ورسوله ، وجنده وحزبه
الأمين ، واستنقذ به بلده وبيته الذي جعله هدًى للعالمين من أيدي الكفار
والمشركين ، وهو الفتح الذي استبشر به أهل السماء ، وضربت أطناب عزه على
مناكب الجوزاء ودخل الناس به في دين الله أفواجا وأشرق به وجه الأرض ضياءً
وابتهاجا^(٢) .

س : متى كانت ؟

خرج رسول الله - **صلى الله عليه وسلم** - من المدينة صبيحة العاشر من رمضان من
العام الثامن من الهجرة النبوية وقيل في الثامن من رمضان والأول أصح لاتفاق
أهل السير أنه - **صلى الله عليه وسلم** - دخل مكة في التاسع عشر من شهر رمضان في
عشرة آلاف مقاتل .

(١) ديوان الثعالبي : (٧٩) .

(٢) زاد المعاد : (٣ / ٣٤٧) .

س: ما سببها ؟

ذكر ابن إسحاق بسند صحيح عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أنه كان في صلح الحديبية ^(١) الذي جرى بين رسول الله - ﷺ - وقريش كان فيه : من شاء من قبائل العرب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل ومن شاء أن يدخل في عقد قريش وعهده دخل فدخلت خزاعة في عقد وعهد رسول الله - ﷺ - ودخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدها وبعد سبعة عشر أو ثمانية عشر شهرا غدرت بنو بكر بخزاعة فذاهمتها ليلاً عند ماء يقال له : الوثير وفر من فر من خزاعة إلى الحرم فلحقوهم وقتلوهم فيه وشاركت قريش بني بكر وأمدتهم بالسلاح بل والرجال فكان هذا نقضاً منها لصلح الحديبية المتضمن وقف القتال بين رسولنا الكريم - ﷺ - وبين قريش عشر سنوات وبعد ما حصل هذا من قريش رحل عمرو بن سالم الخزاعي إلى المدينة إلى رسولنا الكريم - ﷺ - فأخبره بذلك وذكر أبياتاً من الشعر وهي :

يا رب إني ناشد محمداً	حلف أبينا وأبيه الأتلدا
قد كنتموا ولدا وكنا والدا	ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا
فانصر رسول الله نصراً أبداً	وادمع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا	إن سيم خسفا وجهه تربدا
في فيلق كالبحر تجري مزبدا	إن قريشاً أخلفوك الموعدا

(١) كان صلح الحديبية في ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة.

ونقضوا ميثاقك المؤكدا وجعلوا لي كداء رصدا
 وزعموا أن لست أدعو أحدا فهم أذل وأقل عددا
 هم بيتونا بالوتير هجدا وقتلوننا ركعا وسجدا
 فقال رسول الله ﷺ: «نصرت يا عمرو بن سالم»^(١) فما برح حتى
 مرت عنانة في السماء. فقال رسول الله - ﷺ: «إن هذه السحابة لتستهل
 بنصر بني كعب» وأمر رسول الله ﷺ الناس بالجهاز وكنتمهم مخرجه،
 وسأل الله أن يعمي على قريش خبره حتى ييغتهم في بلادهم .

وندمت قريش على ما حصل منها فأرسلت أبا سفيان لتجديد العهد مع
 رسول الله - ﷺ - والزيادة في المدة فلم يحصل أبو سفيان على ما أرادوا
 فرجع خائباً...

وبينما الاستعداد لغزو قريش يجري إذا بحاطب بن أبي بلتعة يكتب في ذلك
 إلى قريش وينزل الوحي استجابة من الله لرسوله لما سألته أن يعمي على المشركين
 خبره فتفشل المراسلة ويرسل النبي - ﷺ -، علي بن أبي طالب
 رضي الله عنه والزيبر والمقداد فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها طعينة
 معها كتاب، فخذوه منها، قال: فانطلقوا تعادي بهم خيلهم حتى أتوا الروضة،
 فإذا بالطعينة، فقالوا لها: أخرجي الكتاب، قالت: ما معي كتاب، فقالوا :

(١) حسن : البداية والنهاية : (٥٠٨/٦) من طريق الطبري في تاريخه (١١١/٢) والبيهقي في دلائله (٥/

٧-٥) بسند حسن إلى ابن إسحاق وقد صرح بالتحديث .

لتخرجن الكتاب، أو لنلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها فأتوا به رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** -، فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة - إلى ناس بمكة من المشركين - يخبرهم ببعض أمر رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - : فقال رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - : «يا حاطب ما هذا؟» قال: يا رسول الله، لا تعجل علي، إني كنت امرءاً ملصقاً في قريش - أي : كنت حليفاً - ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين من لهم بها قرابات يحمون أهلهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون قرابتي، ولم أفعله ارتداداً عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام.

فقال رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - : «أما إنه قد صدق». فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال: «إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله أطلع على من شهد بدراً» قال: «اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم»، فأنزل الله السورة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ إلى قوله: ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ ^(١) .

[المتحنة : ١]. ثم خرج رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - واستخلف على المدينة أبا رهم كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفاري ^(٢) خرج في العاشر من

(١) رواه البخاري (٤٢٧٤) ومسلم (٢٤٩٤) .

(٢) سيرة ابن هشام (٢ / ٣٩٩) من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن لذاته . وأبو رهم صحابي مشهور باسمه وكنيته شهد أحداً واستخلفه الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** مرتين رمي بسهم في نحره فسمي : المنحور

رمضان بعشره آلاف مقاتل حتى بلغ كراع الغميم - موضع قريب من مكة بين رابع والجنحة - فأفطر ^(١) وأمر الصحابة بالفطر وأخبرهم أن الفطر أقوى لهم فأفطروا ^(٢)

بعض ما جرى في الطريق

❖ - في الأبواء ^(٣) :

١ - قدم أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عمّ رسول الله - **صلى الله عليه وسلم** - وأخوه من الرضاعة وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة ابن عمّة رسول الله ^(٤) فلحقا رسول الله - **صلى الله عليه وسلم** - في ثنية العقاب فيما بين مكة والمدينة، فالتمسا الدخول عليه، فكلّمته أم سلمة فقالت: يا رسول الله ابن عمك، وابن عمتك، وصهرك، فقال: (لا حاجة لي فيهما أما ابن عمي، فهتك عرضي، وأما ابن عمتي وصهري، فهو الذي قال لي بمكة ما قال). فلما خرج الخبر إليهما بذلك ومع أبي سفيان بن الحارث ابن له فقال: والله ليأذن رسول الله - **صلى الله عليه وسلم** -، أو لآخذن بيد ابني هذا، ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت

(١) رواه البخاري (٤٢٧٦) .

(٢) رواه مسلم (٩٧٦) .

(٣) موضع يبعد عن المدينة ١٤٠ كم .

(٤) وهو صهر رسول الله - **صلى الله عليه وسلم** - لأن أم سلمة - أم المؤمنين - أخته لأبيه وأمه هي : عاتكة بنت عبد المطلب .

عطشًا أو جوعًا، فلما بلغ ذلك رسول الله - ﷺ - رق لهما، فأذن لهما فدخلا عليه، فأنشده أبو سفيان قوله في إسلامه واعتذاره مما كان مضى فيه فقال:

لعمرك إني يوم أحمل راية	لتغلب خيل اللات خيل محمد
لكالمدلج الحيران أظلم ليله	فهذا أوان الحق أهدي وأهتي
فقل لثقيف لا أريد قتالكم	وقل لثقيف تلك عندي فأوعدي
هداني هاد غير نفسي ودلني	إلى الله من طردت كل مطرد
أفر سريعًا جاهدًا عن محمد	وأدعى وإن لم أنتسب لمحمد
هم عصبه من لم يقل بهواهم	وإن كان ذا رأي يلم ويفند
أريد لأرضيهم ولست بلاقط	مع لقوم ما لم أهد في كل مقعد
فما كنت في الجيش الذي نال	عامرًا ولا كلَّ عن خير لساني ولا يدي
قبائل جاءت من بلاد بعيدة	توابع جاءت من سهام وسرد
وإن الذي أخرجتم وشتمتم	سيسعى لكم سعى امرء غير مقعد

فلما أنشد رسول الله - ﷺ - إلى الله من طردت كل مطرد، ضرب رسول الله - ﷺ - في صدره، فقال: «أنت طردتني كل مطرد»^(١).

(١) حسن : أخرجه ابن إسحاق في السيرة (٤ / ١٠٦٧ - ١٠٦٨) - ابن هشام عن ابن عباس - رضي الله عنهما .

٢ - ولما مر النبي - ﷺ - بالأبواء زار قبر أمه، فبكى وأبكى من حوله، وقال: «استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكروا الموت» ^(١).

فلم أر يوماً كان أكثر باكياً ووجهاً ترى فيه الكآبة تجنب
❖ - في الجحفة ^(٢) : وفي الجحفة - قرب رابغ الآن - قدم العباس بن عبد
الطلب على الرسول ﷺ مهاجراً وكان قد أسلم قبل فتح خيبر ورجع
معه وبعث بأهله ومتاعه إلى المدينة ^(٣) ..

❖ - في مر الظهران ^(٤) : «فلما نزل رسول الله بمر الظهران ولا يزال خبر
خروجه خافياً على قريش قال العباس: واصباح قريش، والله لئن دخل رسول الله
- ﷺ - مكة عنوة قبل أن يستأمنوه إنه لهلك قريش آخر الدهر».

قال: فجلست على بغلة رسول الله - ﷺ - البيضاء، فخرجت
عليها حتى جئت الأراك، فقلت: «لعلني ألقى بعض الخطابة أو صاحب لبن، أو ذا
حاجة يأتي مكة فيخبرهم بمكان رسول الله - ﷺ -». فيستأمنوه قبل أن
يدخلها عنوة، قال: فو الله إني لأسير عليها، وألتمس ما خرجت له إذ سمعت

(١) رواه مسلم (٩٧٦) عن أبي هريرة - رضي الله عنه .

(٢) موضع يبعد عن مكة (١٨٧) كم .

(٣) سيرة ابن هشام (٢ / ٤٠٠) .

(٤) وهو المسمى اليوم : وادي فاطمة .

كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء، وهما يتراجعان، وأبو سفيان يقول: ما رأيت كالיום قط نيراناً ولا عسكرياً، قال: يقول بديل: هذه والله نيران خزاعة قد حمشها الحرب فقال أبو سفيان: خزاعة والله أقل وأذل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها" فقلت: يا أبا حنظلة، تعرف صوتي؟ فقال: أبو الفضل؟ قلت: نعم، قال: ما لك فداك أبي وأمي؟ فقلت: هذا والله رسول الله في الناس، واصباح قريش! قال: فما الحيلة، فداك أبي وأمي؟ قال: قلت: والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك، فاركب عجز هذه البغلة، فركب، ورجع صاحباه، فخرجت به فكلما مررت بنار من نيران المسلمين، فقالوا: ما هذا؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - عليها عمه قالوا: هذه بغلة رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - عليها عمه، حتى مررنا بنار عمر بن الخطاب فقال: من هذا؟ وقام إلي فلما رآه على عجز البغلة عرفه، فقال: والله عدو الله، الحمد لله الذي أمكن منك، فخرج يشتد نحو رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - ودخل، ورفعت البغلة فسبقتة بقدر ما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء، فاقتحمت عن البغلة، فدخلت على رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - ودخل عمر.

فقال: هذا عدو الله أبو سفيان قد أمكن الله منه، في غير عهد ولا عقد، فدعني أضرب عنقه، فقلت: قد أجرته يا رسول الله، ثم جلست إلى رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - فأخذت برأسه، فقلت: والله لا يناجيه الليلة رجل دوني، فلما أكثر عمر، قلت: مهلاً يا عمر، فوالله لو كان رجلاً من بني عدي ما قلت هذا،

ولكنه من بني عبد مناف، فقال: مهلاً يا عباس، لا تقل هذا، فو الله لإسلامك حين أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب أبي لو أسلم، وذلك أني عرفت أن إسلامك أحب إلى رسول الله من إسلام الخطاب، فقال رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - : «يا عباس اذهب به إلى رحلك، فإذا أصبحت فأتنا به».

فذهبت به إلى الرحل، فلما أصبحت غدوت به، فلما رآه رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - قال: «ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟» فقال: بأبي وأمي ما أحلمك، وأكرمك، وأوصلك، وأعظم عفوك، لقد كاد أن يقع في نفسي أن لو كان إله غيره لقد أغنى شيئاً بعد، فقال: (ويحك يا أبا سفيان: ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله؟) فقال: بأبي وأمي ما أحلمك، وأكرمك وأوصلك، وأعظم عفوك، أما هذا فكان في النفس منها حتى الآن شيء. قال العباس: فقلت: ويلك أسلم، واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن يضرب عنقك، فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، قال العباس: فقلت: يا رسول الله! إن أبا سفيان يحب الفخر، فاجعل له شيئاً، فقال: «نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن».

فلما انصرف إلى مكة ليخبرهم قال رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - : (احبس به بمضيق من الوادي عند خَطْمُ الجبل ، حتى تمر به جنود الله. فحبسه العباس حيث أمره رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - ، فمرت القبائل على ركاها، فكلما مرت قبيلة، قال: من هذه؟ فأقول: بنو سليم، فيقول: ما لي ولبنى سليم، ثم تمر أخرى فيقول:

ما هؤلاء؟ فأقول: مزينة، فيقول: ما لي ولمزينة، فلم يزل يقول ذلك حتى مرت كتيبة رسول الله - ﷺ - الخضراء ، فيها المهاجرون والأنصار، لا يرى منهم إلا الحدق ، قال: من هؤلاء؟ فقلت: هذا رسول الله في المهاجرين والأنصار، فقال: ما لأحد بهؤلاء قبل ، والله لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم لعظيم، فقلت: ويحك يا أبا سفيان، إنها النبوة، قال: فنعنم إذا، فقلت: النجاء إلى قومك.

ثم خرج أبو سفيان فلما وصل مكة، جعل يصيح بأعلى صوته: يا معشر قريش، هذا محمد، قد أتاكم بما لا قبل لكم به، فقامت امرأته هند بنت عتبة، وأخذت بشاربه فقالت: « اقتلوه الحميث الدسم فبئس طليعة قوم، فقال أبو سفيان: لا يغرنكم هذه من أنفسكم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن. فقالوا: ويحك ما تغني عنا دارك. قال: ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد ^(١) .

وكان سعد بن عبادة يحمل راية الأنصار عند استعراض الجيش فقال لما مر بأبي سفيان: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الكعبة، فاشتكى أبو سفيان للرسول ﷺ من قولة سعد فقال الرسول ﷺ: « كذب سعد، ولكن

(١) صحيح : أخرجه الطبراني في (الكبير) بهذا السياق كما في مجمع الزوائد (٦ / ١٦٤ - ١٦٧) وصححه

الحافظ في (فتح الباري) وله شاهد في (مسند عروة بن الزبير): أخرجه البخاري (٤٢٨٠) .

هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ^(١) ويوم تُكسى فيه الكعبة " . وأخذ الراية من سعد بن عباد فدفعها إلى ابنه قيس ثم كلم سعد الرسول ﷺ أن يأخذ الراية من ابنه قيس مخافة أن يقع في خطأ، فأخذها منه فكانت مع الزبير بن العوام .

وبدأ النبي ﷺ الزحف على مكة، بعد أن عين القادة وقسم الجيش إلى ميمنة وميسرة وقلب، فكان خالد بن الوليد على المجنبه اليمنى والزبير بن العوام على المجنبه اليسرى، وأبو عبيدة على الرجالة، وهو - ﷺ - بأبي وأمي في القلب وكانت راية الرسول ﷺ سوداء ولواؤه أبيض .

♦ دخول الرسول ﷺ مكة :

ودخلت مكة يا حبيب مظفراً بفيالق التوحيد والإيمان فلما وصل النبي - ﷺ - مكة دخل من أعلاها من كداء من الشية العليا التي بالبطحاء ^(٢) .

فكان ذلك تحقيقاً لقول صاحبه الشاعر حسان بن ثابت حين هجا أبا سفيان بن عبد الحارث ، وأخبرهم بأن خيل الله تعالى ستدخل من كداء، حيث قال:

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب أين ركز النبي - ﷺ - الراية يوم الفتح حديث رقم : (٤٢٨٠) .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب دخول النبي - ﷺ - من أعلى مكة حديث رقم : (٤٢٩٠) .
ومسلم في الحج باب استحباب دخول مكة من الشية العليا حديث رقم : (١٢٥٨) وفي رواية للبخاري : أنه دخل من أسفلها من كُدي وأمر خالداً أن يدخل من أعلاها من كداء .

هَجَوْتُ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ وعند الله في ذاك الجزاء
هَجَوْتُ مُحَمَّدًا بَرًّا تَقِيًّا رسول الله شيمته الوفاء
فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء
عدمنا خيلنا إن لم تروها تثير النقم موعدها كداء
يبارين الأعنة مصعدات على أكتافها الأسل الظماء
تظل جياننا متمطرات تلطمهن بالخمير النساء
فإن أعرضتموا عنا اعتمرنا وكان الفتح وانكشف الغطاء
وإلا فاصبروا لجلاد يوم يعز الله فيه من يشاء

وأمر - رسول الله ﷺ - الزبير - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن يركز رايته بجبل
«الحجون» فركزها هناك ^(١) ... وأمر خالد بن الوليد أن يدخل من أسفل مكة
وقد جمعت قريش جموعاً من قبائل شتى ومن أتباعها لحرب المسلمين، وقصدها
من ذلك أن تحمي نفسها فإن أحرزوا نصراً أعانتهم وإلا صالحت المسلمين
فتجمعوا في الخدمة ومعهم عكرمة بن أبي جهل وصفوان ابن أمية وسهيل بن
عمرو تجمعوا للقتال فأمر الرسول - ﷺ - بقتالهم فقاتلهم خالد بن
الوليد فقتل منهم ثلاثة عشر رجلاً وفر الباقون ونادى رسول الله -
ﷺ أبا هريرة، فقال أبو هريرة لبيك يا رسول الله، فقال: «اهتف لي
بالأنصار ولا يأتيني إلا أنصاري، فناداهم أبو هريرة : فأطافوا برسول الله من كل

(١) رواه البخاري في صحيحه (٤٢٨٠) عن عروة بن الزبير مرسلًا.

جانب ، ووبشت قريش أوباشاً لها وأتباعاً، فقالوا: نقدم هؤلاء. فإن كان لهم شيء كنا معهم، وإن أصيبوا أعطينا الذي سئلنا، فقال رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - للأَنْصار : «ترونها إلى أوباش قريش وأتباعهم» ثم قال بيديه إحداهما على الأخرى : «حصداً حتى توافوني بالصفاء» قال: فانطلقنا. فما شاء أحد منا أن يقتل أحداً إلا قتله، وما أحد منهم يوجه إلينا بشيء قال: فجاء أبو سفيان فقال يا رسول الله: أبيع خضراء قريش، لا قريش بعد اليوم. قال: فقال رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - «من أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن» قال: فغلق الناس أبوابهم» ^(١).

ودخلت جيوش رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - حتى انتهت إلى الصفاء ما يعرض لهم أحد إلا قتلوه وكانت مقاومة القرشيين يسيرة جدا ودخل رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - مكة على ناقته وعلى رأسه عمامة سوداء يكاد رأسه يلامس مقدمة الرحل خاشعاً متواضعاً لله ، شاكراً لربه آلاءه وإنعامه وهو يقرأ سورة الفتح ويرجع في قراءتها ^(٢).

ولم ينزل رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في بيته بمكة بل ضربت له قبة في الحجون - في المكان الذي تعاقدت فيه قريش على مقاطعة بني هاشم والمسلمين - وقال عندما

(١) أخرجه مسلم في الجهاد باب فتح مكة حديث رقم: (١٧٨٠)، أبو داود في الخراج والإمارة والفيء باب

خبر مكة حديث رقم: (٣٠٢٤) مختصراً، وأحمد في المسند: (٥٣٨ / ٢).

(٢) رواه البخاري (٤٢٨١)، ومسلم (٧٩٤).

سأله أسامة بن زيد إن كان سينزل في بيته: (وهل ترك لنا عقيل من رباع أو دور؟) مبينا أنه لا يرث المؤمن الكافر ولا الكافر المؤمن ^(١) ، وكان عقيل قد ورث أبا طالب هو وطالب أخوه وباع الدور كلها. وأما علي وجعفر فلم يرثاه لأنهما مسلمان وأبو طالب مات كافراً . ثم قال : «مَنْزِلُنَا غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ إِذَا فَتَحَ اللَّهُ بِخَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ حَيْثُ تَقَاسَمُوا عَلَى الْكُفْرِ» ^(٢) .

❖ بعض أعمال الرسول . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . في مكة

- ثم إنه أَمَّنَ الناس جميعاً إلا تسعة نفر من أكابر المجرمين، أهدر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومئذ دماءهم وأمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة، وهم عبد العزى بن خَطَل، وعبد الله بن أبي سرح، وعكرمة بن أبي جهل، والحارث بن نفيل بن وهب . وقيل : «الحويرث بن نُقَيْذ ومُقَيْس بن صُبَابَة، وهبار بن الأسود، وقيتان كانتا لابن خطل ^(٣) ، كانتا تغنيان بهجو النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسارة مولاة لبعض بني عبد المطلب، وهي التي وجد معها كتاب حاطب» .

(١) رواه البخاري (١٥٨٨)، (٤٢٨٢) .

(٢) رواه البخاري (٤٢٨٤) .

(٣) حسن : أخرجه أبوداود في السنن : (٢٦٨٣ و ٤٤٣٥٩) ، والنسائي في المجتبى (١٠٥ - ١٠٦) بسند ضعيف لكن له شاهد : من حديث سعيد بن يربوع المخزومي به وشاهد آخر من حديث أنس به وثالث من مرسل سعيد بن المسيب فالحديث ثابت بمجموع طرقه .

فأما ابن أبي سرح، فجاء به عثمان إلى النبي ﷺ، وشفع فيه فحقن دمه، وقبِل إسلامه بعد أن أمسك عنه، رجاء أن يقوم إليه بعض الصحابة فيقتله، وكان قد أسلم قبل ذلك وهاجر، ثم ارتد ورجع إلى مكة.

وأما عكرمة بن أبي جهل ففر إلى اليمن، فاستأمنت له امرأته، فأمنه النبي ﷺ فرتبته فرجع معها وأسلم، وحسن إسلامه.

وأما ابن خطل فكان متعلقا بأستار الكعبة، فجاء رجل إلى النبي ﷺ فأخبره فقال له : «اقتله» فقتله.

وأما مقيس بن صبابه فقتله نميلة بن عبد الله، وكان مقيس قد أسلم قبل ذلك، ثم عدا على رجل من الأنصار فقتله، ثم ارتد ولحق بالمشركين.

وأما الحارث فكان شديد الأذى لرسول الله ﷺ بمكة، فقتله علي. وأما هبار بن الأسود فهو الذي كان قد عرض لزينب بنت رسول الله ﷺ حين هاجرت، فنخس بها حتى سقطت على صخرة وأسقطت جنينها، ففر هبار يوم مكة، ثم أسلم وحسن إسلامه.

وأما القيتان فقتلت إحداهما، واستؤمن للآخرى، فأسلمت، كما استؤمن لسارة وأسلمت.

- ونزل رسول الله ﷺ - في بيت أم هانئ واغتسل وصلى صلاة الضحى ثماني ركعات يسلم من كل ركعتين وأجارت أم هانئ حموين لها، فقال

رسول الله ﷺ. قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ، وقد كان أخوها علي بن أبي طالب أراد أن يقتلها، فأغلقت عليها باب بيتها، وسألت النبي ﷺ، فقال لها ذلك ^(١) .

- ومن أعماله في مكة إزالة الأصنام التي كانت حول الكعبة وتطهيرها من رجس الوثنية فقد نهض رسول الله ﷺ، والمهاجرون والأنصار بين يديه وخلفه وحوله، حتى دخل المسجد، فأقبل إلى الحجر الأسود، فاستلمه، ثم طاف بالبيت، وفي يده قوس، وحول البيت وعليه ثلاثمائة وستون صنماً، فجعل يطعنهما بالقوس، ويقرأ: « **جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ، إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا** » [الإسراء: ٨١] **جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ** » [سبا: ٤٩] والأصنام تتساقط على وجوهها ^(٢) .

وكان طوافه على راحلته، ولم يكن محرماً يومئذ، فاقصر على الطواف، فلما أكمله دعا عثمان بن طلحة، «وهو من حجة البيت» فأخذ منه مفتاح الكعبة، فأمر بها ففتحت، فدخلها، فرأى فيها الصور، ورأى فيها صورة إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- يستقسمان بالأزلام، فقال: «قاتلهم الله، والله ما استقسما بها قط. ورأى في الكعبة حمامة من عيدان، فكسرها بيده ^(٣) ، وأمر بالصور فمحيت ^(٤) ».

(١) رواه البخاري: (٣٥٧)، ومسلم: (٣٣٦) .

(٢) رواه البخاري: (٤٢٨٧)، ومسلم (١٧٨١) عن ابن مسعود -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٣) صحيح : أخرجه ابن هشام في السيرة : (٢ / ٤١١ - ٤١٢) بسند قوي وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث .

(٤) رواه البخاري: (٣٣٥٢) عن ابن عباس -رضي الله عنهما .

ثم أغلق عليه الباب، وعلى أسامة وبلال، فاستقبل الجدار الذي يقابل الباب، حتى إذا كان بينه وبينه ثلاثة أذرع وقف، وجعل عموداً عن يساره، وعموداً عن يمينه، وثلاثة أعمدة وراءه - وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة - ثم صلى هناك، ثم دار في البيت، وكبر في نواحيه، ووحد الله، ثم فتح الباب، - وأذن لخزاعة أن تأخذ بثأرها من بني بكر فقال: «كفوا السلاح إلا خزاعة عن بني بكر» ، فأذن لهم حتى صلى العصر، فاستمر القتال إلى العصر ثم أمر بوقف القتال تماماً فقال: (كفوا السلاح). فلقي رجل من خزاعة رجلاً من بني بكر من غد بالمزدلفة فقتله. فبلغ ذلك رسول الله - ﷺ - ، فقام خطيباً، فقال: «إن أعدى الناس على الله من قتل في الحرم أو قتل غير قاتله، أو قتل بذحول فقام إليه رجل» فقال: «إن فلاناً ابني وفي رواية عاهرت بأمه في الجاهلية» فقال رسول الله - ﷺ - : «لا دعوة في الإسلام، ذهب أمر الجاهلية، الولد للفراش، وللعاهر الأثلب» قالوا: وما الأثلب؟ قال: «الحجر» ، قال: «وفي الأصابع عشر عشر، وفي المواضع خمس خمس» ، وقال: «لا صلاة بعد الغداة حتى تطلع الشمس» ، ولا صلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس، وقال: «ولا تنكح المرأة على عمتها، ولا على خالتها، ولا يجوز لامرأة عطية إلا بإذن زوجها» ^(١) .

(١) حسن : رواه أحمد (٦ / ٢٣٤) وقال الهيثمي في المجمع: (٦ / ١٧٧) رواه الطبراني، ورجاله ثقات وغفل عن عزوه للإمام أحمد، انظر الفتح الرباني: (٢١ / ١٦٠)، وجاء من حديث ابن عمر عند ابن حبان

❖ - ومن أعماله في مكة المبايعة على الإسلام :

لما تبين لأهل مكة الحق، وعلموا أن لا سبيل إلى النجاح إلا بالإسلام، أذعنوا له، واجتمعوا للبيعة، فبايع الرجال : عن الأسود بن خلف **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** : « أنه رأى النبي - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - يبايع الناس يوم الفتح قال: فجلس عند قرب دار سمرة، قال الأسود: فرأيت النبي - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - جلس، فجاءه الناس الصغار والكبار والنساء، فبايعوه على الإسلام والشهادة فقلت: فما الإسلام قال: الإيمان بالله، فقلت: وما الشهادة؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله » (١) .

عن مجاشع بن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: « أتيت النبي - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - بأخي بعد الفتح، فقلت: يا رسول الله جئتك بأخي لتبايعه على الهجرة، قال: (ذهب أهل الهجرة بما فيها)، فقلت: على أي شيء تبايعه؟ قال: «أبايعه على الإسلام والإيمان والجهاد». قال أبو عثمان، فلقيت معبدًا بعد، وكان أكبرهما، فسألته: فقال: صدق مجاشع » (٢) .

(٥٩٩٦) وقد رواه أصحاب الكتب الستة عن غير واحد من الصحابة مقطوعًا في أبواب متفرقة والخلاصة أن الحديث حسن للخلاف المعروف في عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.

(١) أخرجه أحمد في المسند: (٤١٥ / ٣)، (١٦٨ / ٤)، وسنده حسن، والحافظ في المستدرک: (٢٩٦ / ٣)، ولم يتكلم عنه بشيء، وسكت عنه الذهبي، ورجاله ثقات.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب وقال الليث حديث رقم: (٤٣٠٥، ٤٣٠٦، ٤٣٠٧، ٤٣٠٨)، مسلم في صحيحه الإمارة باب المبايعة عند فتح مكة حديث رقم: (١٨٦٣)، أحمد في المسند: (٤٦٩ / ٣)، (٤٦٨).

❖ ثم بايع النساء :

عن عائشة بنت قدامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «أنا مع أمي رائطة بنت سفيان الخزاعية، والنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يبايع النسوة، ويقول: «أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئاً، ولا تسرقن ولا تزنين، ولا تقتلن أولادكن، ولا تأتين بيهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن، ولا تعصين في معروف»، قالت: فأطرقن: فقال لهن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «قلن نعم فيما استطعتن»، فكن يقلن وأقول معهن، وأمي تلقنني قولي أي بنية فيما استطعت»^(١).

«وما مست يد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يد امرأة إلا امرأة يملكها»^(٢)

وقالت هند بنت عتبة بن ربيعة: يا رسول الله " ما كان مما على ظهر الأرض أخباء، وأهل خباء - الشك من ابن بكير - أحب إلى أن يذلوا من أهل خبائك، أو أخبائك، ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل خباء، أو أخباء أحب إلى أن يعزوا من أهل خبائك، أو أخباءك، قال رسول الله: «وأيضاً والذي نفسي محمد

(١) أخرجه أحمد: (٦ / ٣٦٥)، وسنده حسن، وانظر الإصابة في تمييز الصحابة: (٤ / ٣٥١)، ترجمة

رقم: (٨١١)، وقال الحافظ بعد أن عزاه لأحمد: "ورويناه بعلو في المعرفة لابن منده من وجه آخر".

(٢) أحمد (٦ / ٣٥٧).

بيده» ، قالت: «يا رسول الله أن أبا سفيان رجل ممسك، فهل علي من حرج أن أطعم من الذي له؟ قال: «لا إلا بالمعروف (١)» .

❖ قصة عجيبة

لما وقف رسول الله - **صلى الله عليه وسلم** - بذي طوى قال أبو قحافة لابنة له من أصغر ولده: أي بنية اظهري بي على أبي قبيس وكان قد كف بصره، فأشرفت به عليه، قال: يا بنية، ماذا ترين؟ قالت: أرى سوادًا مجتمعًا، قال: تلك الخيل، قالت: وأرى رجلًا يسعى بين ذلك السواد مقبلًا ومدبرًا، قال: يا بنية ذلك الوازع يعني الذي يأمر الخيل، ويتقدم إليها، ثم قالت: قد والله انتشر السواد، فقال: قد والله إذن دفعت الخيل، فأسرعي بي إلى بيتي، فأعطت به، وتلقاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته، وفي عنق الجارية طوق لها من ورق، فتلقاها رجل، فاقتطعه من عنقها.

قالت: فلما دخل رسول الله - **صلى الله عليه وسلم** - مكة، ودخل المسجد أتاه أبو بكر **رضي الله عنه** بأبيه يقوده ، فلما رآه رسول الله - **صلى الله عليه وسلم** - قال: «هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتية فيه» ، قال أبو بكر: يا رسول الله هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي أنت إليه، فأجلسه بين يديه، ثم مسح صدره، ثم قال له: «أسلم» ، فأسلم، ودخل به أبو بكر **رضي الله عنه** على رسول الله - **صلى الله عليه وسلم** - ، ورأسه كأنه ثغامة ، فقال رسول الله - **صلى الله عليه وسلم** - : «غيروا هذا من شعره» ،

(١) أخرجه البخاري في الأيمان والنذور باب كيف كانت يمين رسول الله الحديث رقم: (٦٦٤١)، فتح الباري: (١١/ ٥٣٥)، مسلم في الأقضية باب قضية هند حديث رقم: (١٧١٤).

ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته، فقال: أنشد بالله وبالإسلام طوق أختي فلم يجبه أحد فقال: « يا أختي احتسبي طوقك » ^(١) .

- ومن أعماله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - في مكة إلقاء الخطب وتعليم الناس أمور الدين ففي اليوم الثاني من أيام الفتح قام رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - في الناس خطيباً، فحمد الله، وأثنى عليه، ومجده بما هو أهله، ثم قال: « أيها الناس، إن الله حرم مكة يوم خلق السموات الأرض، فهي حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، فلا يحل لا مرء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دماً، أو يعضد بها شجرة، فإن أحد ترخص لقتال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فقولوا: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما حلت لي ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، فليبلغ الشاهد الغائب » ^(٢) .

وفي رواية: « لا يعضد شوكة، ولا ينفر صيده، ولا تلتقط ساقطته إلا من عرفها، ولا يختلي خلاه، فقال العباس: يا رسول الله إلا الإذخر، فإنه لقينهم وبيوتهم، فقال: إلا الإذخر » ^(٣) .

(١) حسن : رواه أحمد في المسند حديث رقم : (٢٦٩٥٦) وحسنه الشيخان الألباني والوادعي - عليها رحمة الله تعالى

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٤٢٩٥) و مسلم حديث رقم: (١٣٥٤).

(٣) أخرجه البخاري في اللقطة باب كيف تعرف لقطة أهل مكة حديث رقم: (٢٤٣٢) و مسلم في الحج باب تحريم مكة وصيدها وخلاها حديث رقم: (١٣٥٣) .

- ومن خطبه - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - أيام الفتح وهو بمكة قوله : « إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة، والخنزير والأصنام ». ف قيل : يا رسول الله أرأيت شحوم الميتة، فإنه يطلى به السفن، ويدهن بها الجلود، ويستصبح بها الناس، فقال : « لا، هو حرام » ثم قال رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - عند ذلك : « قاتل الله اليهود، إن الله لما حرم عليها شحومها أجملوه ثم باعوه، فأكلوا ثمنه » . (١)

وفي بعض خطبه ومواعظه قام رجل من أهل اليمن يقال له : « أبو شاة » فقال : اكتب لي يا رسول الله، فقال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** : « اكتبوا لأبي شاه » (٢)

❖ - ومن أعماله في مكة إقامة الحدود :

وفي أيام بقاءه بمكة وقعت قصة المرأة المخزومية التي سرقت فأهم قريشاً شأنها ، فقالوا : من يكلم فيها رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - ؟ فقالوا : ومن يجترئ عليه إلا أسامة حب رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - ، فكلمه أسامة، فقال رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - : « أتشفع في حد من حدود الله ؟ » ثم قام فخطب، فقال : « أيها الناس إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا

(١) أخرجه البخاري في كتاب البيوع باب بيع الميتة والأصنام، الحديث : (٢٢٣٦) و مسلم في المساقاة باب

تحريم بيع الخمر حديث : (١٥٨١) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب اللقطة باب كيف تعرف لقطة مكة حديث رقم : (٢٤٣٤) و مسلم في كتاب

الحج باب تحريم مكة وصيدها حديث رقم : (١٣٥٥) .

سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ^(١) .

❖ سرية خالد إلى بني جذيمة من كنانة :

ثم بعث النبي - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - خالد بن الوليد بثلاثمائة وخمسين رجلاً من المهاجرين والأنصار إلى بني جذيمة ^(٢) ، فدعاهم إلى الإسلام، فلم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا، فجعلوا يقولون صبأنا صبأنا، فجعل خالد يقتل منهم، ويأسر، ودفع إلى كل رجل من أصحابه أسيره، حتى إذا كان يوم أمر خالد أن يقتل كل رجل أسيره، فقال عبد الله بن عمر : والله لا أقتل أسيري، ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره، حتى قدمنا على النبي - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - ، فذكرناه، فرفع النبي - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - يديه فقال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد» ^(٣) مرتين

❖ مدة إقامته - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - بمكة :

« وكانت مدة إقامة النبي - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - بمكة تسعة عشر يوماً يصلي ركعتين » ^(٤)

وقيل : غير ذلك ولكن هذا هو الصحيح .

(١) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة باب ذكر أسامة بن زيد رقم: (٣٧٣٣) والمغازي باب مقام النبي بمكة زمن الفتح حديث رقم: (٤٣٠٤) و مسلم في الحدود حديث رقم: (١٦٨٨) .

(٢) وهي في يلملم جنوب مكة بثمانين كيلو.

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب بعث النبي - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - خالد إلى بني جذيمة حديث رقم: (٤٣٣٩)، (٧١٨٩) .

(٤) أخرجه البخاري في المغازي باب مقام النبي بمكة عام الفتح: (٤٢٩٨ - ٤٢٩٩) .

وبعد أن تكلمنا على فتح وقع على يد رسول الله ﷺ في إلى قصة فتح جرت على يد بعض أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عن الصحابة أجمعين.



الثالثة : معركة الجسر :

ويقال لها وَقْعَةُ قَسِّ النَّاطِفِ ^(١) وَيُقَالُ لَهَا الْجِسْرُ وَيُقَالُ الْمُرُوحَةُ ^(٢) واسم المروحة هو أكثر الأسماء مناسبةً لشكل هذه المعركة وواقعها الميداني، لكنها اشتهرت باسم الجسر ^(٣) .

وإنما أذكر معركة الجسر لأمرين هما :

❖ - أنها كانت سبباً لمعركة البويب

- أن كثيراً من المؤرخين يذكرون أنها كانت في رمضان . وإن كان الصحيح - والله تعالى أعلم - أنها كانت في شعبان ١٣ هجرية . لكن نذكرها لكونها كانت السبب الرئيسي لمعركة البويب .

(١) (قَسِّ النَّاطِفِ): موضع قريب من الكوفة على شاطئ الفرات الشرقي، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧ / ٨٨).

(٢) (الْمُرُوحَةُ) : موضع قريب من الكوفة على شاطئ الفرات الغربي، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨ / ٣٢).

(٣) الطبري: (٣ / ٤٥٤).

❖ معركة الجسر :

- قائد جيش المسلمين فيها هو : أبو عبيد بن مسعود الثقفي ^(١)

- قائد جيش الفرس فيها هو : ذو الحاجب بهمن جاذويه

- كانت في ٢٣ شعبان ١٣ هجرية / ٢٢ من أكتوبر ٦٣٤ م

❖ تفاصيل المعركة

جرت مواجهات كثيرة في العراق بين المسلمين من جهة وفارس من جهة أخرى انتهت كثير من تلك المواجهات بانتصارات عظيمة للمسلمين فاشتد حنق الفرس واجتمعوا إلى قائدهم رستم وأظهروا له حنقهم وجزعهم من ذلك فأرسل جيشاً كثيفاً عليهم ذو الحاجب بهمن جاذويه - وإنما قيل له ذو الحاجب لأنه كان يعصب حاجبيه بعصاة ليرفعهما كبراً. فوجهه ومعه فيلة، ورد الجالينوس معه وقال لبهمن: إن انهزم الجالينوس ثانية فاضرب عنقه. فأقبل بهمن جاذويه ومعه درفش كايان - راية كسرى - وكانت من جلود النمر، عرض ثمانية أذرع، وطول اثني عشر ذراعاً، فنزل بقس الناطف. وأقبل أبو عبيد فنزل بالمروحة، فرأت دومة - امرأته أم ابنه المختار - أن رجلاً نزل من السماء بإناء فيه

(١) هو أبو عبيد بن مسعود بن عمرو الثقفي والد المختار بن أبي عبيد أمير العراق، ووالد صفيّة امرأة عبد الله بن عمر. أسلم في حياة النبي ﷺ وذكره الشيخ أبو عمر بن عبد البر في الصحابة. وقال الحافظ أبو عبد الله الذهبي: ولا يبعد أن يكون له رواية والله أعلم.

شَرَابٌ، فَشَرِبَ أَبُو عُبَيْدٍ وَمَعَهُ نَفَرٌ، فَأَخْبَرَتْ بِهَا أَبَا عُبَيْدٍ فَقَالَ: لَهُذِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ شَهَادَةٌ! وَعَهْدٌ إِلَى النَّاسِ فَقَالَ: إِنْ قُتِلْتُ فَعَلَى النَّاسِ فُلَانٌ، فَإِنْ قُتِلَ فَعَلَيْهِمْ فُلَانٌ، حَتَّى أَمَرَ الَّذِينَ شَرَبُوا مِنَ الْإِنَاءِ، ثُمَّ قَالَ: فَإِنْ قُتِلَ فَعَلَى النَّاسِ الْمُثْنَى. وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِهِمَنْ جَادَوِيهِ: إِمَّا أَنْ تَعْبُرَ إِلَيْنَا وَنَدْعُكُمْ وَالْعُبُورَ، وَإِمَّا أَنْ تَدْعُونَا نَعْبُرَ إِلَيْكُمْ. فَنَهَاةُ النَّاسِ عَنِ الْعُبُورِ، وَنَهَاةُ سَلِيطٍ أَيْضًا، فَلَجَّ وَتَرَكَ الرَّأْيَ وَقَالَ: لَا يَكُونُوا أَجْرًا عَلَى الْمَوْتِ مِنَّا ^(١). فَعَبَرَ إِلَيْهِمْ عَلَى جِسْرِ عَقْدَهُ ابْنُ صَلُوبَا لِلْفَرِيقَيْنِ، وَضَاقَتِ الْأَرْضُ بِأَهْلِهَا وَاقْتَتَلُوا، قِتَالًا شَدِيدًا فَلَمَّا نَظَرَتِ الْخِيُولُ إِلَى الْفِيلَةِ، وَالْخَيْلُ عَلَيْهَا التَّجَافِيفُ، رَأَتْ شَيْئًا مُنْكَرًا لَمْ تَكُنْ رَأَتْ مِثْلَهُ، مِنْ قَبْلِ فَجَعَلَ الْمُسْلِمُونَ إِذَا حَمَلُوا عَلَيْهِمْ لَمْ تُقَدِّمْ عَلَيْهِمْ خِيُولَهُمْ، وَإِذَا حَمَلَتِ الْفُرُسُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِالْفِيلَةِ وَالْجَلَّاجِلِ فَارَقَتْ خِيُولَهُمْ وَكَرَادِيْسَهُمْ وَرَمَوْهُمْ بِالنَّشَابِ. وَاشْتَدَّ الْأَمْرُ بِالْمُسْلِمِينَ، فَتَرَجَّلَ أَبُو عُبَيْدٍ وَالنَّاسُ، ثُمَّ مَشَوْا إِلَيْهِمْ ثُمَّ صَافَحُوهُمْ بِالسُّيُوفِ، فَجَعَلَتِ الْفِيلَةُ لَا تَحْمِلُ عَلَى جَمَاعَةٍ إِلَّا دَفَعَتْهُمْ، فَنادَى أَبُو عُبَيْدٍ: (احتوشوا الفيلة ^(٢) واقطعوا بطانها ^(٣) واقلبوا عنها أهلها)، وَوَثَبَ هُوَ عَلَى الْفِيلِ الْأَبْيَضِ فَقَطَعَ بَطَانَهُ وَوَقَعَ الَّذِينَ عَلَيْهِ، وَفَعَلَ الْقَوْمُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَمَا تَرَكُوا فِيلًا إِلَّا حَطُّوا رَحْلَهُ وَقَتَلُوا أَصْحَابَهُ. وَأَهْوَى الْفِيلُ لِأَبِي عُبَيْدٍ، فَضَرَبَهُ أَبُو عُبَيْدٍ

(١) الطبري: (٣/ ٤٥٤).

(٢) احتوش القوم الصيد: إذا نفره بعضهم على بعض

(٣) البطن: جمع بطن، وهو الحزام.

بِالسَّيْفِ، وَخَبَطَهُ الْفِيلُ بِيَدِهِ فَوَقَعَ، فَوَطِئَهُ الْفِيلُ وَقَامَ عَلَيْهِ. فَلَمَّا بَصُرَ بِهِ النَّاسُ تَحْتَ الْفِيلِ خَشَعَتِ أَنْفُسُ بَعْضِهِمْ، ثُمَّ أَخَذَ اللُّوَاءُ الَّذِي كَانَ أَمْرُهُ بَعْدَهُ، فَقَاتَلَ حَتَّى تَنَحَّى عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ، فَأَخَذَهُ الْمُسْلِمُونَ فَأَحْرَزُوهُ، ثُمَّ قَتَلَ الْفِيلُ الْأَمِيرَ الَّذِي بَعْدَ أَبِي عُبَيْدٍ، وَتَتَابَعَ سَبْعَهُ أَنْفُسٍ مِنْ ثَقِيفٍ، كُلُّهُمْ يَأْخُذُ اللُّوَاءَ وَيَقَاتِلُ حَتَّى يَمُوتَ، ثُمَّ أَخَذَ اللُّوَاءُ الْمُثَنَّى، فَهَرَبَ عَنْهُ النَّاسُ. فَلَمَّا رَأَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَرْثِدٍ الثَّقَفِيَّ مَا لَقِيَ أَبُو عُبَيْدٍ وَخُلَفَاؤُهُ، وَمَا يَصْنَعُ النَّاسُ بِأَدْرَهُمْ إِلَى الْجِسْرِ فَقَطَعَهُ وَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مُوتُوا عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ أَمْرَاؤُكُمْ أَوْ تَظْفَرُوا! وَحَازَ الْمُشْرِكُونَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْجِسْرِ، فَتَوَاتَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى الْفُرَاتِ فَعَرِقَ مَنْ لَمْ يَصْبِرْ، وَأَسْرَعُوا فِيمَنْ صَبَرَ. وَحَمَى الْمُثَنَّى وَفُرْسَانُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ النَّاسَ وَقَالَ: إِنَّا دُونَكُمْ فَاعْبُرُوا عَلَى هَيْتِكُمْ، وَلَا تَدْهَشُوا، وَلَا تُغَرِّقُوا أَنْفُسَكُمْ. وَقَاتَلَ عُرْوَةُ بْنُ زَيْدٍ الْخَيْلَ قِتَالًا شَدِيدًا وَأَبُو مُحَجَّجٍ الثَّقَفِيُّ، وَقَاتَلَ أَبُو زُبَيْدٍ الطَّائِيَّ حِمِيَّةً لِلْعَرَبِيَّةِ، وَكَانَ نَصْرَانِيًّا قَدِمَ الْحِيرَةَ لِبَعْضِ أَمْرِهِ، وَنَادَى الْمُثَنَّى: مَنْ عَبَرَ نَجَا. فَجَاءَ الْعُلُوجُ فَعَقَدُوا الْجِسْرَ وَعَبَرَ النَّاسُ.

وَكَانَ آخِرَ مَنْ قُتِلَ عِنْدَ الْجِسْرِ سَلِيطُ بْنُ قَيْسٍ، وَعَبَرَ الْمُثَنَّى وَحَمَى جَانِبَهُ، فَلَمَّا عَبَرَ ارْفَضَ عَنْهُ أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَبَقِيَ الْمُثَنَّى فِي قَلْعَةٍ، وَكَانَ قَدْ جُرِحَ وَأُثْبِتَ فِيهِ حَلْقٌ مِنْ دِرْعِهِ.

وَأُخْبِرَ عُمَرُ عَمَّنْ سَارَ فِي الْبِلَادِ مِنَ الْهَزِيمَةِ اسْتَحْيَاءً، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ فِي حِلٍّ مِنِّي، أَنَا فَتَنَةُ كُلِّ مُسْلِمٍ، يَرْحَمُ اللَّهُ أَبَا عُبَيْدٍ! لَوْ كَانَ أَنْحَازَ إِلَيَّ لَكُنْتُ لَهُ فِتْنَةً.

وَهَلَكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَرْبَعَةُ آلَافٍ بَيْنَ قَتِيلٍ وَغَرِيقٍ، وَهَرَبَ أَلْفَانِ، وَبَقِيَ ثَلَاثَةُ آلَافٍ، وَقُتِلَ مِنَ الْفُرْسِ سِتَّةُ آلَافٍ.

وَأَرَادَ بِهِمْ جَادَوِيهِ الْعُبُورَ خَلْفَ الْمُسْلِمِينَ، فَأَتَاهُ الْخَبَرُ بِاخْتِلَافِ الْفُرْسِ، وَأَتَتْهُمْ قَدْ ثَارُوا بِرُسْتَمَ، وَنَقَضُوا الَّذِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، وَصَارُوا فَرِيقَيْنِ: الْفَهْلُوجُ عَلَى رُسْتَمَ، وَأَهْلُ فَارِسَ عَلَى الْفَيْرُزَانَ، فَرَجَعَ إِلَى الْمَدَائِنِ. وَكَانَتْ هَذِهِ الْوَقْعَةُ فِي شَعْبَانَ. وَكَانَ فِيمَنْ قُتِلَ بِالْجِسْرِ عُقْبَةُ وَعَبْدُ اللَّهِ ابْنَا قَيْطَى بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَا شَهِدَا أَحَدًا، وَقُتِلَ مَعَهُمَا أَخُوهُمَا عَبَّادٌ، وَلَمْ يَشْهَدْ مَعَهُمَا أَحَدًا، وَقُتِلَ أَيْضًا قَيْسُ بْنُ السَّكَنِ بْنِ قَيْسِ أَبِي زَيْدِ الْأَنْصَارِيِّ، وَهُوَ بَدْرِيٌّ لَا عَقَبَ لَهُ، وَقُتِلَ يَزِيدُ بْنُ قَيْسِ بْنِ الْخَطِيمِ الْأَنْصَارِيِّ، شَهِدَ أَحَدًا، وَفِيهَا قُتِلَ أَبُو أُمَيَّةَ الْفَزَارِيُّ، لَهُ صُحْبَةٌ، وَالْحَكَمُ بْنُ مَسْعُودٍ أَخُو أَبِي عُبَيْدٍ، وَابْنُهُ جَبْرُ بْنُ الْحَكَمِ بْنِ مَسْعُودٍ. وَتَرَجَعَ الْمُسْلِمُونَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ وَكَانَ مِنْهُمْ مَنْ فَرَّ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلَمْ يُؤَنَّبْ عُمَرُ النَّاسَ بَلْ قَالَ إِنَّا فِيكُمْ وَأَشْغَلَ اللَّهُ الْمُجُوسَ بِأَمْرِ مَلِكِهِمْ.

وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الْمَدَائِنِ عَدَوْا عَلَى رُسْتَمَ فَخَلَعُوهُ ثُمَّ وَلَّوْهُ وَأَضَافُوا إِلَيْهِ الْفَيْرُزَانَ، وَاخْتَلَفُوا عَلَى فَرِيقَتَيْنِ، فَرَكِبَ الْفُرْسُ إِلَى الْمَدَائِنِ وَلَحَقَهُمُ الْمُشَيُّ بْنُ حَارِثَةَ فِي نَفَرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَعَارَضَهُ أَمِيرَانِ مِنْ أَمْرَائِهِمْ هُمَا : جَابَانُ وَمَرَادُ نِشَاهُ، فَأَسْرَهُمَا وَأَسَرَ مَعَهُمَا بَشَرًا كَثِيرًا فَضَرَبَ أَعْنَاقَهُمْ. وَتَحَصَّنَ فِي مَدِينَةِ أَلَيْسَ بِاتَنْتَازَرِ جَلَاءَ الْمَوْقِفِ.

ولم يقع في هذه المعركة أسرى من الطرفين وعلى الرغم من تفوق الفرس في القتال، فإنهم لم يتمكنوا من أسر أحد من المسلمين، مما يدل على أن المقاتل المسلم احتفظ بمميزاته في أشد المواقع حرجاً وشدة، وظل يقاتل حتى آخر رمق.

- كانت معركة الجسر أول معركة يخسرها المسلمون أمام الفرس، وتعد تجربة حية في حروبهم لإثبات قيمة كفاءة القيادة، إذ إن الإيمان والشجاعة وحدهما لا يكفيان لتحقيق الانتصار. وكانت نكسة عسكرية بكل المقاييس، خاصة أنها وقعت بعد الانتصار الرائع للمسلمين في اليرموك بأربعين يوماً ^(١).



(١) للاستزادة انظر : الطبري- تاريخ الأمم والملوك: (٢/٦٤٢). الذهبي - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (٣/ ١٢٦) ابن الأثير (٢/ ١٦٧). البلاذري: فتوح البلدان ص (٢٥٢- ٢٥٣). تاريخ خليفة بن خياط: ص (٦٦).

الرابعة : معركة البويب (١) :

وتسمى معركة الأعشار (٢) كانت في ١٢ رمضان ١٣ هجرية / نوفمبر ٦٣٤ م أي بعد تسعة عشر يوماً من معركة الجسر .

وكانت عند نهر بالعراق في موضع الكوفة اليوم أو مما يلي موضع الكوفة يأخذ من الفرات .

❖ — سببها : أراد المسلمون أن يأخذوا بثأرهم وثأر إخوانهم لما حصل لهم من الفرس في معركة الجسر السابقة الذكر .

❖ . قائد المسلمين في هذه المعركة هو : المنثى بن حارثة الشيباني (٣)

(١) البُوبُ: نهر كان بالعراق موضع الكوفة، فمه عند دار الرزق يأخذ من الفرات، كانت عنده وقعة أيام الفتوح بين المسلمين والفرس في أيام أبي بكر الصديق، وكان مجراه إلى موضع دار صالح بن علي بالكوفة ومصبه في الجوف العتيق، وكان مغيباً للفرات أيام المدود ليزيدوا به الجوف تحصيناً، وقد كانوا فعلوا ذلك الجوف حتى كانت السفن البحرية ترفأ إلى الجوف. الحموي: (١/ ٥١٢).

(٢) لأنهم أحصوا مائة رجل من المسلمين قتل كل منهم عشرة من الفرس في المعركة . وتسمى أيضاً معركة النخيلة . والنخيلة: موضع قرب الكوفة على سمت الشام معجم البلدان (٨/ ٢٧٦ - ٢٧٧).

(٣) المنثى بن حارثة بن سلمة بن صمضم بن سعد بن مرة بن ذهل شيبان الشيباني نائب خالد بن الوليد على العراق، وهو الذي صارت إليه الإمرة بعد أبي عبيد يوم الجسر، فدارى بالمسلمين حتى خلصهم من الفرس يومئذ، وكان أحد الفرسان الأبطال، وهو الذي ركب إلى الصديق فحرّضه على غزو العراق، وكان المنثى قد أصيب بجراحات في وقعة الجسر، فانتقضت عليه فمرض مرضاً شديداً ومات وبلغ ذلك سعد فأرسل إلى امرأته سلمى بنت حفصة التميمية فخطبها وتزوجها بعد انقضاء عدتها رضي الله عنها وأرضاها. وقد ذكره ابن الأثير في كتابه الغابة في أسماء الصحابة . (الفتوح ١ / ١٧٤) .

❖. **قائد الفرس** : مهران بن باذان الهمداني قيل : إنه ولد باليمن، ويقال : إنه عربي نشأ مع أبيه باليمن، وكان أبوه عاملاً لكسرى. ذكر بعضهم أنه كان يرتجز في معركة البويب فيقول :

إن تسألوا عنى فإنى مهران أنا لمن أنكرنى ابن باذان

❖ - **عدد جيش المسلمين** : اثنا عشر ألف أكثرهم من اليمن

❖ - **عدد جيش الفرس** : مائة ألف من الفرسان وخمسون ألف من المشاة ..

أي لكل فارس اثنا عشر فارس وزيادة !!

بداية معركة البويب

📖 **قال ابن كثير - رحمه الله تعالى :** وكانت هذه الواقعة بالعراق نظير اليرموك بالشام. "فقد بعث أمراء الفرس جيشاً لهم بقيادة مهران واكتمل صف المسلمين تحت إمرة المثنى بن حارثه، فتوافوهم وإياهم (كذا) بمكان يقال له "البويب" قريب من مكان الكوفة اليوم وبينهما الفرات قالوا: إما أن تعبروا إلينا، أو نعبر إليكم، فقال المسلمون: بل اعبروا إلينا فعبرت الفرس إليهم فتوافقوا، وذلك في شهر رمضان. فعزم المثنى على المسلمين في الفطر فأفطروا عن آخرهم ليكون أقوى لهم، وعبأ الجيش وجعل يمر على كل راية من رايات الأمراء على القبائل ويعظهم ويحثهم على الجهاد والصبر والصمت وفي القوم جرير بن عبد الله البجلي في بجيلة وجماعة من سادات المسلمين. وقال المثنى لهم: إني مكبر ثلاث

تكبيرات فتهيأوا، فإذا كبرت الرابعة فاحملوا. فقابلوا قوله بالسمع والطاعة والقبول، فلما كبر أول تكبيرة عاجلتهم الفرس فحملوا حتى غالقوهم. واقتتلوا قتالاً شديداً، ورأى المشنى في بعض صفوفه خللاً فبعث إليهم رجلاً يقول: الأمير يقرأ عليكم السلام، ويقول لكم: لا تفضحوا العرب اليوم فاعتدلوا. فلما رأى ذلك منهم -وهم بنو عجل- أعجبه وضحك وبعث إليهم يقول: يا معشر المسلمين عاداتكم، انصروا الله ينصركم، وجعل المشنى والمسلمون يدعون الله بالظفر والنصر. فلما طالت مدة الحرب جمع المشنى جماعة من أصحابه الأبطال يحمون ظهره، وحمل على مهران فأزاله عن موضعه حتى دخل الميمنة. كَذَا ذَكَرَهُ سَيْفُ بْنُ عُمَرَ.

📖 **وقال محمد بن إسحاق:** بل حمل عليه - أي على مهران قائد الفرس - المنذر بن حسان بن ضرار الضبي قطعنه واحتز رأسه جرير بن عبد الله البجلي، وَاخْتَصَمَا فِي سَلْبِهِ فَأَخَذَ جَرِيرُ السَّلَاحِ وَأَخَذَ الْمُنْذِرُ مِنْطَقَتَهُ . وهربت المجوس وركب المسلمون أكتافهم يفصلونهم فصلاً، وسبق المشنى بن حارثه إلى الجسر فوقف عليه ليمنع الفرس من الجواز عليه ليتمكن منهم المسلمون. فركبوا أكتافهم بقية ذلك اليوم وتلك الليلة، ومن بعد إلى الليل فيقال: أنه قتل منهم يومئذ وغرق قريب من مائة ألف والله الحمد والمنة وغنم المسلمون مالا جزيلاً وطعاماً كثيراً، وبعثوا بالبشارة والأخماس إلى عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وقد قتل من سادات المسلمين في هذا اليوم بشر كثير أيضاً، وذلت لهذه الموقعة رقاب

الفرس، وتمكن الصحابة من الغارات في بلادهم فيما بين الفرات ودجلة فغنموا شيئاً عظيماً لا يمكن حصره.

وَقَدْ قَالَ الْأَعْوَرُ الشَّنِي الْعَبْدِيُّ فِي ذَلِكَ:

هَاجَتْ لِأَعْوَرَ دَارُ الْحَيِّ أَحْزَانًا وَاسْتَبَدَلَتْ بَعْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ حَفَانًا
وَقَدْ أَرَانَا بِهَا وَالشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ إِذْ بِالنَّخِيلَةِ قَتَلَ جُنْدٍ مِهْرَانًا
إِذْ كَانَ سَارَ الْمُتَنَّى بِالْخَيُْولِ هُمْ فَقَتَلَ الرَّحْفَ مِنْ فُرْسٍ وَجِيلَانًا
سَمًا لِمِهْرَانَ وَالْجَيْشِ الَّذِي مَعَهُ حَتَّى أَبَادَهُمْ مِثْنَى وَوُحْدَانًا (١)

وهذا من تغني الشعراء بهذا النصر

📖 وقال ابن الأثير - رحمه الله تعالى : ومات أناس من الجرحى، منهم:

مسعود أخو المثني، وخالد بن هلال، فصلّى عليهم المثني وقال: والله إنه ليهوّن وجدي أن صبروا وشهدوا البويب ولم ينكلوا.

وكان قد أصاب المسلمون غنماً ودقيقاً وبقراً فبعثوا به إلى عيال من قدم من المدينة وهم بالقوادس. وأرسل المثني الخيل في طلب العجم فبلغوا السيّب «٢» وغنموا من البقر والسبي وسائر الغنائم شيئاً كثيراً، فقسمه فيهم ونقل أهل البلاد وأعطى بجيلة ربع الخمس، وأرسل الذين تبعوا المنهزمين إلى المثني يعرفونه سلامتهم وأنه لا مانع دون القوم ويستأذنونه في الإقدام، فأذن لهم، فأغاروا حتى

بلغوا سابات، وتحصّن أهلهم منهم واستباحوا القرى ثمّ مخروا السواد فيما بينهم وبين دجلة لا يخافون كيذا ولا يلقون مانعا، ورجعت مسالح العجم إليهم، وسرّهم أن يتركوا ما وراء دجلة (١) .

❖ نهاية مفرحة :

انتهت المعركة بانتصار ساحق للمسلمين قتل فيها خلق كثير من الفرس ذكر بعض المؤرخين أن عدد قتلى الكفار بلغ مائة ألف وبقيت جثث القتلى وعظامهم دهرًا طويلاً واستمرت مطاردة فلول المنهزمين يوماً وليلة وممن قُتل من الفرس قائدهم مهران وقُتل صاحب خيله شهربراز وقُتل من المسلمين بشر كثير منهم مسعود بن الحارث أخ المشنى (٢) .



(١) الكامل : (٢ / ٤٤٤) .

(٢) للاستزادة انظر : فتوح البلدان للبلاذرى (ص ٣١٠ - ٣١٢) ، الكامل فى التاريخ لابن الأثير (٢ / ٣٠٣ - ٣٠٦) ، الطبرى (٣ / ٤٦٠ - ٤٧٢) ، البداية والنهاية لابن كثير (٧ / ٢٩ ، ٣٠) .، تاريخ الإسلام للذهبي (٧ / ٥١) .

الخامسة : فتح النوبة (السودان)

س : أين تقع النوبة ؟

هي إقليم واسع جنوب مصر وشمال السودان وكان هذا الاسم يطلق على السودان قديماً وعلى المنطقة التاريخية التي كانت تقع بين مدينة أسوان إلى جنوب الخرطوم بمعنى أنها كانت تشمل معظم أراضي السودان الحديث أما حالياً فيقتصر اسم النوبة على المنطقة التي تشمل شمال السودان وجنوب مصر على طول نهر النيل قيل اشتق اسمها من كلمة نوب وتعني الذهب لوجود أكبر مناجم الذهب في أرضها وكان المصريون القدماء يسمون النوبة أرض الأقواس لمهارة أهلها في الرماية وهي حالياً تتبع السودان وعاصمة هذا الإقليم مدينة عظيمة يقال لها : (دنقلة) أو (دنقلا) وينطقها بعضهم (دونجولا) بينها وبين الخرطوم (٤٤٨) أو (٥٣٠) كم .

س : متى كان فتح النوبة ؟

كان فتح النوبة سنة إحدى وثلاثين للهجرة (٣١هـ. / ٦٤٢ م) ذكر هذا ابن عساكر في تاريخ دمشق وابن عبد الحكم في فتوح مصر وصاحب المنتظم في تاريخ الملوك.

❖ — **بيان هذا الفتح** : لما فتح الله على المسلمين بيت المقدس وفلسطين ذهب عمر ابن الخطاب إلى فلسطين لاستلام مفتاح بيت المقدس فجلس معه عمرو بن العاص في الجابية بعد طاعون عمواس سنة ١٨ هجرية فطرح عليه فكرة فتح مصر وبعض الروايات تقول إن الذي طرح فكرة فتح مصر هو عمر بن الخطاب .

بعد الموافقة والاتفاق على فتح مصر تحرك عمرو بن العاص بجيش لا يزيد على ثلاثة ألف وخمسمائة رجل ثم تحقق فتح مصر عنوة على الصحيح فكان ذلك دلالة من دلائل نبوة رسولنا الكريم - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - حيث قال :: « **إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أَرْضًا يُذَكَّرُ فِيهَا الْقِرَاطُ فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا ؛ فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا، فَإِذَا رَأَيْتَ رَجُلَيْنِ يَخْتَصِمَانِ فِي مَوْضِعٍ لَبَنَةٍ فَاخْرُجْ مِنْهَا** » ^(١) يَعْنِي دِيَارَ مِصْرَ وَ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ بِلَفْظٍ : « **إِذَا افْتَتَحْتُمْ مِصْرَ فَاسْتَوْصُوا بِالْقَبِطِ خَيْرًا ؛ فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا** » . ^(٢) وَحَكَى أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ : « **ذِمَّةٌ وَرَحِمًا** » . فَقَالَ : مِنَ النَّاسِ مَنْ قَالَ : إِنَّ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ هَاجَرَ كَانَتْ قِبْطِيَّةً . وَمِنْ النَّاسِ مَنْ قَالَ : أُمُّ إِبْرَاهِيمَ . قُلْتُ : الصَّحِيحُ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّهُمَا قِبْطِيَّتَانِ ،

(١) رواه مسلم : (٢٥٤٣) عن أبي ذر - **رَوَاهُ اللَّهُ عَنْهُ**

(٢) البيهقي في "الدلائل" (٣٢٢/٦) والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (١٢٤/٣) والطبراني

(١٩/١١١" و"١١٢" و"١١٣") وابن عبد الحكم في "فتوح مصر" ص ٣ والحاكم (٥٥٣/٢) وصححه

على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي . وقال الزهري : فالرحم أن أم إسماعيل منهم .

وَمَعْنَى قَوْلِهِ: « ذِمَّةٌ ». يَعْنِي بِذَلِكَ هَدِيَّةَ الْمُقَوْسِ إِلَيْهِ وَقَبُولَهُ ذَلِكَ مِنْهُ، وَذَلِكَ نَوْعٌ ذِمَامٌ وَمُهَاذَنَةٌ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

بعد أن تم فتح مصر أراد عمرو بن العاص أن يؤمن حدودها الجنوبية فأرسل عقبة بن نافع ^(١) إلى النوبة فوصل عقبة بن نافع الفهري رحمه الله بجيشه إلى حدود النوبة فتلقاهم أهلها برمي لا يخطئ العيون ففقت عيون كثير من أفراد جيش عقبة واضطر للانسحاب بجروح كثيرة وعيون مفقوءة فأطلقوا على أهل تلك البلاد رماة الحدق أي العيون ذكر بعضهم أن عقبة انسحب بعد صلح واتفاق على هدنة وذكر آخرون أنه انسحب دون أي اتفاق وظلَّ الوضع على ذلك

(١) هو عقبة بن نافع بن عبد القيس الأموي القرشي الفهري فاتح من كبار القادة في صدر الإسلام وهو باني مدينة القيروان. تونس. ولد في حياة النبي. صلى الله عليه وسلم. لا صحبة له شهد فتح مصر وهو ابن خالة عمرو بن العاص وجهه عمر بن العاص إلى افريقية سنة (٤٢هـ) هجرية والياً فافتتح كثيراً من تخوم السودان وكورها في طريقه ثم علا ذكره فولاه معاوية افريقية سنة ٥٠ هجرية فأوغل في بلاد افريقية حتى أتى واد القيروان فأعجبه فبنى فيه مسجداً لا يزال إلى اليوم يعرف بجامع عقبة وأمر من معه فبنوا فيه مساكنهم . عزله معاوية سنة ٥٥ هجرية فعاد إلى المشرق ولما توفي معاوية ولاه يزيد على المغرب سنة ٦٢ هجرية فقصد القيروان وخرج منها بجيش كثيف ففتح حصوناً ومدنا تقدم إلى المغرب الأقصى فبلغ البحر المحيط وهنا تقول بعض الروايات : إن عقبة لما انتهى إلى المحيط دفع فرسه إلى الماء حتى بلغ نحره، ثم قال: " اللهم إني أشهدك أن لا مجاز، ولو وجدت مجازاً لجزت " وعاد فلما كان في تهودة وهي من أرض الزاب تقدمته العساكر إلى القيروان وبقي في عدد قليل فطمع به الفرنج فأطبقوا عليه فقتلوه ومن معه. رحمه الله تعالى . ودفن بالزاب سنة ٦٣ هجرية . ابن عبد الحكم (١٩٩)، وابن الأثير (٤ / ٤٢).

حتى تولى ولاية مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** ^(١) في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** -، فنقض النوبيون الصلح وهاجموا صعيد مصر وأفسدوا فيه، فخرج عبد الله بن أبي سرح بجيش تعداده عشرون ألفاً وحاول أهل النوبة المواجهة واستخدموا الرمي وأصابوا عيون بعض الجيش لكنهم انهزموا فدخلوا مدينتهم وتحصنوا فيها وتوغل عبد الله بن سعد بن أبي سرح في بلادهم جنوباً ووصل إلى عاصمتهم (دنقلة) فحاصرها حصاراً شديداً ورمها بالمنجنيق وضيق على أهلها حتى اضطروا للتسليم، وطلب ملكهم "قليدور" الصلح، وخرج إلى عبد الله بن أبي سرح، وأبدى ضعفاً ومسكنة وتواضعاً فتلقاه عبد الله وقرر الصلح معه وعقدت بين الجانبين معاهدة فريدة من نوعها ^(٢) ، كان لها عظيم الأثر على عملية انتشار الإسلام في شرق القارة الإفريقية، وكان ذلك في شهر رمضان من سنة إحدى وثلاثين هجرية.

(١) هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي، العامري، من بني عامر بن لؤي، من قريش، فاتح أفريقية، فارس بني عامر، من أبطال الصحابة، أسلم قبل فتح مكة، وهو من أهلها، وكان من كتّاب الوحي، كان على ميمنة عمرو بن العاص حين افتتح مصر، ولي مصر سنة ٢٥ هـ، بعد عمرو بن العاص، فاستمر نحو ١٢ عاماً، اعتزل الحرب بين علي ومعاوية في صفين، توفي بعسقلان فجأة وهو قائم يصلي سنة ٣٧ هـ، وهو أخو عثمان بن عفان من الرضاع. للاستزادة راجع:

أسد الغابة (١٧٣ / ٣)، ابن عساكر (٤٣٢ / ٧)، البداية والنهاية (٢٥٠ / ٧)، ابن الأثير، الكامل في التاريخ (١١٤ / ٣).

(٢) ذكرها بعض المؤرخين من المتأخرين بغير سند ولم أقف عليها في شيء من كتب المتقدمين وذكروا أن نصها كما يلي : "عهد من الأمير عبد الله بن سعد بن أبي سرح لعظيم النوبة ولجميع أهل مملكته: عهد عقده

ولربما كان عبد الله بن سعد بن أبي سرح قد أدرك صعوبة فتح تلك المناطق لوعورة تضاريسها ولشدة أهلها في القتال، فأراد أن يوفر بهذه المعاهدة مناخاً مناسباً لانتشار الإسلام بصورة سلمية.

وقد حصل هذا فعلاً فظلت المعاهدة أساساً للعلاقات بين المسلمين وبين النوبة حتى انتشر الإسلام فيها، وأصبحت بذلك جزءاً من العالم الإسلامي. واستمرت هذه المعاهدة إلى عهد الدولة الفاطمية وحصل خير عظيم في ذلك انتشر الإسلام وتفرغ الجيش لمن بعدهم .



على الكبير والصغير من النوبة، من أرض أسوان إلى حد أرض علوة أن عبد الله جعل لهم أماناً وهدنة: إنكم معاشر النوبة آمنون بأمان الله وأمان رسوله محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أن لا نحاربكم، ولا نَنْصَبَ لكم حرباً، ولا نغزوكم ما أقمت على الشرائط التي بيننا وبينكم " ثم عدد العهد الشرائط تلك ومنها:

- عليكم حفظ من نزل بلادكم أو يطرقه من مسلم أو معاهد حتى يخرج عنكم.
- وعلينا رد من لجأ إليكم من مسلم محارب للمسلمين وأن تخرجوه من بلادكم.
- وعلينا حفظ المسجد الذي ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم، ولا تمنعوا منه مصلياً، ولا تعرضوا لمسلم قصده وجاور فيه إلى أن ينصرف عنكم، وعلينا كنسه وإسراجه وتكرمه.
- وعلينا في كل سنة ثلاثمائة وستون رأساً تدفعونها إلى إمام المسلمين من أوسط رقيق بلادكم.
- علينا بذلك عهد الله وميثاقه وذمة رسول الله محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ولنا عليكم بذلك أعظم ما تدينون به ... الله الشاهد بيننا وبينكم. وكتب عمر بن شحبليل في رمضان سنة إحدى وثلاثين هجرية.

السادسة : فتح جزيرة رُودس

س: أين تقع هذه الجزيرة ؟

رُودس - بضم أوله، وبالดาล المهملة المكسورة، وبالسین المهملة- هي من جزر شرق البحر الأبيض المتوسط - الذي كان يطلق عليه سابقاً بحر الروم لسيطرة الروم عليه - مقابل الإسكندرية على بعد سفر ليلة منها في البحر الأبيض بالقرب من الساحل الجنوبي لتركيا وهي الآن تابعة لليونان وهي موقع أبولو زوديش ^(١). وهي من أخصب الجزائر، فيها الزيتون والكروم والثمار والمياه العذبة.

تبلغ مساحتها (١٣٩٨) كم^٢

س: متى كان فتحها ؟

كان فتحها في ٢٩ رمضان سنة ٥٣ هجرية حيث وجه معاوية بن أبي سفيان ^(٢) في خلافته قائده البحري جُنادة بن أبي أمية ^(٣) بالتوجه لفتح جزيرة رودس

(١) يُنظر: معجم البلدان (٢/ ٦٨٣).

(٢) هُوَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ صَخْرُ بْنُ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ مَنَاظِ بْنِ قُصَيِّ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقُرَشِيِّ الْأُمَوِيِّ، خَالَ الْمُؤْمِنِينَ، أَسْلَمَ هُوَ وَأَبُوهُ وَأُمَةُ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ يَوْمَ الْفَتْحِ ٨ هـ. وتعلم الكتابة والحساب واستعمله النبي ﷺ لكتابة الوحي مؤسس الدولة الأموية في الشام، وأحد دهاة العرب المتميزين الكبار، وهو أول مسلم ركب بحر الروم للغزو. للاستزادة انظر: أسد الغابة (٥ / ٢٥١)، البداية والنهاية (٨ / ٣٠٠)، الاستيعاب (٣ / ٤٠١)، سير الأعلام (٣ / ٢٦٥)، طبقات ابن سعد (٩ / ٢٠٣).

(٣) جُنَادَةُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ الْأَزْدِيِّ الدَّوسِيِّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ. وَلَا يَبِيهُ صُحْبَةً، وَاسْمُ أَبِيهِ كَبِيرٌ، . وَكَانَ أَمِيرًا عَلَى غَزْوِ الْبَحْرِ لِمُعَاوِيَةَ. وَشَهِدَ فَتْحَ مِصْرَ، وَفَتْحَ طَرَسُوسَ عَامَ ٥٣ هـ قِيلَ لَهُ صُحْبَةٌ. وَعَدَّهُ ابْنُ سَعْدٍ،

فتحرك جنادة بجيش بحري- ففتحها عنوة. وكانت غيضة في البحر. وأمره معاوية فأنزله قوماً من المسلمين. وتم السيطرة على الجزيرة في (٢٩) رمضان (٥٣) هجرية وأسكنها مجموعة من المجاهدين وجعل لهم معاوية أرزاقاً وبنوا فيها حصناً وأرسل إليهم معاوية التابعي الجليل مجاهد بن جبر داعية ومعلماً وجعلوا لهم نقاط حراسة تخبرهم إن حصل شيء من قدوم الروم فكانت هذه الجزيرة والمجاهدين فيها شوكة في حلق الروم وكانت نقطة انطلاق للإغارة على الأساطيل الرومانية وقطع الطريق عليها في البحر لمنعها من التقدم نحو السواحل الإسلامية ويذكر بعض المؤرخين أن المسلمين كانوا قد افتتحوها في خلافة عثمان .

وأقام المسلمون في رودس سبع سنوات فلما مات معاوية وصار الأمر إلى يزيد ابنه كتب إلى جنادة يأمره بهدم الحصن والرجوع بمن معه.

ثم كرر فتحها مسلمة بن عبد الملك في عهد سليمان بن عبد الملك ثم سقطت في يد البيزنطيين مرة أخرى بعد فشل حصار القسطنطينية ^(١) ثم حاول هارون

وَأَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعِجْلِيُّ ، وَطَائِفَةٌ فِي تَابِعِي أَهْلِ الشَّامِ ، وَهُوَ الْحَقُّ . وَلَهُ حَدِيثٌ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِنْ صَحَّ فَيَكُونُ مُرْسَلًا .

فالراجح والله أعلم أنه من كبار التابعين وحديثه في الصحيحين عن الصحابة كَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ الْعُبَادِ ، مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، وَكَانَ مَوْصُوفًا بِالشَّجَاعَةِ وَالْخَيْرِ ، وَكَانَ كَثِيرَ الْخَوْفِ وَالْوَرَعِ ، وَكَانَ يَعْتَزِلُ فِي بَيْتِهِ ، وَلَا يُخَالِطُ النَّاسَ ، وَكَانَ كَثِيرَ الْبُكَاءِ ، لَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى عَمِيَ ، وَلَهُ مَنَاقِبُ كَثِيرَةٌ ، تُؤْفَى بِالْبَصْرَةِ وَقِيلَ تُؤْفَى بِالشَّامِ وَقَدْ قَارَبَ الثَّمَانِينَ . سَنَةٌ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَقِيلَ سَنَةٌ ثَمَانِينَ . وَقِيلَ سَنَةٌ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ ، وَقِيلَ سَنَةٌ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ . وَقِيلَ سَنَةٌ سِتٍّ وَثَمَانِينَ . فِي خِلَافَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَكَانَ ثِقَةً صَاحِبَ غَزْوٍ .

(١) القسطنطينية : هي التي تسمى اليوم (اسطنبول) في تركيا مدينة أنشأها الإمبراطور الروماني (قسطنطين الأول) أو (قسطنطين الأكبر) سنة (٣٢٤ - ٣٣٠ م) فتحها السلطان العثماني محمد الثاني (١٤٥١ - ١٤٨١)

الرشيد فتحها فلم يتيسر له واستمرت في يد النصارى فرسان القديس يوحنا" أو "فرسان المعبد" الذين عاثوا فساداً في البحر المتوسط تخريباً وقتلاً للمسلمين، بعد أن طردهم صلاح الدين الأيوبي من برّ القدس وتحديدًا من عكا سنة ١٢٩١م، فنزلوا في قبرص سنة ١٣٠١م، ثم استقروا كقراصنة في جزيرة رودس وما حولها من الجزر سنة ١٣٠٨م، وشكلوا خطراً على الملاحة الإسلامية في البحر الأبيض المتوسط، وعجز عنهم المماليك، فأرسل السلطان ضدهم حملة بحرية سنة ٨٨٥ هـ/ ١٤٥٥م ففشلت، ثم أرسل حملة سنة ١٤٦٧م ففشلت، ثم أرسل حملة سنة ١٤٨٠م ففشلت بسبب الإمدادات الأوروبية، ثم إن الخليفة العثماني سليمان القانوني ^(١) حرك جيشاً لفتحها فاستعصت عليه فاستمر محاصراً لها أكثر من

(م) وذلك في (٢٩) أيار مايو سنة (١٤٣٥ م) ولقب محمد الفاتح لنجاحه في دخول هذه المدينة. وسماها (اسلام بول) أي مدينة الاسلام وتم تحريف هذا الاسم من أتاتورك إلى استنبول أو اسطنبول.

(١) هو السُّلْطَانُ الْغَازِي سُلَيْمَانُ خَانُ الْاَوَّلِ الْقَانُونِي وَلَدَ هَذَا الْمَلِكِ الَّذِي بَلَغَتِ الدَّوْلَةُ الْعُثْمَانِيَّةُ فِي مَدَّتِهِ أَعْلَى دَرَجَاتِ الْكَمَالِ فِي غَرَّةِ شَعْبَانَ سَنَةِ ٩٠٠ هِجْرِيَّةٍ ٢٧ ابريل سنة ١٤٩٥ م وَهُوَ عَاشَرَ مُلُوكِ آلِ عُثْمَانَ وَقَدْ عَدَهُ بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ الْحَادِي عَشَرَ بِاعْتِبَارِ سُلَيْمَانَ الَّذِي نَازَعَ أَخَاهُ مُحَمَّدَ جَلْبِي الْمَلِكِ سُلْطَانًا إِلَّا أَنَّ هَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ مِنْ رِسَائِلِهِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى سَعَةِ نَفُوذِهِ هِيَ: "إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" أَنَا سُلْطَانُ الْبَحْرِ الْأَبْيَضِ وَالْبَحْرِ الْأَسْوَدِ وَالْبَحْرِ الْأَحْمَرِ وَالْأَنَاضُولِ وَالرُّومِ وَقِرْمَانَ الرُّومِ وَوَلَايَةِ ذِي الْقُدْرَةِ وَدِيَارِ بَكْرٍ وَكِرْدِسْتَانَ وَأَذْرَبِيجَانَ وَالْعَجَمِ وَالشَّامِ وَمِصْرَ وَمَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ وَالْقُدْسَ وَجَمِيعَ دِيَارِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ



وبلاد المجر والقيصر وبلاد أخرى كثيرة افتتحتها يد جلالتي بسيف الظفر والله الحمد. . . . والله أكبر أنا السلطان سليمان بن السلطان سليم بن السلطان بايزيد (إلى "فرنسيس" ملك ولاية فرنسا، وبعد. . .)

يسميه الغرب في أدبياتهم بـ "سليمان العظيم" "Suleiman the Magnificent" ويعتبره كثير من المؤرخين أعظم ملك عرفته البشرية في تاريخ الأرض ضم إلى ملكه أعظم عواصم القارات الثلاث آسيا وأفريقيا وأوروبا، فضم إلى الخلافة الإسلامية "أثينا" و"بلغراد" و"بودابست" و"بوخارست" و"القاهرة" و"تونس" و"الجزائر" و"مكة" و"المدينة" و"القدس" و"دمشق" و"بيروت" و"اسطنبول" و"تبريز" و"بغداد" و"صوفيا" و"رودس" وغيرها من عواصم الأرض، وقال عنه المؤرخ الألماني الشهير (هالمر): كان هذا السلطان أشد خطرا علينا من صلاح الدين نفسه! مجاهد قل نظيره في تاريخ الإسلام، فتح البلاد وعمرها، ونشر العدل، وسن القوانين العثمانية العليا وبسبب ذلك سمي بـ "القانوني"، وقام بترميم القدس على أحسن حال، وأصلح من حال مكة والمدينة، وعمر الطرق، وأنشأ المدارس، تقلد منصب الخلافة وهو في السادسة والعشرين من عمره فقط، فظن الأعداء أنه لقمة سائغة، وطمعوا في أرض الخلافة الإسلامية، إلا أنه خيَّب أملهم، فباغتتهم بهجوم مضاد، ففتح مدينة "بلغراد" المنيعه التي استعصت على (محمد الفاتح) من قبل، مما دفع محمد الفاتح لتركها وهو يدعو ربه على أسوارها قائلاً: "اللهم افتح هذه المدينة على يدي رجل من نسلي"، فكان سليمان هو ذلك الرجل الذي فتحت بلغراد على يديه، قبل أن يتجه القانوني بحرًا مع جنده إلى جزيرة "رودس" حيث "فرسان القديس يوحنا" أو "فرسان المعبد" الذي عاثوا فسادًا في البحر المتوسط تخريبًا وقتلاً للمسلمين، بعد أن طردهم صلاح الدين الأيوبي من برّ القدس من قبل، ليذمر سليمان دولة رودس إلى الأبد، فيجعل من رودس خرابًا على أهلها (هرب فرسان القديس يوحنا بعد ذلك إلى جزيرة

أشهر ثم رضخ النصارى للصلح وحضر أميرهم إلى خيمة السلطان بنفسه وأمض شروط التسليم الذي كان بمقتضاه أن يخرج أمراء الجزيرة وأتباعهم بأسلحتهم الخاصة وأمتعتهم فخرجوا وتسلم السلطان الجزيرة وسيطر على قلاعها وذلك في (٧) صفر لعام (٩٢٩) هجريه. وأصبحت رودوس عثمانية وهرب القراصنة النصارى إلى مالطة، واستقروا فيها.

♦ رودس اليوم

وقد صارت جزيرة (رودس) اليوم تابعة لليونان وبالقرب منها جزيرة (كوس) باليونانية (استانكوى) بالتركية ويبلغ مجموع المسلمين في هاتين الجزيرتين ١٥ ألفاً تقريباً.

وحال المسلمين اليوم في جزيرة (رودس) يبعث الأسى والحسرة في النفوس؛ ذلك أن هذه المجموعة المسلمة تعيش شبه منعزلة عن كل ما يمت بصلة إلى الإسلام، أصبحوا منعزلين بعد انفصال جزيرتهم عن تركيا وعاشوا هملاً. ولم

"مالطا" وما زالوا يحكمون هذه الجزيرة حتى يومنا هذا!). حينها أدرك ملوك أوروبا أنهم أمام صقيرٍ تركيٍّ جديد من نفس طينة الفاتح، فتسابق ملوك أوروبا إلى دفع الجزية إلى عاصمة الخلافة في إسطنبول واستمر القانوني في السلطة طيلة ٤٦ عاماً قضاها في جهاد حتى آخر رمق في حياته، قبل أن يستشهد وهو يجاهد في سبيل الله رغم كبر سنه، فجزاه الله خيراً لما قدمه للإسلام والمسلمين .

انظر التاريخ الإسلامي - شاعر (٢٢/٤٤٨).

يصل إليهم داعية إسلامي منذ عقود ولم يظهر بينهم من يتعلم أصول دينه ويدعو الناس إليه فأصبح أبناء الجيل الجديد لا يفقهون من أمر إسلامهم شيئاً. اللهم إلا أن يكون مسلماً في حفيظة النفوس. ومن النتائج المؤلمة لهذا الجهل بالدين أن لا تتورع هناك الفتاة المسلمة اسماً أن تتزوج من رجل نصراني. وفي جزيرة (رودس) خمسة مساجد من بقايا الدولة العثمانية تبكي على الإسلام زوال دولته من هاتيك الديار ومحطوظ المسجد من بين هذه المساجد ما أقيمت فيه صلاة الجمعة والعيدين، وهذه المساجد تركت لتتهدم وحدها وكأنها لم تبني ليعمرها المصلون فإننا لله وإنا إليه راجعون ^(١) .



(١) حالة المسلمين في اليونان بقلم: محمد جهاد حافظ رشاد كلية الدعوة وأصول الدين مجلة الجامعة

السابعة : فتح الأندلس

أولاً : موقعها :

الأندلس اسم كان يطلق على شبه القارة الإيبيرية وتقع في الجنوب الغربي من القارة الأوروبية تفصلها عن جنوبي فرنسا جبال البرت (البرتات): فهي متصلة بالأرض الفرنسية ويفصلها من الجنوب عن افريقيا مضيق جبل طارق الذي يبلغ عرضه من الشرق إلى الغرب ١٣ - ٣٧ كم ويصل هذا المضيق المحيط الأطلسي - بحر الظلمات قديماً - بالبحر المتوسط - بحر الروم قديماً. فموقع الأندلس حالياً - إسبانيا والبرتغال أو ما يُسمى شبه الجزيرة الأيبيرية، ومساحتها (مجموع الدولتين) ستمائة ألف كيلو متر، أي أقل من ثلثي مساحة مصر.

استوطنها القوط الغربيون وهم ليسوا من تلك البلاد أصلاً، بل هم من بلاد أخرى، وبالتحديد من شمال أوروبا، وأما سبب تسميتها بالأندلس فقد كانت هناك بعض القبائل الهمجية التي جاءت من شمال إسكندناف من بلاد السويد والدانمارك والنرويج وغيرها، وهجمت على منطقة الأندلس وعاشت فيها مدة منذ القرن الأول الميلادي، ويقال إن هذه القبائل جاءت من ألمانيا، والذي يهمنها هو أن هذه القبائل كانت تسمى قبائل الفندال أو الوندال باللغة العربية؛ فسميت هذه البلاد بفاندليسيا على اسم القبائل التي كانت تعيش فيها، ومع الأيام حُرف إلى أندوليسيا فأندلس.

س: متى كان فتح الأندلس ؟

كان فتح الأندلس على مرحلتين هما :

١ - مقدمة الفتح وهي عبارة عن سرية بقيادة طريف بن مالك ^(١) كانت في رمضان سنة (٩١) هجرية .

٢ - الفتح العظيم حينما تحرك الجيش الإسلامي الذي بلغ عدده سبعة آلاف مقاتل بقيادة طارق بن زياد ^(٢) عبر المضيق المعروف بمضيق طارق فوصل إلى منطقة صخرية عرفت بعد ذلك بجبل طارق وذلك يوم الاثنين الخامس من رجب سنة (٩٢) هجرية ثم كانت المعركة في (٢٨) رمضان (٩٢) هجرية واستمرت إلى السادس من شوال وانتهت بانتصار عظيم للمسلمين .

(١) طريف بن مالك " الملقب بأبي زرعة، مسلم بربري، ويقال إنه من أصل عربي ينتسب إلى قبيلة "معافر" أو "نخع" اليمنية.

(٢) هو طارق بن زياد الليثي بالولاء: أصله من البربر. قائد فاتح مشهور. وُلد سنة ٥٠ هـ - ٦٤٠ م، وتولَّى طنجة سنة ٨٩ هـ - ٧٠٧ م، ثم فتح الأندلس سنة ٩٢ هـ - ٧١٠ م. وكانت وفاته على الأرجح سنة ١٠٢ هـ - ٧٢٠ م.

اختلف في نسبه والأرجح أنه أمازيغي " أسلم على يد موسى بن نصير - رحمهما الله .
"الأعلام، الزركلي: (٢١٧ / ٣)، ابن عذاري المراكشي أيضًا في كتابه "البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب"

❖ تفاصيل المعركة :

كان فتح الأندلس سنة ٩٢ هجرية في خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان (١) ذلك أن الوليد بن عبد الملك اتخذ موسى بن نصير (٢) عاملاً على افريقيا واتخذ موسى بن نصير عاملاً على طنجة رجلاً عظيماً ألا وهو طارق بن زياد وكان يحكم القوط الغربيين في هذا الوقت ملك اسمه (غيطشة)، فقتله أمير ماجن

(١) هُوَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، أَبُو الْعَبَّاسِ الْأُمَوِيُّ، بُويعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَ أَبِيهِ بَعْدَ مِنْهُ فِي شَوَّالِ سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِينَ، وَكَانَ أَكْبَرَ وَلَدِهِ، وَالْوَلِيُّ مِنْ بَعْدِهِ، وَأُمُّهُ وَلَادَتْ بِنْتَ الْعَبَّاسِ بْنِ حَزْنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ زُهَيْرِ الْعَبْسِيِّ، وَكَانَ مَوْلَدُهُ سَنَةَ خَمْسِينَ، وَكَانَ طَوِيلًا أَسْمَرَ بِهِ أَثَرُ جَدْرِي خَفِي، أَفْطَسَ الْأَنْفَ سَائِلَةً، وَكَانَ إِذَا مَشَى يَتَوَكَّفُ فِي الْمِشْيَةِ - أَيَّ يَتَبَخَّرُ - وَكَانَ حَمِيلًا وَقِيلَ دَمِيمًا، قَدْ شَابَ فِي مُقَدِّمِ لَحْيَتِهِ، وَقَدْ رَأَى سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ وَسَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ لَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ سَأَلَهُ مَا سَمِعَ فِي أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي تَرْجَمَةِ أَنَسٍ، وَسَمِعَ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ وَحَدَّثَ عَنِ الزُّهْرِيِّ وَغَيْرِهِ .

(٢) مُوسَى بْنُ نَصِيرٍ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ اللَّخُمِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - مَوْلَاهُمْ، كَانَ مَوْلًى لِمَرْأَةٍ مِنْهُمْ، وَقِيلَ كَانَ مَوْلًى لِبَنِي أُمَيَّةَ، افْتَتَحَ بِلَادَ الْمَغْرِبِ، وَغَنِمَ مِنْهَا أَمْوَالًا لَا تُعَدُّ وَلَا تُوصَفُ، وَلَهُ بِهَا مَقَامَاتٌ مَشْهُورَةٌ هَائِلَةٌ، وَيُقَالُ إِنَّهُ كَانَ أَعْرَجَ، وَيُقَالُ إِنَّهُ وَلِدَ فِي سَنَةِ تِسْعَ عَشْرَةَ، وَأَصْلُهُ مِنْ عَيْنِ التَّمْرِ، وَقِيلَ إِنَّهُ مِنْ إِرَاشَةِ مَنْ بَلَى، سُبَى أَبُوهُ مِنْ جَبَلِ الْحَلِيلِ مِنَ الشَّامِ فِي أَيَّامِ الصَّدِّيقِ، وَكَانَ اسْمُ أَبِيهِ نَصْرًا فَصَغُرَ، رَوَى عَنْ تَمِيمِ الدَّارِيِّ، وَرَوَى عَنْهُ ابْنُهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ، وَيزِيدُ بْنُ مَسْرُوقٍ الْيَحْصِبِيُّ، وَوَلَّى غَزَاةَ الْبَحْرِ لِمُعَاوِيَةَ، فَغَزَا قُبْرُصَ، وَبَنَى هُنَالِكَ حَصُونًا كَمَا لَمَّا غَوَصَ وَحَصَّنَ بَانَسَ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْحُصُونِ الَّتِي بَنَاهَا بِقُبْرُصَ، وَكَانَ نَائِبَ مُعَاوِيَةَ عَلَيْهَا بَعْدَ أَنْ فَتَحَهَا مُعَاوِيَةُ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ، وَشَهِدَ مَرْجَ رَاهِطٍ مَعَ الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ، فَلَمَّا قُتِلَ الضَّحَّاكُ لَجَأَ مُوسَى بْنُ نَصِيرٍ لِعَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ، ثُمَّ لَمَّا دَخَلَ مَرْوَانَ بِلَادَ مِصْرَ كَانَ مَعَهُ فَتْرَتُهُ عِنْدَ ابْنِهِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، ثُمَّ لَمَّا أَخَذَ عَبْدُ الْمَلِكِ بِلَادَ الْعِرَاقِ جَعَلَهُ وَزِيرًا عِنْدَ أَخِيهِ بَشَرَ بْنِ مَرْوَانَ.

وَكَانَ مُوسَى بْنُ نَصِيرٍ هَذَا ذَا رَأْيٍ وَتَدْبِيرٍ وَحَزْمٍ وَخَبْرَةٍ بِالْحَرْبِ، قَالَ الْبَغَوِيُّ . وَلى مُوسَى ابْنُ نَصِيرٍ امْرَأَةً بِلَادَ إفريقية سنة تسع وسبعين فافتتح بلادا كثيرة جدا مدنا وأقاليم .

نصراني اسمه (لوزريق) وقيل (ردريك) ثم قام بالاستيلاء على العرش وفرض الضرائب الباهظة، وجعل عاصمته (طليطلة) فكرهه الشعب الأندلسي، وساد القهر والظلم في أرجاء الأندلس. وكان على مدينة سبتة والمضيق حاكم تابع لمملكة الأندلس النصرانية يقال له (الكونت يوليان) وكانت سبتة أول معاقل الأندلس من جهة الخلافة الإسلامية إذ لا يفصل بينها وبين المناطق الإفريقية التي فتحها المسلمون وصارت تابعة للخلافة الإسلامية فاصل أمّا في الجهة الأخرى من اليابسة وبالتحديد في مدينة طنجة فكان يحكمها رجل أشقر الشعر، أزرق العينين، طويل القامة، مفتول العضلات ينتمي إلى شعب البربر الذي تعود جذوره إلى أوروبا وبالتحديد من العنصر اللاتيني هناك، هذا الرجل كان وثنيًا يعبد الأصنام من دون الله، فجاءه العرب بالإسلام، فأعجبته تعاليمه الرائعة ودعوته إلى الوحدة، فآمن بهذا الدين وأصبح شغله الشاغل هو تعريف بقية البشر بهذا الدين، فبعد أن كان هو وقومه عبيدًا للرومان الذين كانوا يحكمونهم بالسيف، جعله الفاتحون العرب حاكمًا لطنجة ليحكم المسلمين عربًا وبربرًا على حد سواء، هذا الرجل هو طارق بن زياد البطل الإسلامي العظيم والي الأمويين في طنجة. وشاء الله أن يقع خلاف بين حاكم الأندلس (ردريك) وبين حاكم سبتة يذكر بعض المؤرخين أن سببه أن الكونت يوليان حاكم سبتة كانت له بنت رائعة الحسن تدعى فلورندا أو كابا، أرسلها إلى بلاط طليطلة جرياً على رسوم ذلك العصر، لتلتقى ما يليق بها من التربية بين كرائم العقائل والفرسان،

فاستهوى جماها الفتان قلب ردريك فاغتصبها وانتبهك عفافها. وعلم الكونت بذلك فاستقدم ابنته إليه وأقسم بالانتقام، ونزع ردريك ذلك العرش الذي اغتصبه. وبينما تتوق نفس موسى بن نصير لفتح سبتة بعد فراغه تماماً من فتح المغرب الأقصى واستيلائه على طنجة بينما هو يرقب الفرص إذ جاءت رسالة من الكونت يوليان نفسه يعرض عليه تسليم معقله - سبتة - ويدعوه إلى فتح إسبانيا على اختلاف في الروايات هل كان التفاوض عبارة عن مراسلات أم كان مقابلة شخصية وهل جاء يوليان إلى طنجة أم ذهب موسى بن نصير إلى سبتة أم كان اللقاء على متن سفينة في البحر كل هذا جاءت به روايات الله أعلم بما صح منها والمهم من ذلك حصول العروض والمفاوضة فلما تأكد موسى بن نصير من جدية يوليان واستعداده تقديم سفنه لنقل المسلمين في البحر كتب موسى بن نصير إلى الوليد بن عبد الملك يخبره بذلك المشروع العظيم فكتب إليه الوليد بن عبد الملك أن يختبر يوليان والوضع بإرسال سرايا صغيرة وحملات يسيرة ولا يزوج بالمسلمين في أهوال البحر فعمل موسى بن نصير بوصية الوليد بن عبد الملك فجهز سرية عدد أفرادها خمسمائة مقاتل بينهم مائة فارس بقيادة ضابط من البربر اسمه طريف فعبروا البحر من سبتة في أربع سفن قدمها يوليان إلى الجهة المقابلة التي سميت بعد ذلك بجزيرة طريف باسم قائد الحملة وذلك في رمضان سنة ٩١ هجرية الموافق يوليو سنة ٧١٠م فسلمت تلك السرية وغنمت وعادت بأمان وسلام وقص قائدها على موسى بن نصير نتائج رحلته وفرح واستبشر بالفوز وجد في



تجهيز جيش لفتح الأندلس ففي شهر رجب من العام القابل أي سنة ٩٢ للهجرة جهز موسى بن نصير جيشا من العرب والبربر يبلغ عدد أفراده سبعة آلاف مقاتل بقيادة طارق ابن زياد الليثي وكان يومها حاكم طنجة فبعد أن تسلم طارق رسالة من "القيروان" من القائد العام لإفريقيا يخبره فيها بإذن الخليفة الأموي (الوليد بن عبد الملك) رحمه الله بنشر الإسلام في الأندلس، عبر البحر من سبتة تباعا ونزل في بقعة صخرية مقابلة لسبتة عرفت بعد ذلك باسمه - جبل طارق - ولا زال معروفا بذلك إلى يومنا هذا وذلك يوم الاثنين الخامس من رجب سنة ٩٢ هجرية ٢٧ إبريل سنة ٧١١ م هذا هو تاريخ بدء تحركه من سبتة فعبر طارق المضيق في شعبان ٩٢ هجرية - أبريل - مايو ٧١١ م ثم قام بجيشه عند جبل طارق عدة أيام بنى خلالها سوراً أحاط بجيوشه سماه سور العرب .

ثم أقام قاعدة عسكرية بجوار الجبل على الساحل لحماية ظهره في حالة اضطراره إلى الانسحاب هي مدينة الخضراء أو جزيرة أم حكيم وأقام قاعدة أمامية أخرى وبني حصنا ...

ثم واصل السير جنوبا حتى بلغ الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة ومشى في محاذاته وعبر نهراً صغيراً يسمى وادي لُكّه وأقام معسكره في منطقة واسعة يحدها من الشرق وادي لُكّه ومن الغرب وادي البرباط وهي منطقة سهلية واسعة تكثر فيها المدن ثم بدأ الترتيب والتنظيم لقوته وحصلت بينه وبين الحامية القوطية في الجنوب معركة فسحقها سحقاً وهرب قائد الحامية، ثم رجع سراً بالليل إلى

أولئك الفاتحين المجهولين يراقبهم لكي يعرف سر قوتهم، عندها رأى ذلك الرجل العجب! لقد رأى ذلك القائد القوطي أولئك المقاتلين الأشداء الذين كانوا يقاتلون كالأسود المفترسة في الصباح وهم يصلون لربهم ويقىمون الليل ركعًا سجّدًا، رآهم يقرؤون كتابًا تسيل دموعهم وهم يتلون، فلم يصدق هذا القائد ما رآه، فأسرع برسالة إلى الملك لوزريق في "طليطلة" العاصمة بكتاب من جملة واحدة: "أدركنا يا لوزريق فإنه قد نزل علينا قوم لا ندرى أهم من أهل الأرض أم من أهل السماء!".

فلما علم لوزريق بذلك أصابه هلع ورعب شديد فجمع جنوده واتجه بهم لمواجهة المسلمين وفعلاً تقدم الملك لوزريق بجيش قوامه مائة ألف فارس مجهزين بأحدث الأسلحة، وقد أمرهم لوزريق أن يجلبوا معهم حبالاً كثيرة لربط المسلمين بها بعد أن يهزمهم، فأرسل طارق بن زياد إلى القائد العام للمسلمين في أفريقيا يطلب منه المدد، فأمدّه موسى بن نصير بحملة عددها خمسة آلاف مقاتل بقيادة طريف بن مالك الذي قاد أول حركة استطلاعية في أرض إسبانيا، ونقل هؤلاء الجنود مرة واحدة على سفن الأسطول العربي إلى إسبانيا، ووصلت الإمدادات الإسلامية إلى طارق في اللحظة الحاسمة التي كان القوط على وشك شنّ الهجوم على المسلمين ليصبح مجموع جيش المسلمين اثني عشر ألف جلهم من المشاة مقابل مائة ألف فارس من النصارى القوط. أي لكل مقاتل ثمانية وزيادة -

وصل ملك القوط - النصارى - إلى مدينة شذونة سيدونيا فآتم استعداداته وتحرك للمواجهة والتقى الجيشان في معركة "وادي برباط" الخالدة يوم الأحد ٢٨ رمضان من عام ٩٢ هـ (١٧ يوليو سنة ٧١١ م) هذه المعركة التي لا نعرف عن تفاصيلها شيئاً كبيراً أو كثيراً لا تقل عظمة عن معركتي "اليرموك" و"القادسية".

وبدأت المعركة ^(١) واندفعت أمواج النصارى نحو المسلمين كالموج الهادر، ولكن شتان ما بين جيش يقاتل ومعه الحبال وجيش يقاتل ومعه الله الكبير المتعال ! واستمر القتال ثمانية أيام إلى يوم الأحد ٥ شوال سنة ٩٢ هـ جريه بما فيها عيد الفطر، اقتتلوا اقتتالاً شديداً حتى ظنوا أنه الفناء كان المسلمون يقاتلون في أرض العدو في هضاب ومفاوز شاقة، وبعد ٨ أيام من المعارك والقتال والمواجهات والأهوال انتهت المعركة ، بانتصار عظيم للمسلمين وفر ردريك أو لذريق فتبعه المسلمون حتى أدركوه وقتلوه بالقرب من بلدة الورقة وهكذا قُتل الملك المغرور لوزريق صاحب الحبال .

(١) كان اللقاء بين الجيشين في سهل الفرنتيره (Frontera) على ضفاف نهر وادي لكه أو وادي بكه. وقد اختلف البحث الحديث في تحديد المكان والنهر الذي يحمل هذا الاسم الذي تورده الرواية العربية. فذكر بعض الباحثين أنه هو نهر "جواداليتي" Guadalete (وادي لكه) الذي يصب في خليج قادس على مقربة من مدينة شريش، وأن اللقاء حدث على ضفته الجنوبية شمالي مدينة شذونة. وذكر آخرون - وهي الرواية الراجحة فيما يرى البحث الحديث- أن اللقاء قد حدث جنوبي بحيرة " حَنَدَة. Barbate الصغيرة المتصلة بنهر بارباتي " Janda

وفي رواية : أنه فر إلى الشمال، لكنه اختفى ذكره إلى الأبد، واستشهد في هذه المعركة ثلاثة آلاف مسلم وأما قتلى الكفار فلا يحصون كثرة ولا يعلم عددهم إلا الله تعالى بعد ذلك انطلق طارق يفتح المدن الأندلسية واحدة تلو الأخرى دون قتال، بعد ما سمع المجتمع الأندلسي عن شراسة هذا الجيش المرعب وساحة الحكم الإسلامي، لتنتشر كتائب النور الإسلامية في رحاب الأندلس تنشر الإسلام في ربوعها لتنير شعلة التوحيد في هذه البلاد من جديد!

لقد كانت هذه المعركة بداية لتاريخ عظيم إنه تاريخ الإسلام في الأندلس الذي يشمل أكثر من ثمانمائة سنة كاملة، من تاريخ الإسلام، وتحديدًا من سنة (٩٢) للهجرة إلى سنة (٨٩٧) للهجرة، أي ثمانمائة سنة وخمس سنين، هذا إذا أغفلنا التداعيات التي أعقبت ما بعد (٨٩٧) هجرية، فهي إذن فترة ليست بالهينة من تاريخ الإسلام.

وقد تمخض عن هذه المعركة عدة نتائج كان أهمها:

- ١ - طوت الأندلس صفحة من صفحات الظلم والجهل والاستبداد، وبدأت صفحة جديدة من صفحات الرقي والتحضر من تاريخ الفتح الإسلامي.
- ٢ - غنم المسلمون غنائم عظيمة كان أهمها الخيول، فأصبحوا خيالة بعد أن كانوا رجالة.

٣ - بدأ المسلمون المعركة وعددهم اثنا عشر ألفاً، وانتهت المعركة وعددهم تسعة آلاف، فكانت الحصيلة ثلاثة آلاف شهيد رويوا بدمائهم الغالية أرض الأندلس، فأوصلوا هذا الدين إلى الناس، فجزاهم الله عن الإسلام خيراً.

❖ كذبة إحراق السفن :

وقبل الانتقال من موقعة وادي برباط إلى ما بعدها من المواقع نناقش قضية اشتهرت كثيراً في التاريخ الإسلامي والتاريخ الأوروبي وهي قضية حرق طارق بن زياد رحمه الله للسفن التي عبر عليها من المغرب إلى بلاد الأندلس قبل موقعة وادي برباط. وأنه قال لجيشه: (أين المفر؟ البحر من ورائكم والعدو أمامكم، وليس لكم والله إلا الصبر والصدق، واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام، وقد استقبلكم عدوكم بجيوشه وأسلحته وأقواته موفورة، وأنتم لا وزر لكم إلا سيوفكم ولا أقوات لكم إلا ما تستخلصونه من أيدي عدوكم ...). " يزعمون أنه فعل ذلك؛ لإرغام الجند على القتال أمام عدو قُدِّرَ بـ"١٠٠ ألف من الفرسان. هكذا رُويت القصة؛ لكن أكثر علماء التاريخ الموثوقين لم يوردوا هذه القصة، برغم انتشارها على يد الأدباء والمفكرين غير المحققين لما يروون.

وهذه القصة لا تصح؛ بل لا يسلم اعتمادها؛ لفقدانها لشروط التوثيق التاريخية العلمية، فهي تسقط علمياً.

فالمسلمون امتازوا بعلم "الإسناد" في الرواية، وهو ما حفظ وحافظ على الصحيح، وميَّزه عن الضعيف والمدخول من الروايات، كما أسسوا علم "الجرح والتعديل"، وعلم "الرجال"، وعلم "العلل"، كلها لضبط المرويات في الحديث النبوي، أو الآثار عن الصحابة، أو أقوال الأئمة والعلماء، والتاريخ والتدوين.

وهذه الرواية إذا أخضعناها للتمحيص العلمي، نجدها فاقدة للمعايير العلمية؛ بل التحقيق يثبت ضعفها، وأنها أُدخلت في تاريخ المسلمين إدخالاً؛ فلا وجود لها عند كل العلماء المؤرخين للأندلس ممن عاش تلك الحقبة، أو من تلاهم من علماء الأندلس، فلا حَسيس لها ولا رِكَز، فهم لم يعلموا بها، ولم يجدوا لها كلاماً في زمانهم؛ أي: لم يتداولها أحد، لا في مقام الإشاعات ولا القصص، لا كذباً ولا صدقاً.

غير أن من نشرها لم يكن من زمان الأندلس؛ بل أكثرهم من العصر الحديث، وهم المستشرقون، وذاك لحاجة في أنفسهم، ثم نقلها ونشرها أذنابهم، وتلقفها من لا علم له بالتاريخ ولا بالتحقيق؛ بل هو كحاطب ليل بهته الذي كفر، فأمن بكل ما ورد عن الأوربيين، معتقداً وموقناً بالعصمة، والعلمية، والموضوعية! ثم مرّت على أقوام أفاضل نقصهم التحقيق العلمي، فقبلوها مع حسن نية، وتكلفوا لها تفسيرات لتجميل الرواية.

وهي من ناحية التخطيط العسكري خطأ كبير، ومغامرة ليس وقتها، ومقامرة في أرض عدو؛ لأسباب هي:

١ - لم يثب قط أن قائد المعركة - وهو طارق - استشار قائدَه الأعلى منه، وهو موسى بن نصير، فلا مراسلات أثبتت، لا عند المسلمين، ولا حتى الأوربيين. هذه وحدها مخالفة عسكرية، ليس طارق ممن يقع فيها.

٢ - الجيش قد يخسر المعركة، وهذا وارد؛ لِقَلَّتْه والفارق بينه وبين عدوّه، والأرض ليست أرضه، والخسارة قد تقع، فأين المفر؟! وأين مجال إعادة الترتيب إن هُزم ولم يُدمَّر؟! وكيف يطلب التعزيزات؟!

بكل المعايير الاستراتيجية هذا انتحار، فأقوى الجيوش يجعل قادتها مخارجاً للانسحاب كخطة، أو تفادياً للتدمير الكلي.

٣ - المسلمون الفاتحون ليسوا بحاجة إلى تحفيزٍ من هذا النوع (الإكراه) على القتال؛ ففيه تلويث للنية، وتحويل للإخلاص والجهاد لوجه الله، إلى القتال فراراً من الموت المحتم، مما يدل على خلل في الفهم لدى الأوربيين حول عقيدة الفاتحين المسلمين.

٤ - بعد حرق السفن، كيف يكون طريق الرجعة لو هزم الجيش؟

٥ - غالب السفن ليست للمسلمين؛ بل استعاروها من حاكم (سبّته)، فهي أمانة يجب أن تعاد لصاحبها.

٦ - قال أحد الباحثين: هذا الحرق فيه تجاوز شرعي، لا يقدم عليه رجل في تقوى وورع طارق بن زياد، وما كان العلماء وقادة الجيش ليسكتوا لو فرضنا

وقوع ذلك، كما أن في الرواية تهوين لقوة وعزيمة الفاتحين، حيث تُصوّر فقدان العزيمة على الجهاد، والهروب من الموت فكان ذلك هو المُجبر على البسالة في القتال والانتصار؛ أي: هم طالبو دنيا.

هذا قد يفهم من عقلية أهل الدنيا والغزاة المحتلين كالأوربيين؛ لذا قاسوا ما في أنفسهم على المسلمين المجاهدين الطامحين في الشهادة، فنقبوا في التاريخ ليتلقفوا تلك الرواية في غزو الفرس لليمن قبل الإسلام، ثم لفقوها لفاتح الأندلس بأنه أرغم جنوده على القتال، وإلا لفرّ الكل وتركوه وحيداً " (١) .

قال مشهور بن سلمان في " قصص لا تثبت " :هذه القصة مشهورة جدا في كتب الآخرين التي كتبت عن الأندلس وتاريخ فتحها، وهي مدونة في بعض كتب التاريخ في المناهج المدرسية.

♦ أول من ذكر القصة:

المعروف أن المصادر الأندلسية المتقدمة لا تشير إلى هذه القصة البتة، وتكاد المصادر الأخرى تخلو من أية معلومات عنها، فيما عدا الشريف الإدريسي الذي كتب جغرافيته «سنة ٥٤٩ - ١١٥٤»، فقد قال: " والجزيرة الخضراء أول مدينة افتتحت من الأندلس في صدر الإسلام، وذلك في سنة تسعين من الهجرة، وافتتحها موسى بن نصير من قبل المروانيين ومعه طارق بن عبد الله بن ونموا

(١) عبدالكريم بليل بتصرف يسير :مقال ضمن الشاملة .

الزناقي، ومعه قبائل البربر، فكانت هذه الجزيرة أول مدينة افتتحت في ذلك الوقت، وبها على البحر مسجد يسمى بمسجد الرايات، ويقال: إن هناك اجتمعت رايات القوم للرأي، وكان وصولهم إليها من جبل طارق، وإنما سمي بجبل طارق لأن طارق بن عبد الله بن ونمو الزناقي لما جاز بمن معه من البرابر وتحصنوا بهذا الجبل، أحس في نفسه أن العرب لا تثق به فأراد أن يزيح ذلك عنه، فأمر بإحراق المراكب التي جاز فيها، فتبرأ بذلك عما اتهم به ^(١) ."

ويبدو على أغلب الاحتمال أن بعض المؤرخين المتأخرين، نقلوا هذه الرواية عنه، وأن قسماً منهم أضاف عليها أو كتبها بشكل آخر.

ومن الجدير بالذكر أن بعض المصادر كـ "نفع الطيب" (١ / ٢٤٢) للمقري - تذكر أن علجاً من أصحاب لذريق قدم إلى معسكر طارق يتجسس عليه، ويجزر عدد المسلمين، ويعاين هياتهم ومراكبهم، وأقبل هذا العلج إلى لذريق، وقال له: "أتتك الصور التي كشف لك عنها التابوت، فخذ لنفسك فقد جاءك منهم من لا يريد إلا الموت أو إصابة ما تحت قدميك، قد حرقوا مراكبهم إياساً لأنفسهم من التعلق بها، وصفّوا في السهل موطنين أنفسهم على الثبات، إذ ليس لهم في أرضنا مكان مهرب"، فلا بد أن هذه المقولة - على فرض صحتها - هي سبب انتشار هذه القصة!!

(١) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق: (٢ / ٥٣٩ - ٥٤٠).

❖ **بطلان القصة وإنكارها:** هذه القصة يغلب عليها لون الأسطورة، وإن كانت تعرض في ثوب التاريخ الحق، كما قال الأستاذ محمد بن عبد الله بن عنان في كتابه " دولة الإسلام في الأندلس " (ص ٤٨)، وأول ما يثير الدهشة ويبعث على استنكار القصة، ما ذكره الإدريسي نفسه من أن هذه السفن التي أحرقها طارق بن زياد تعود ملكيتها إلى (يوليان) حاكم سبته، فهل يمكن للقائد طارق بن زياد أن يتصرف بها؟ وعندئذ يبدو وكأنه قام بعمل عسكري غير سليم يتنافى مع خطته العسكرية التي وضعها، حيث سيؤدي إلى قطع خط إمداداته واتصالاته مع بلاد المغرب، التي أكدت الأحداث والوقائع أنه كان دائم الحاجة إليها للاستمداد والنجدة بالرجال والسلاح والمؤن أو لأي غرض كان).

وتعرض محمود شاكر لهذه الرواية - رواية إحراق طارق للسفن - في رسالته الموسومة " المنطلق الأساسي في التاريخ الإسلامي " (ص ١٦ - ٢٠)، وأنكر هذه القصة وعدّد نقاطاً عشرًا كلها تؤكد أن هذه القصة أسطورة وخرافة، وليس لها أي نصيب في الواقع، فقال: " انطلق المسلمون إلى البلدان فاتحين. انطلقوا بروح إسلامية مجاهدين، وعلى هذا فإن ما يُنسب إلى قادتهم إنما يُنظر إليه ويُحلل من وجهة نظر إسلامية، فإن انسجمت تصرفاتهم مع منطلقاتهم فهذا الأمر السليم، وإن اختلفت دُرِست حسب المنطلقات لتعرف أكان صحيحاً ما نُسب إليهم أم كذباً وافتراءً. لا شكّ قد تقع أخطاء فما من إنسان بعد الرسل بمعصوم، ولكن تُعرف مثل هذه الأخطاء وتشتهر لأن القادة يسألونهم عنها، والخلفاء

يحاسبونهم عليها حتى ولو كانت تهمة أو شائعة فيبرّرون هم بأنفسهم تصرفاتهم، أو يلقون العقاب. فقد سئل خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان تصرّفه في كلا الحالتين اجتهداً، وهو اجتهد في محله، وكان تصرّف من تكلم عنه اجتهداً، وهو في محله أيضاً، وقد سُكت عنه كذلك، وهذا شأن المسلمين.

ولنرجع إلى قضية سفن طارق، فإنه لم يقم بإحراقها أبداً، لا يمكن ذلك، ولو فعل لسُئل وحوسب وعوقب، فإن عملها يكلف الكثير من المال، ويستغرق الكثير من الوقت، ولم يُعرف عن المسلمين الأوائل إهدار المال وإضاعة ما قد أنشؤوه. وهذا الأساس بالموضوع والعلمية، ومع ذلك فلنناقش الموضوع منطقياً.

١- لم يقل طارق أني أحرقت السفن أو أمرت بذلك، وإنما فهم بعض المتأخرين ذلك من خطبته (أيها الناس، أين المفر؟ البحر من ورائكم والعدو من أمامكم ...) فهموا من هذا الكلام أن البحر وراءهم وليس فيه وسيلة نقل تنقلهم إلى العدو المغربية، وهو فهم فيه شيء من السقم.

٢- لم يقل أحد من جنده أو معاصريه عن هذا شيئاً، وإنما قيلت بعده بعدة قرون.

٣- السفن ليست ملكاً له ليتصرف بها كيف يشاء، فهي إما لـ (يوليّان) الذي قدم للمسلمين عدداً منها لنقلهم إلى العدو الأندلسية لفتحها انتقاماً لنفسه من ملك القوط، وإما للمسلمين يحاسبه على تصرف قادتهم. فقد سئل خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن إعطائه المال للأشعب الكندي لما أبداه من مهارة وتضحية في

حرب الروم، وكان العطاء من ماله الخاص، ويقصد السائل - وهو أمير المؤمنين- أن في ذلك العطاء تذكيراً.

٤- لم يحاسب طارقاً أحدٌ من قادته سواء أكان القائد العام موسى بن نصير أم الخليفة الوليد بن عبد الملك، مع العلم أن طارقاً كان مولياً لموسى بن نصير فليس له حق التصرف الذي قد يفعله أبناء السادة المغرورين عند غير المسلمين.

٥ - ألا يمكنه أن يأمر بالسفن فتعود إلى العدو المغربية فيصل إلى النتيجة نفسها؟ وهذا ما تم، وذلك أفضل من أن يقوم بإحراقها ويخسرها المسلمون.

٦- لا يمكن لقائد واسع النظر أمثال طارق أن لا ينظر إلى المستقبل فيترك جيشه الصغير في بلاد الأندلس الواسعة، والتي من ورائها أوربا تدعمها، وبين مخالف دولة القوط الحاكمة المتربصة بالمسلمين التي تنتظر الفرصة لتعمل مخالفاً فيهم.

٧- ألا يتوقع طارق مدداً؟ وهذا ما حدث، فعلى أي شيء يُنقل المدد، لقد انتقل المدد على السفن نفسها.

٨- من أين جاء موسى بن نصير بالسفن التي انتقل عليها إلى الأندلس مع بقية الجيش عندما خاف على المسلمين الذين توغلوا بعيداً داخل الأندلس؟ لقد انتقل على السفن نفسها.

٩- لم تكن عملية إحراق السفن بالطريقة التي تُلقى الحماسة في نفوس المسلمين، لقد عُرف الموضوع عندهم بالتذكير بإحدى الحسينين، فلا شيء

يدفعهم مثل ذلك، فهم من أجل هذا خرجوا، ولعلنا نذكر الآن ما قاله عبد الله بن رواحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مؤنة عندما رأى المسلمون كثرة الروم حيث كان يزيد جمعهم على مائتي ألف ولم يكن عدد المسلمين ليصل إلى أكثر من ثلاثة آلاف، فتخوَّف الناس على الجيش، وأخذوا يدرسون الموقف، وكأن شيئاً قد وقع في نفوسهم، فقال لهم عبد الله بن رواحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "إنَّ الذي تخافون للذي خرجتم تطلبون، والله ما انتصرنا بكثرة ولا بقوة سلاح وإنما بما نحمل بين أظهرنا .. " فتشجع الناس وأقبلوا.

١٠- إحراق السفن لا يفيد عندما يقع الهلع في النفوس. وقد كانت العرب في الجاهلية وربما بعض الأمم الأخرى إذا خرجوا للقتال أخذوا معهم نساءهم وأبناءهم كي لا يفرّوا خوفاً على النساء والذراري من أن تقع في السبي، ولكن إذا حمي الوطيس، واحمرت الحدق، ووقع الرعب في القلوب، فرّوا لا يلوون على شيء، وما غزوة حنين بخافية على أحد، إذ وقعت نساء وذراري هوازن في السبي حتى أخلى سبيلهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بعد أن جاء أهلهم أذلاء راجين العفو. فإذا كانت الذراري لا يلتفت إليها أهلها فهل يهتم الخائف وجود سفن أو لا ؟ إذ لا يفكر الخائف إلا بالنجاة من المأزق الذي هو فيه، وبعدها يبحث في طريق الوصول إلى المأمن.

إذن، لم يحرق طارق السفن، وبقيت لدى المسلمين، وانتقل المدد إلى الأندلس عليها، وانتقل قائدهم مع بقية الجيش إلى الأندلس عليها، وقضية إحراق السفن

فرية وضعها بعضهم لإبراز فكرة التضحية والإقدام عند طارق، وروّجها أو أسهم في وضعها الذين لهم أهداف بعيدة في تشجيع المسلمين على مخالفة الإسلام، والقيام بمثل هذه الأعمال الانتحارية، وحرمان المسلمين من بعض وسائل الحرب لديهم بالتفريط فيها وإضاعتها. اهـ.

(المصادر الأوروبية أشاعت هذا الخبر لأمر واضح جداً، وهو أن المحللين الأوروبيين ما استطاعوا أبداً أن يفسروا كيف ينتصر ١٢٠٠٠ من الرجال الذين ليس معهم خيول على ١٠٠٠٠٠ فارس وهم في بلادهم وفي عقر دارهم وفي أرض عرفوها وألفوها، وكيف ينتصر هؤلاء القلة على هذه الكثرة العظيمة جداً من البشر؟ فقالوا: إن طارق بن زياد حرق سفنه وأصبح أمام المسلمين حل واحد فقط للهروب من الموت، ولذلك استماتوا في القتال فانتصروا، أما لو لم يحرق السفن فإنهم قد ينسحبون من البلاد ويرجعون إلى بلادهم، وهذا لأن الأوروبيين لا يستطيعون أبداً أن يفقهوا القاعدة الإسلامية المشهورة والمعروفة والمسجلة في كتابه سبحانه وتعالى: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩] ؛ بل إن الأصل المتكرر في معظم المعارك الإسلامية أن يكون المسلمون قلة، وأن يكون الكافرون كثرة وأن ينتصر المسلمون بهذا العدد القليل؛ بل إنه من العَجَب العُجَاب أنه لو زاد أعداد المسلمين انهزموا كما حدث في حنين: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا﴾ [التوبة: ٢٥].

والناظر إلى صفحات التاريخ الإسلامي يجد أنه من الطبيعي جداً أن ينتصر المسلمون بأعداد قليلة على غيرهم من الجيوش، إذاً: الأوروبيون يحاولون أن يشيعوا هذه الشائعة حتى يدخلوا في روع الناس أن المسلمين ما انتصروا إلا لظروف خاصة جداً، وليس من الطبيعي أن ينتصروا.

فالمسلمين (كذا) ما هم محتاجون للتحميس بحرق السفن، فقد جاءوا إلى هذه الأماكن راغبين في الجهاد في سبيل الله، وطالين للموت في سبيل الله، فما يحتاج القائد أن يحرق السفن لكي يشجعهم في سبيل الله! وبعض الناس يقولون: هذا الحدث مسبق بما حدث قبل هذا في فتح الفرس لليمن، فإن القائد الفارسي الذي فتح اليمن حرق السفن لكي يحمس الجنود الفرس.

والجواب :

هذا ممكن يحصل من القائد الفارسي أن يحمس الناس بحرق السفن، وقد كان الفرس يجبرون جنودهم على الحرب ضد المسلمين بربطهم في سلاسل كما حصل في موقعة ذات السلاسل المشهورة، وقد كان قائد جيش المسلمين فيها خالد بن الوليد **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** وأرضاه.

وهذا ممكن أن يحصل بالنسبة لأهل الدنيا، أما جيش المسلمين فما هو محتاج لهذا التحميس عن طريق هذا الحرق (١) .

(١) الأندلس من الفتح إلى السقوط / راغب السرجاني بتصرف يسير .

وذكر هذه القصة أيضاً عبدالعزیز السدحان في كتابه "كتب أخبار رجال أحاديث تحت المجهر" (ص ٧٣) ونقل عن سبق ذكرهم ما يفيد نكارتها والله أعلم .

فهذه الرواية لاشك في كذبها ثم ليست هي الوحيدة بخصوص هذه الغزوة فالروايات المكذوبة كثيرة ومن ذلك : زعمهم أن طارق بن زياد اختلف هو وموسى بن نصير حول إمارة ما فتحوه وزعمهم أن الخليفة حبس طارق بن زياد ومات طارق فقيراً متسولاً!

وكل هذه الروايات لا أساس لها من الصحة وإنما خصصنا رواية حرق السفن بالرد لشهرتها وانتشارها ^(١) .



(١) للاستزادة انظر : ، الكامل لابن الأثير (٤ / ٥٦٢) ، فتوح البلدان طبعة ١٩٠٠ م للبلاذري .

، فتوح مصر والمغرب طبعة ١٩٢٠ م لابن عبد الحكم . ، نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب طبعة ١٨٥٥ م للمقري .

الثامنة : معركة بلاط الشهداء ^(١)

س : متى كانت هذه المعركة ؟

كانت في أواخر شعبان واستمرت إلى أول رمضان سنة (١١٤) هجرية الموافق

(أكتوبر / ٧٣٢م) في خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان ^(٢)

قائد المسلمين في هذه المعركة هو : عبد الرحمن الغافقي ^(٣) — رحمه الله تعالى

(١) معركة بلاط الشهداء اسم أطلقه المؤرخون العرب على المعركة الفاصلة التي دارت في أوائل شهر رمضان سنة ١١٤هـ / ١٠ أكتوبر عام ٧٣٢م بين الفاتحين المسلمين بقيادة عبد الرحمن الغافقي وقوات الفرنجة (الفرنسيين) بقيادة شارل مارتل Charles Martel في سهل بواتيه Poitiers (بالقرب من مدينة تور على نهر اللوار وعلى مسافة ٣٤٠ كم إلى الجنوب الغربي من باريس)، وتسميها المصادر الغربية معركة بواتيه Bataille de Poitiers. وانتهت بهزيمة أوقفت تقدم المسلمين نحو أوروبا.

(٢) هشام بن عبد الملك بن مروان، من ملوك الدولة الأموية في الشام، ولد في دمشق لَمَا قَتَلَ أَبُوهُ عَبْدَ الْمَلِكِ مُضْعَبَ بْنَ الزُّبَيْرِ فِي سَنَةِ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ، فَسَاءَ مَنْصُورًا تَفَاؤُلًا، ثُمَّ قَدِمَ فَوَجَدَ أُمَّهُ قَدْ أَسْمَتْهُ بِاسْمِ أَبِيهَا هِشَامَ، فَأَقْرَهُ. بُويعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بَعْدَ مَوْتِ أَخِيهِ يَزِيدَ لِحَمْسٍ بَقِيْنَ مِنْ شَعْبَانَ مِنْ سَنَةِ خَمْسٍ وَمِائَةٍ - وَلَهُ مِنَ الْعُمَرِ أَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً وَأَشْهُرًا، اجتمع في خزانته من المال ما لم يجتمع في خزانة أحد من ملوك بني أمية في الشام، كان حسن السياسة، يباشر الأعمال بنفسه.

قَامَ بِأَمْرِ الْخِلَافَةِ أَتَمَّ الْقِيَامَ تَوَفَى سَنَةَ ١٢٥ هجرية.

(٣) هو أحد ولادة الأندلس تولى حكم الأندلس مرتين الأولى : سنة (١٠٢) هجرية ولم تدم طويلاً

وقائد النصارى هو : شارل مارتل أتى من باريس ويلقب عند العرب بقارلة، وينطقونه تشار قارلة، وكلمة (مارتل) لقب وتعني المطرقة، وقد سماه بها بابا إيطاليا؛ لأنه كان شديداً على أعدائه، وكان من أقوى حكام فرنسا على الإطلاق.

الثانية : بدأت في صفر (١١٢) هجرية وكان حينها قد حصل اضطراب . كان رجلاً صالحاً من كبار رجالات الأندلس عدلاً وكفاءةً وصالحاً

عمل أموراً منها:

❖ - إصلاح الأوضاع الداخلية وعمل على توحيد الناس .

❖ - عمل على تنظيم الجيش فرتبه وجعله فرقاً .

❖ - حصن القواعد والثغور .

بعد ذلك تحرك ليستكمل الفتوح من جديد وهو من العرب البلديين، أي الذين دخلوا الأندلس مع حملتي طارق وموسى واستقروا فيها. وهو من القادة الأكفاء الذين ساهموا في حملات الفتح في جنوب فرنسا، وقاد المسلمين بسلام إلى الأندلس بعد استشهاد السمع بن مالك في معركة طولوشة. ويبدو من إجماع عرب الأندلس على تقديره أنه كان نزيهاً مؤمناً سليم الإبان، حريصاً على تطبيق الشريعة فيما يخص توزيع الغنائم على الجنود. وهو من التابعين، ومن رواة الحديث النبوي، فقد ورد في ترجمته أنه روى عن عبد الله بن عمر بن الخطاب، ولهذا كان محل احترام صلحاء المسلمين، فضلاً عن جنده، لعدالته في تقسيم الغنائم، وعدم رغبته في حطام الدنيا. وما يؤسف له أننا لا نجد معلومات مفصلة عن عبد الرحمن وعهده في المصادر العربية، وكل ما هناك أخبار مقتضبة عن حملته على جنوب فرنسا، ولعل السبب في ذلك يعود إلى الهزيمة التي حلت بالمسلمين في معركة بلاط الشهداء، فاكتفت المصادر العربية بالإشارات الموجزة العابرة إلى هذا القائد والمعركة الأليمة التي خسرها المسلمون.

❖ **تفاصيل المعركة :** بعد أن وحد عبد الرحمن الغافقي الناس وظن أن القوة قد اكتملت أخذ هؤلاء الناس وانطلق بهم ناحية فرنسا ليستكمل الفتوح من جديد، ودخل مناطق لم يدخلها السابقون، ففتح أقصى غرب فرنسا، وأخذ يفتح المدينة تلو المدينة؛ وفتح مدينة آرل، ثم مدينة بوردو، والتي تسمى الآن بهذا الاسم، ثم مدينة طلوشة، ثم مدينة تور، ثم وصل إلى بواتيه غرب باريس، والتي تبعد عنها حوالي مائة كيلو متر، وتبعد من قرطبة حوالي ألف كيلو متر، فتوغل جداً في بلاد فرنسا في اتجاه الشمال الغربي، وهناك في مدينة بواتيه عسكر عند منطقة تسمى البلاط، والبلاط في اللغة الأندلسية تعني القصر، فإن هذه المنطقة كان فيها قصر قديم مهجور، وبدأ ينظم جيشه ليلاقى جيش النصارى، وكانت حملة عبد الرحمن الغافقي أكبر حملة تدخل بلاد فرنسا، فقد وصلت إلى خمسين ألف مقاتل، وهو عدد لم يحصل للمسلمين قبل ذلك الوقت مثله في تلك الجهات . وما كاد يخرج الجيش الإسلامي من "بواتيه" في طريقه نحو باريس حتى فوجئ عبد الرحمن الغافقي بوصول جيش هائل من الفرنج والمرتزة يصل عدده إلى أربعمئة ألف مقاتل أي: ثمانية أضعاف الجيش المسلم، بقيادة "شارل مارتن" "قارله". ولا شك أن المسلمين أبداً ما كانت تهزمهم هذه الأرقام إن سلم جيشهم من عوامل الضعف وعلى بعد عشرين كيلومترا شمال "بواتيه" في الطريق إلى "تور" جنوبي مجرى اللوار في موضع قريب من طريق روماني قديم هو المسمى "بالبلاط"، حدثت المعركة الكبرى بين الجيشين في موقعة من أشرس المواقع الإسلامية على الإطلاق في رمضان سنة (١١٤) هجرية، واستمرت عشرة أيام كاملة، فكانت معركة حامية. وكانت الغلبة في بداية الموقعة للمسلمين على قلة عددهم، وبذل كلا الجيشين أقصى وسعه في القتال، وصبر المسلمون صبراً طويلاً حتى تجمعت عليهم قوات نصرانية من كل ناحية، ولم يقتصر الأمر على الفرنجة،

بل انضم إليهم كثيرون من أجناس أخرى "ألمان، وسُواف، وسكسون". وفي آخر مراحل المعركة شن النصارى هجوماً عنيفاً على مؤخرة الجيش الإسلامي، فحدث ارتباك شديد في صف المسلمين، وانتهبت الغنائم، وتزعزع نظام الجيش، وبينما يحاول الغافقي إعادة النظام إلى جيشه أصابه سهم أرداه من فوق جواده قتيلاً، فعم الاضطراب بين المسلمين وكثر القتل فيهم، واشتد الفرنج عليهم، لكنهم صبروا حتى جاء الليل وتحاجز الفريقان دون فصل، ثم انسحب المسلمون نحو مراكزهم في "سبتانيا" تاركين غنائمهم، وفي فجر اليوم التالي تقدم «شارل» بحذر فوجد المعسكرات الإسلامية خالية إلا من الجرحى ومن لم يتمكن من مرافقة الجيش المنسحب فذبحوهم، وخشى «شارل مارتل» الخديعة فاكتفى بانسحاب المسلمين ولم يتعقبهم، وآثر العودة بجيشه إلى الشمال. واتهبوا ذخائر عظيمة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولم تتعرض كثير من المصادر العربية لذكر تفاصيل هذه الموقعة الفاصلة، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أنها كانت كارثة على جيش المسلمين، بحيث نفر قدامى المؤرخين من مجرد ذكرها، فاندرجت أخبارها في زوايا النسيان.

ولم يرد في الروايات الإسلامية حصر دقيق لشهداء المسلمين في موقعة بلاط الشهداء، لكن الروايات الأوروبية تبالغ كثيراً حتى تقول: إنه قتل من المسلمين في موقعة بلاط الشهداء ثلاثمائة وخمسة وسبعون ألف مسلم، وهذا مبالغ فيه جداً؛ لأن جيش المسلمين كان خمسين ألفاً.

ولقد كان مقتل «الغافقي» خسارة فادحة للمسلمين، وضربة شديدة لفتوحات في تلك البلدان وأضفت هذه الهزيمة على شارل مارتل قوة ومكانة

أكسبته لقب مارتل أي المطرقة، بعد أن بدا في نظر العالم الغربي بطل المسيحية الأول، الذي حمى غرب أوروبا من الزحف الإسلامي.

❖ **روايات وأقوال عارية عن الصحة :** تذكر بعض المصادر أنها ظهرت مشكلات في جيش عبدالرحمن الغافقي كانت السبب في الهزيمة وهي تعلق قلوب الجيش بالغنائم الكثيرة التي غنموها، وافتتانهم بتلك الأموال الضخمة التي حصلوها من بلاد فرنسا، وأنهم أرادوا العودة إلى أرض الأندلس لوضع هذه الغنائم هناك حتى لا يأخذها الفرنسيون، وأن عبد الرحمن الغافقي - رحمه الله - جمع الناس وقال لهم: ما جئنا لأجل هذه الغنائم، ما جئنا إلا لتعليم هؤلاء الناس هذا الدين، ولتعييد العباد لرب العباد سبحانه وتعالى، وأخذ يحفز الجيش ويحضهم على الجهاد في سبيل الله، وعلى الموت في سبيله سبحانه وتعالى، وأخذ الجيش وانطلق إلى بواتيه رغماً عن أنف الجنود!! وعندما وصل إلى منطقة بواتيه ظهرت أمور جديدة في الجيش وهي العصبيات التي كانت في بلاد الأندلس بين العرب والبربر، فتجددت من جديد، بسبب الغنائم الكثيرة التي لم توزع.

وبدأ الناس يختلفون، وكل واحد ينظر إلى ما في يد أخيه، وكل واحد يريد الشيء الأكثر، وكل واحد يرى نفسه أو نسبه أفضل من الآخر، فالعربي يقول: أنا عربي وأنت بربري والعربي أفضل، والبربر قالوا: نحن الذين فتحنا البلاد . فزعمت هذه الروايات أن هذه المشكلات ظهرت في الجيش، فاجتمعت العصبية، وحب الغنائم والخوف عليها، كما اجتمع إلى جوار ذلك الاعتداد بالعدد الضخم؛ الذي لم يسبق في تاريخ الأندلس، فأخذتهم العزة بهذا العدد، وظنوا أنهم لن يغلبوا. وكل هذه الأقوال مصدرها المراجع النصرانية الحاقدة وللأسف تلتقفها كثير من الكتاب على أنها حقائق تاريخية!!

"ومهما قيل من أسباب لتعليل خسارة المسلمين في معركة "بلاط الشهداء" - من مثل ما قيل عن وجود خلاف في الجيش الإسلامي "العرب والبربر"، وابتعاد الجيش عن بلاد الإسلام بحيث أصبح على بعد "٤٠٠ كم" شمال جبال ألبرت التي تبعد عن قرطبة مسافة "٩٠٠ كم" مما جعل موالاته بالمؤن والإمداد أمرا عسيرا، بينما كانت خطوط إمداد الفرنجة سهلة ومتصلة، إضافة إلى أن المناخ لم يكن مناسباً لخوض الجنود والخيول العربية تلك المعركة القاسية، وأن المسلمين ساروا مثقلين بغنائم المعارك السابقة، مما دفع العدو إلى ضرب مؤخرة الجيش الإسلامي فارتبكت صفوفه، هذا إلى أن إمارات "غالة" كانت قد تكتلت جميعا لمواجهة جيوش الإسلام وصدها عن الجنوب ومهما قيل من مثل هذه التعليلات وغيرها، وبعيدا عن مدى صحة بعضها وواقعيتها، فإن معركة بلاط الشهداء كانت أعظم لقاء بين الإسلام والنصرانية، وبين الشرق والغرب، ففي سهول "تور"، و"بواتيه" فقد المسلمون سيطرتهم على أوروبا، وارتد تيار الفتح الإسلامي أمام الأمم الشمالية كما ارتد قبل ذلك بأعوام أمام أسوار القسطنطينية، وأخفقت بذلك آخر محاولة بذلتها الخلافة لافتتاح أمم الغرب وإخضاع النصرانية لصولة الإسلام، ولم تتح للإسلام المتحد فرصة أخرى؛ لينفذ إلى قلب أوروبا في مثل كثرته وعزمه واعتزازه يوم مسيره إلى بلاط الشهداء... وعلى الرغم من هزيمة المسلمين في بلاط الشهداء "بواتيه"، فقد بقيت حامية عسكرية عربية في مدينة "أربونة" جنوب غربي فرنسا نحو عشرين سنة محتفظة بذلك البلد وبجانب كبير من "سبتانية"، ولم ينسحب المسلمون من "غالة" تماماً إلا بعد قيام الدولة الأموية في الأندلس "سنة ١٣٨هـ / ٧٥٦م" وقرار

عبد الرحمن الداخل "صقر قريش" بسحب قوات المسلمين من "غالة"، والاكتفاء بسلطان المسلمين على الأندلس ^(١) .

والخلاصة : أن هذه الهزيمة كانت لها نتائج سلبية على الفرنج أكثر من المسلمين إذ حيل بينهم وبين نور الإسلام يقول النصاري في رواياتهم: أنه لو هزم الفرنسيون في موقعة بواتييه لفتحت أوروبا جميعاً، ولدرس القرآن في جامعات باريس وكمبريدج وأوكسفورد. وهذا لاشك لو حصل لكان خيراً لهم ولكن لله الحكمة البالغة ^(٢) .



(١) د. محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس (١/ ١١١). و موجز عن الفتوحات الإسلامية (

١/ ١٠٦) د طه عبدالمقصود

(٢) للاستزادة انظر: الكامل لابن الأثير (٤/ ٤٠٤)، المقرئ (١/ ٢٣٦)، (٣/ ١٩)، ابن عبد الحكم، (٢١٦)، نفح الطيب (١/ ٢٣٦)، (٣/ ١٥-١٦)، دولة الإسلام في الأندلس لمحمد عبد الله عنان (١/ ٩٢-١١١)، المسلمون في الأندلس لعبد الله جمال الدين "موسوعة سفير (٧/ ١٥-١٦)، كتاب معركة بلاط الشهداء في التاريخ الاسلامي و الأوربي للدكتور عبدالفتاح مقلد الغنيمي، بلاط الشهداء - دمشق - بيروت: دار الفكر ١٩٧٩. الدكتور شوقي أبو خليل.

التاسعة : فتح عمورية (١)

س : متى كانت ؟

كانت في ٦ رمضان سنة ٢٢٣ هجرية الموافق ٣١ يوليو ٨٣٨ هجرية

❖ سبب فتحها : قال ابن الأثير - رحمه الله تعالى - : وفي هذه السنة - سنة

ثلاث وعشرين ومائتين - خرج توفيل بن ميخائيل ملك الروم إلى بلاد الإسلام، وأوقع بأهل زبطرة (٢) وغيرها.

وكان سبب ذلك أن بابك لما ضيق الأفشين عليه، وأشرف على الهلاك، كتب إلى ملك الروم توفيل يعلمه أن المعتصم قد وجه عساكره ومقاتلته إليه، حتى وجه خيَّاطه، يعني جعفر بن دينار الخيَّاط، وطبَّاحه، يعني إيتاخ، ولم يبق على بابه أحد، فإن أردت الخروج إليه فليس في وجهك أحد يمنعك.

(١) عمورية amorion - بفتح أوله وتشديد ثانيه-: مدينة في بلاد الروم سُمِّيَتْ بعمورية بنت الروم بن اليفز بن سام بن نوح، وهي مدينة بيزنطية حصينة في هضبة الأناضول - آسيا الصغرى - والأناضول. تركيا حالياً. تقع جنوبي غربي مدينة أنقرة على بعد يتراوح بين ثمانين كيلاً منها ومئة وثمانين وتسمى اليوم (سيفلي حصار). (اندثرت) ولم يبقَ اليوم منها سوى آثار.

(٢) زبطرة : - zapetra - من ثغور الجزيرة قرب مالطية إحدى الثغور العباسية، وهي مسقط رأس المعتصم، تقع في تركيا، فيها حصن هدمه الروم وأعاد بناءه هارون الرشيد واسترده الروم، حرقها الروم ثم استولى عليه المعتصم في حملته الشهيرة على عمورية سنة ٢٢٣ هـ.

وظنَّ بابك أنَّ ملك الروم إن تحرَّك يكشف عنه بعض ما هو فيه بإنفاذ العساكر إلى مقاتلة الروم، فخرج توفيل في مائة ألف، وقيل أكثر، منهم من الجند نيّف وسبعون ألفاً، وبقيتهم أتباع ، ومعهم من المحمّرة الذين كانوا خرجوا بالجبال فلحقوا بالروم حين قاتلهم إسحاق بن إبراهيم بن مصعب جماعة، فبلغ زبطرة، فقتل من بها من الرجال، وسبى الذرّية والنساء، وأغار على أهل ملطية وغيرها من حصون المسلمين، وسبى المسلمات، ومثّل بمن صار في يده من المسلمين وسمل أعينهم، وقطع أنوفهم وآذانهم، فخرج إليهم أهل الثغور من الشام والجزيرة، إلّا من لم يكن له دابة ولا سلاح... فلمّا بلغه ذلك - المعتصم ^(١) - استعظمه، وكبر لديه، وبلغه أنَّ امرأة هاشميّة صاحت، وهي أسيرة في أيدي

(١) مَلْطِيَّة - بفتح أوله وثانيه، وسكون الطاء، وتخفيف الياء -: بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة تتاخم الشام، وهي للمسلمين. معجم البلدان (٥ / ١٩٢ - ١٩٣).

(٢) هو أبو إسحاق المعتصم بالله محمد بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور. ثامن خلفاء الدولة العباسية، كان شجاعاً قوياً، ذا همة، بويع بالخلافة يوم وفاة أخيه المأمون في يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب سنة (٢١٨ هـ ٨٣٣) ولسنة (١٨٠ هـ ٧٩٥) وتوفي سنة (٢٢٦ - ٨٤١) فتح عمورية من بلاد البيزنطيين الشرقية، وشيد مدينة سامراء سنة (٢٢٢ هـ ٨٣٨) بعد أن ضاقت بغداد بجنده من الأتراك وتوفي بها عام ٢٢٧ هـ / ٨٣٣ م .. وكان يُقال له المُثَمَّن لأنه ثامن الخلفاء من بني العباس، وثامن أولاد الرشيد، وملك سنة ثمان عشرة، وملك ثمان سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام، وعاش ثمانية وأربعين سنة، وفتح ثمانية فتوح، وقتل ثمانية أعداء، وخلف ثمانية بنين وثمانية من البنات).

ينظر في ترجمته: الكامل في التاريخ: (٦ / ٧٠)، وتاريخ بغداد: (٣ / ٣٤٢ - ٣٤٧)، وتاريخ الطبري: (٩ / ١١٨ - ١١٩)، وسير أعلام النبلاء: (١٢ / ٥٣٥ - ٥٤٠)، الموسوعة العربية الميسرة (٢ / ١٧١٨).

الروم: وا معتصماه! فأجابها وهو جالس على سريرهِ: لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ! ونهض من ساعته، وصاح في قصره: النفير النفير، ثم ركب دابَّته، وسمَّط خلفه شكالا ، وسكَّة حديد، وحقية فيها زاده، فلم يمكنه المسير إلَّا بعد التعبئة، وجمع العساكر، فجلس في دار العامَّة، وأحضر قاضي بغداد وهو عبد الرحمن بن إسحاق، وشعبة بن سهل، ومعهما ثلاثمائة وثمانية وعشرون رجلا من أهل العدالة، فأشهدهم على ما وقف من الضياع، فجعل ثلثا لولده، وثلثا لله تعالى، وثلثا لمواليه.

ثم سار فعسكر بغريّ دجلة لليلتين خلتا من جمادى الأولى، ووجَّه عجيف بن عنبسة، وعمر الفرغانيّ، ومحمَّد كوتاه، وجماعة من القوَّاد إلى زبطرة معونة لأهلها، فوجدوا ملك الروم قد انصرف عنها إلى بلاده، بعد ما فعل ما ذكرناه، فوقفوا حتى تراجع النَّاس إلى قراهم واطمأنَّوا.

فلما ظفر المعتصم ببابك قال: أيّ بلاد الروم أمنع وأحصن؟ فقيل: عمُورية لم يعرض لها أحد منذ كان الإسلام، وهي عين النصرانيَّة، وهي أشرف عندهم من القسطنطينيَّة. فسار المعتصم من سرّ من رأى، وقيل كان مسيره سنة اثنتين وعشرين، وقيل سنة أربع وعشرين، وتجهَّز جهازا لم يتجهَّزه خليفة قبله قطّ من السلاح، والعدد، والآلة، وحياض الأدم، والروايا، والقرب، وغير ذلك، وجعل على مقدّمته أشناس، ويتلوه محمَّد ابن إبراهيم بن مصعب، وعلى ميمته إيتاخ، وعلى ميسرته جعفر بن دينار ابن عبد الله الخياط، وعلى القلب عجيف بن عنبسة،

فلما دخل بلاد الروم نزل على نهر السنّ، وهو على سلوقية، قريبا من البحر، بينه وبين طرسوس مسيرة يوم، وعليه يكون الفداء.

وأمضى المعتصم الأفشين إلى سروج، وأمره بالدخول من درب الحدث، وسمّى له يوما يكون دخوله فيه، ويوما يكون اجتماعهم فيه، وسيّر أشناس من درب طرسوس، وأمره بانتظاره بالصفصاف، فكان مسير أشناس لثمان بقين من رجب، وقدم المعتصم وصيفا في أثر أشناس ورحل المعتصم لست بقين من رجب. فلما صار أشناس بمرج أسقف ورد عليه كتاب المعتصم من المطامير يعلمه أنّ ملك الروم بين يديه، وأنّه يريد أن يكبسهم، ويأمر بالمقام إلى أن يصل إليه، فأقام ثلاثة أيام، فورد عليه كتاب المعتصم يأمره أن يوجّه قائدا من قواده في سرية يلتمسون رجلا من الروم يسألونه عن خبر الملك، فوجّه أشناس عمر الفرغانيّ في مائتي فارس، فدخل حتى بلغ أنقرة ^(١)، وفرّق أصحابه في طلب رجل روميّ، فأتوه بجماعة بعضهم من عسكر الملك، وبعضهم من السواد، فأحضرهم عند أشناس، فسألهم عن الخبر، فأخبروه أنّ الملك مقيم أكثر من ثلاثين يوما ينتظر مقدّمة المعتصم ليوافقهم، فأتاه الخبر بأنّ عسكرا عظيما قد دخل بلادهم من ناحية الأرمنياق، يعني عسكر الأفشين، قالوا: فلما أخبر استخلف

(١) يطلق عليها في المصادر العربية اسم (أنقورية). تقع في وسط الأناضول. فتحها الخليفة المعتصم في طريقه إلى عمورية وهي اليوم عاصمة الجمهورية التركية. وبالقرب منها جرت الوقعة الكبرى سنة ٨٠٤هـ بين السلطان بايزيد الأول وبين تيمورلنك وانتهت بأسر السلطان العثماني ووفاته.

ابن خاله على عسكره، وسار يريد ناحية الأفشين ، فوجّه أشناس بهم إلى المعتصم، فأخبروه الخبر، فكتب المعتصم كتابا إلى الأفشين يعلمه أنّ ملك الروم قد توجه إليه، ويأمره أن يقيم مكانه، خوفا عليه من الروم، إلى أن يرد عليه كتابه، وضمن لمن يوصل كتابه إلى الأفشين عشرة آلاف درهم.

فسارت الرسل بالكتاب إلى الأفشين، فلم يروه لأنّه أوغل في بلاد الروم، وكتب المعتصم إلى أشناس يأمره بالتقدّم، فتقدّم والمعتصم من ورائه، فلما رحل أشناس نزل المعتصم مكانه، حتى صار بينه وبين أنقرة ثلاث مراحل، فضاق عسكر المعتصم ضيقا شديدا من الماء والعلف.

وكان أشناس قد أسر في طريقه عدّة أسرى، فضرب أعناقهم، حتى بقي منهم شيخ كبير، فقال له: ما تنتفع بقتلي، وأنت وعسكرك في ضيق، وها هنا قوم قد هربوا من أنقرة خوفا منكم، وهم بالقرب منّا، معهم الطعام والشعير وغيرهما، فوجّه معي قوما لأسلمهم إليهم، وخلّ سبيلي! فسيّر معه خمسمائة فارس، ودفع الشيخ إلى مالك بن كيدر ، وقال له: متى أراك هذا الشيخ سبيا كثيرا، أو غنيمة كثيرة، فخلّ سبيله.

فسار بهم الشيخ، فأوردتهم على واد وحشيش، فأمرجوا دوابهم، وشربوا، وأكلوا، وساروا حتى خرجوا من الغيضة، وسار بهم الشيخ حتى أتى جبلا، فنزله ليلا، فلما أصبحوا قال الشيخ: وجّهوا رجلين يصعدان هذا الجبل، فينظران ما فوق، فيأخذان من أدركا! فصعد أربعة، فأخذوا رجلا وامرأة، فسألها الشيخ عن

أهل أنقرة، فدّلاه عليهم، فسار بالنّاس حتى أشرف على أهل أنقرة، وهم في طرف ملاحه، فلمّا رأوا العسكر أدخلوا النساء والصبيان الملاحه، وقاتلوهم على طرفها، وغنم المسلمون منهم وأخذوا من الروم عدّة أسرى وفيهم من فيه جراحات عتق متقدّمة، فسألوهم عن تلك الجراحات، فقالوا: كنّا في وقعة الملك مع الأفشين، وذلك أنّ الملك لما كان معسكرا أتاه الخبر بوصول الأفشين في عسكر ضخّم من ناحية الأرمنياق، واستخلف على عسكره بعض أقربائه، وسار إليهم، فواقعناهم صلاة الغداة، فهزمناهم وقتلنا رجّالتهم كلّهم، وتقطّعت عساكرنا في طلبهم، فلمّا كان الظهر رجع فرسانهم، فقاتلونا قتالا شديدا حتى خرقوا عسكرنا، واختلطوا بنا، فلم ندر أين الملك، وانهزمتنا منهم، ورجعنا إلى معسكر الملك الذي خلفه، فوجدنا العسكر قد انتقض، وانصرفوا عن قرابة الملك.

فلمّا كان الغد جاء الملك في جماعة يسيرة فرأى عسكره قد اختلّ، وأخذ الذي كان استخلفه عليهم، فضرب عنقه، وكتب إلى المدن والحصون أن لا يأخذوا أحدا انصرف من العسكر إلّا ضربوه بالسياط، وردّوه إلى مكان سمّاه لهم الملك، ليجتمع إليه النّاس، ويلقى المسلمين، وإنّ الملك وجّه خصيّا له إلى أنقرة ليحفظ أهلها، فرآهم قد أجلوا عنها، فكتب إلى الملك بذلك، فأمره بالمسير إلى عَمُورية، فرجع مالك بن كيدر بما معهم من الغنيمة والأسرى إلى عسكر أشناس، وغنموا في طريقهم بقرا، وغنما كثيرا، وأطلق الشيخ، فلمّا بلغ مالك بن كيدر عسكر أشناس أخبره بما سمع، فأعلم المعتصم بذلك، فسرّ به.

فلما كان بعد ثلاثة أيام جاء البشير من ناحية الأفشين بخبر السلامة، وكانت الوقعة لخمس بقين من شعبان. فلما كان الغد قدم الأفشين على المعتصم وهو بأنقرة، فأقاموا ثلاثة أيام، ثم جعل المعتصم العسكر ثلاثة عساكر: عسكر فيه أشناس في الميسرة، والمعتصم في القلب، وعسكر الأفشين في الميمنة، وبين كل عسكر وعسكر فرسخان، وأمر كل عسكر أن يكون له ميمنة وميسرة، وأمرهم أن يحرقوا القرى، ويحربوها، ويأخذوا من لحقوا فيها، ثم ترجع كل طائفة إلى صاحبها، يفعلون ذلك في ما بين أنقرة وعمورية، وبينهما سبع مراحل، ففعلوا ذلك حتى وافوا عمورية.

وكان أول من وردها أشناس، ثم المعتصم، ثم الأفشين، فداروا حولها، وقسمها بين القواد، وجعل لكل واحد منهم أبراجا منها على قدر أصحابه.

وكان رجل من المسلمين قد أسره الروم بعمورية فتنصر، فلما رأى المسلمين خرج إليهم، فأخبر المعتصم أن موضعا من المدينة وقع سوره من سيل أتاه، فكتب الملك إلى عامل عمورية ليعمره، فتوانى، فلما خرج الملك من القسطنطينية خاف العامل أن يرى السور خرابا، فبنى وجهه حجرا حجرا، وعمل الشرف على جسر خشب، فرأى المعتصم ذلك المكان، فأمر بضرب خيمته هناك، ونصب المجانيق على ذلك الموضع، فانفرج السور من ذلك الموضع.

فلما رأى الروم ذلك جعلوا عليه خشبا كبيرا كل عود يلزق الآخر، وكان المنجنيق يكسر الخشب، فجعلوا عليه براذع، فلما ألحّت المجانيق على ذلك الموضع

تصدّع السور، وكتب الخصي، وبطريق عَمُورِيَّة، واسمه ناطس، كتابا إلى ملك الروم يعلمه أمر السور، وسيّره مع رجلين، فأخذهما المسلمون، وسألها المعتصم، وفتّشها، فرأى الكتاب وفيه أنّ العسكر قد أحاط بالمدينة، وقد كان دخوله إليها خطأ، وأنّ ناطس عازم على أن يركب في خاصّته ليلا، ويحمل على العسكر كائنا ما كان، حتى يخلص ويسير إلى الملك، فلمّا قرأ المعتصم الكتاب أمر لهما ببكرة، وهي عشرة آلاف درهم، وخلع، فأسلما، فأمر بهما، فطافا حول عَمُورِيَّة، وأن يقفا مقابل البرج الذي فيه ناطس، فوقفا وعليهما الخلع، والأموال بين أيديهما، فعرفهما ناطس ومن معه من الروم، فشتموهما.

وأمر المعتصم بالاحتياط في الحراسة ليلا ونهارا، فلم يزلوا كذلك حتى انهدم السور ما بين برجين من ذلك الموضع، وكان المعتصم أمر أن يطمّ خندق عَمُورِيَّة بجلود الغنم المملوءة ترابا، فطمّوه، وعمل دبابات كبارا تسع كلّ دبابة عشرة رجال ليدحرجوها على الجلود إلى السور، فدحرجوا واحدة منها، فلمّا صارت في نصف الخندق تعلّقت بتلك الجلود، فما تخلّص من فيها إلّا بعد شدّة وجهد، وعمل سلاليم ومنجنيقات.

فلمّا كان الغد من يوم انهدم السور قاتلهم على الثلثة، فكان أوّل من بدأ بالحرب أشناس وأصحابه، وكان الموضع ضيقا، فلم يمكنهم الحرب فيه، فأمدّهم المعتصم بالمنجنيقات التي حول السور، فجمع بعضها إلى بعض حول الثلثة، وأمر أن يرمى ذلك الموضع.

وكانت الحرب في اليوم الثاني عشر على الأفشين وأصحابه، وأجادوا الحرب، وتقدموا، والمعتصم على دابته بإزاء الثلثة، وأشناس، والأفشين، وخواصّ القوَاد معه، فقال المعتصم: ما أحسن ما كان الحرب اليوم! وقال عمر الفرغاني: الحرب اليوم أجود منها أمس، فأمسك أشناس.

فلما انتصف النهار، وانصرف المعتصم والنّاس، وقرب أشناس من مضربه، ترجّل له القوَاد، كما كانوا يفعلون، وفيهم الفرغاني، وأحمد ابن الخليل بن هشام، فقال لهم أشناس: يا أولاد الزنا! ايش تمشون بين يديّ، كان ينبغي أن تقتاتلوا أمس حيث تقفون بين يدي أمير المؤمنين، فتقولون الحرب اليوم أجود منها أمس، كان يقاتل أمس غيركم، انصرفوا إلى مضاربكم. فلما انصرف الفرغاني، وأحمد بن الخليل، قال أحدهما للآخر: ألا ترى إلى هذا العبد ابن الفاعلة، يعني أشناس، ما صنع اليوم؟ أليس الدخول إلى الروم أهون من هذا؟

فقال الفرغاني لأحمد، وكان عنده علم من العباس بن المأمون: سيكفيك الله أمره عن قريب، فألحّ أحمد عليه، فأخبره، فأشار عليه أن يأتي العباس فيكون في أصحابه، فقال أحمد: هذا أمر أظنّه لا يتمّ، قال الفرغاني: قد تمّ، وأرشده إلى الحارث السمرقندي فأتاه، فرفع الحارث خبره إلى العباس، فكره العباس أن يعلم بشيء من أمره، فأمسكوا عنه.

فلَمَّا كان اليوم الثالث كان الحرب على أصحاب المعتصم، ومعهم المغاربة والأتراك، وكان القِيَم بذلك إيتاخ، فقاتلوا، وأحسنوا، واتَّسع لهم هدم السور، فلم تزل الحرب كذلك حتى كثرت الجراحات في الروم.

وكان بطارقة الروم قد اقتسموا أبراج السور، وكان البطريق الموكل بهذه الناحية وندوا، وتفسيره ثور، فقاتل ذلك اليوم قتالا شديدا، وفي الأيام قبله، ولم يمدّه ناطس، ولا غيره بأحد، فلَمَّا كان الليل مشى وندوا إلى الروم فقال: إِنَّ الحرب عليّ وعلى أصحابي، ولم يبق معي أحد إلا جرح، فصيّروا أصحابكم على الثلثة يرمون قليلا، وإلا ذهبت المدينة، فلم يمدّوه بأحد، وقالوا: لا نمذك ولا تمدّنا، فعزم هو وأصحابه على الخروج إلى المعتصم يسألونه الأمان على الذرّة، ويسلّمون إليه الحصن بما فيه. فلَمَّا أصبح وكلّ أصحابه بجانب الثلثة وأمرهم أن لا يجاربوا، وقال: أريد الخروج إلى المعتصم، فخرج إليه فصار بين يديه، والنّاس يتقدّمون إلى الثلثة، وقد أمسك الروم عن القتال، حتى وصلوا إلى السور، والروم يقولون: لا تخشوا، وهم يتقدّمون، ووندوا جالس عند المعتصم، فأركبه فرسا، وتقدّم النّاس حتى صاروا في الثلثة وعبد الوهاب بن عليّ بين يدي المعتصم يومئ إلى المسلمين بالدخول، فدخل النّاس المدينة، فالتفت وندوا وضرب بيده على لحيته، فقال له المعتصم: ما لك؟ قال: جئت أسمع كلامك، فغدرت بي، قال المعتصم: كلّ شيء تريده فهو لك، ولست أخالفك، قال: ايش تخالفني، وقد دخل النّاس المدينة.

وصار طائفة كبيرة من الروم إلى كنيسة كبيرة لهم، فأحرقها المسلمون عليهم، فهلكوا كلّهم، وكان ناطس في برجه، حوله أصحابه، فركب المعتصم ووقف مقابل ناطس، فقيل له: يا ناطس! هذا أمير المؤمنين، وظهر من البرج وعليه سيف، فنجاه عنه، ونزل حتى وقف بين يديه، فضربه سوطا، وسار المعتصم إلى مضربه، وقال: هاتوه! فمشى قليلا، فأمر المعتصم بحمله، وأخذ السيف الروم، وأقبل النَّاس بالأسرى والسبي من كلّ وجه، فأمر المعتصم أن يعزل منهم أهل الشرف، ونقل من سواهم، وأمر ببيع المغانم في عدّة مواضع، فبيع منها في أكثر من خمسة أيّام، وأمر بالباقي فأحرق.

وكان لا ينادى على شيء أكثر من ثلاثة أصوات ثمّ يوجب بيعه، طلبا للسرعة، وكان ينادى على الرقيق خمسة خمسة و عشرة عشرة، طلبا للسرعة، ولما كان، في بعض الأيّام، بيع المغانم، وهو الذي كان عجيف وعد النَّاس أن يثور فيه بالمعتصم على ما نذكره، وثب النَّاس على المغانم، فركب المعتصم، والسيف في يده، وسار ركضا نحوهم، فتنحّوا عنها، وكفّوا عن النهب، فرجع إلى مضربه، وأمر بعمورية فهدمت وأحرقت، وكان نزوله عليها لستّ خلون من شهر رمضان، وأقام عليها خمسة وخمسين يوما، وفرّق الأسرى على القوّاد، وسار نحو طرسوس (١).

(١) "الكامل في التاريخ" لابن الأثير (٦ / ٤٧٩ - ٤٨٩)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: (١١ / ٨٢).

وأقبل الناس بالأسرى والسبي من كل وجه حتَّى امتلأ العسكر، فقتل ثلاثين ألفا وسبى مثلهم، وَكَانَ فِي سَبِيهِ سِتُونَ بَطْرِيقًا، وجاء ببابها إلى العراق، وهو الباب المنصوب اليوم عَلَى دار الخليفة المجاور لباب الجامع، ويسمى «باب العامة».

وروى أبو بكر الصولي قَالَ: حَدَّثَنَا الْغَلَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ سَلِيَّانٍ قَالَ: غَزَوْتُ مَعَ الْمُعْتَصِمِ عَمُورِيَّةَ فَاحْتَاجَ النَّاسُ إِلَى مَاءٍ، فَمَدَّ لَهُمُ الْمُعْتَصِمُ حِيَاضًا مِنْ أَدَمَ عَشْرَةَ أَمْيَالٍ، وَسَاقَ الْمَاءَ فِيهَا إِلَى سَوْرِ عَمُورِيَّةَ، فَقَامَ يَوْمًا عَلَى السَّوْرِ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَصِيحٌ بِالْعَرَبِيَّةِ، فَشْتَمَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِاسْمِهِ وَنَسَبِهِ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَلَمْ تَبْلُغْهُ النَّشَابَةُ، قَالَ يَعْقُوبُ: وَكُنْتُ أُرْمِي، فَاعْتَمَدْتُهُ فَأَصَبْتُ نَحْرَهُ فَهُوَ وَكَبُرَ الْمُسْلِمُونَ، وَسَرَّ الْمُعْتَصِمُ، وَقَالَ: جِئْتُونِي بِمَنْ رَمَى هَذَا الْعَلِجَ. فَأَدْخَلُونِي عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ فَانْتَسَبْتُ لَهُ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ ثَوَابَ هَذَا السَّهْمِ لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، ثُمَّ قَالَ: بَعْنِي هَذَا الثَّوَابَ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَيْسَ الثَّوَابُ مِمَّا يَبَاعُ، فَقَالَ: إِنِّي أُرْغَبُكَ، فَأَعْطَانِي مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ إِلَى أَنْ بَلَغَ خَمْسَمِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ، قُلْتُ: مَا أَبِيعُهُ بِالْدِينَارِ، لَكِنْ أَشْهَدُ اللَّهَ أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ نِصْفَ ثَوَابِهِ لَكَ، فَقَالَ: قَدْ رَضِيتُ بِهَذَا، أَحْسَنَ اللَّهُ جِزَاكَ، فِي أَيِّ مَوْضِعٍ تَعْلَمُ الرَّمِي؟ فَقُلْتُ: بِالْبَصْرَةِ فِي دَارِ لِي، فَقَالَ: بَعْنِيهَا، فَقُلْتُ: هِيَ وَقَفٌ عَلَى مَنْ يَتَعَلَّمُ الرَّمِي، وَإِنْ أَحَبَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَهِيَ لَهُ وَكُلُّ مَا أَمْلِكُ. فَجِزَانِي خَيْرًا وَوَصِّلْنِي بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَارْتَحِلْ الْمُعْتَصِمُ مِنْصَرَفًا إِلَى أَرْضِ طَرْسُوسَ، وَكَانَتْ

إناخة المعتصم على عمورية لست خلون من رمضان وقفل بعد خمسة وخمسين يوماً ^(١) . اهـ

وقد خلد الشاعر أبو تمام ^(٢) هذه الواقعة في قصيدته الشهيرة التي قالها للمعتصم، مهناً له بالنصر العظيم وكان أبو تمام في صحبته وشهد الواقعة بنفسه، وفيها رده على المنجمين لأنهم خوفوا المعتصم من فتح عمورية وغزوها، وزعموا أن الزمان لا يوافق الفتح، وأنها لا تفتح إلا عند نضج التين والعنب ونصح المنجمون الخليفة ألا يخرج للحرب، فلم يلتفت لكلامهم وخرج للحرب وانتصر انتصاراً عظيماً فله الحمد .

والقصيدة مكونة من سبعين بيتاً أجيز على كل بيت منها بألف درهم، قام منشداً له على رؤوس الأشهاد فقال :

السيفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ	فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجَدِّ وَاللَّعِبِ
بِضُّ الصَّفَائِحِ لَا سَوْدُ الصَّحَائِفِ فِي	مُتَوْنِهِنَّ جَلَاءُ الشَّكِّ وَالرَّيْبِ
وَالْعِلْمُ فِي شُهْبِ الْأَرْمَاحِ لَا مِعةً	بَيْنَ الْخَمِيسِينَ لَا فِي السَّبْعَةِ الشُّهْبِ
أَيْنَ الرُّوَايَةِ بَلْ أَيْنَ النُّجُومِ وَمَا	صَاغُوهُ مِنْ زُخْرَفٍ فِيهَا وَمِنْ كَذِبِ
تَخَرُّصاً وَأَحَادِيثاً مُلَفَّقَةً	لَيْسَتْ بِنَبْعٍ إِذَا عُدَّتْ وَلَا غَرْبِ

(١) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك : (١١ / ٨٢) .

(٢) هو الشاعر العباسي الكبير حبيب بن اوس الطائي ابو تمام اكثر من مديح المعتصم وبأثيته في فتح عمورية آية في هذا الفن . وقد عرف الجاحظ وروى له .

عَجَائِباً زَعَمُوا أَيَّامَ مُجْفَلَةٍ
وَحَوَّفُوا النَّاسَ مِنْ دَهْيَاءِ مُظْلِمَةٍ
وَصَيَّرُوا الْأَبْرَجَ الْعُلْيَا مُرْتَبَةً
يَقْضُونَ بِالْأَمْرِ عَنْهَا وَهِيَ غَافِلَةٌ
لَوْ بَيَّنْتَ قَطُّ أَمْرًا قَبْلَ مَوْقِعِهِ
فَتَحُ الْفُتُوحُ تَعَالَى أَنْ يُحِيطَ بِهِ
فَتَحُّ تَفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهُ
يَا يَوْمَ وَقَعَةِ عَمُورِيَّةٍ انْصَرَفَتْ
أَبْقَيْتَ جَدَّ بَنَى الْإِسْلَامَ فِي صَعْدِ
أُمَّهُمْ لَوْ رَجَوْا أَنْ تُفْتَدَى جَعَلُوا
وَبَرَزَةَ الْوَجْهِ قَدْ أَعْيَتْ رِيَاضَتُهَا
بَكْرٌ فَمَا افْتَرَعَتْهَا كَفُّ حَادِثَةٍ
مِنْ عَهْدِ إِسْكَندَرَ أَوْ قَبْلَ ذَلِكَ قَدْ
حَتَّى إِذَا تَخَضَّ اللَّهُ السِّينَ لَهَا
أَتَتْهُمْ الْكُرْبَةُ السَّودَاءُ سَادِرَةً
جَرَى لَهَا الْفَالُ بَرَحاً يَوْمَ أَنْقَرَةٍ
لَمَّا رَأَتْ أُخْتُهَا بِالْأَمْسِ قَدْ خَرَبَتْ
كَمْ بَيْنَ حَيْطَانِهَا مِنْ فَارِسٍ بَطَلٍ
بُسْنَةِ السَّيْفِ وَالْخَطِيِّ مِنْ دَمِهِ

عَنْهُمْ فِي صَفَرِ الْأَصْفَارِ أَوْ رَجَبٍ
إِذَا بَدَا الْكَوْكَبُ الْعَرَبِيُّ ذُو الذَّنَبِ
مَا كَانَ مُنْقَلِباً أَوْ غَيْرَ مُنْقَلِبٍ
مَا دَارَ فِي فُلْكِ مِنْهَا وَفِي قُطْبٍ
لَمْ تُخَفِ مَا حَلَّ بِالْأَوْثَانِ وَالصُّلْبِ
نَظَمٌ مِنَ الشَّعْرِ أَوْ نَثْرٌ مِنَ الْخُطْبِ
وَتَبَرُّزُ الْأَرْضِ فِي أَثْوَابِهَا الْقُشْبِ
مِنْكَ الْمُنَى حُفْلاً مَعْسُولَةَ الْحَلَبِ
وَالْمُشْرِكِينَ وَدَارَ الشَّرِكِ فِي صَبَبِ
فِدَاءِهَا كُلُّ أُمَّ مِنْهُمْ وَأَبِ
كَسْرَى وَصَدَّتْ صُدُوداً عَنْ أَبِي
وَلَا تَرَقَّتْ إِلَيْهَا هِمَّةُ النُّوبِ
شَابَتْ نَوَاصِي اللَّيَالِي وَهِيَ لَمْ تَشِبْ
تَخَضَّ الْبَخِيلَةَ كَانَتْ زُبْدَةَ الْحَقَبِ
مِنْهَا وَكَانَ إِسْمُهَا فَرَّاجَةَ الْكُرْبِ
إِذْ غَوَدَتْ وَحْشَةَ السَّاحَاتِ وَالرَّحَبِ
كَانَ الْخَرَابُ لَهَا أَعْدَى مِنَ الْجَرْبِ
قَانِي الذَّوَائِبِ مِنْ آتِي دَمِ سَرَبِ
لَا سُنَّةَ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ مُتَخَضِّبِ

لَقَدْ تَرَكْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِهَا
 غَادَرْتَ فِيهَا بِهَيْمَ اللَّيْلِ وَهُوَ ضُحَى
 حَتَّى كَأَنَّ جَلَابِيبَ الدُّجَى رَغِبَتْ
 ضَوْءٌ مِنَ النَّارِ وَالظُّلُمَاءِ عَاكِفَةٌ
 فَالْشَّمْسُ طَالِعَةٌ مِنْ ذَا وَقَدْ أَفَلَتْ
 تَصَرَّحَ الدَّهْرُ تَصْرِيحَ الْغَمَامِ لَهَا
 لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ فِيهِ يَوْمَ ذَاكَ عَلَى
 مَا رُبِعُ مِائَةٍ مَعْمُورًا يُطِيفُ بِهِ
 وَلَا الْخُدُودُ وَقَدْ أَدْمِينَ مِنْ خَجَلٍ
 سَمَاجَةٌ غَنِيَتْ مِنَ الْعُيُونِ بِهَا
 وَحُسْنٌ مُنْقَلَبٌ تَبْقَى عَوَاقِبُهُ جَاءَتْ
 لَوْ يَعْلَمُ الْكُفْرُ كَمْ مِنْ أَعْصُرٍ كَمَنْتَ
 تَدْبِيرُ مُعْتَصِمٍ بِاللَّهِ مُنْتَقِمٍ
 وَمُطْعَمِ النَّصْرِ لَمْ تَكْهَمْ أَسِنَّتُهُ
 لَمْ يَغْزُ قَوْمًا وَلَمْ يَنْهَضْ إِلَى بَلَدٍ
 لَوْ لَمْ يَقْدِ جَحْفَلًا يَوْمَ الْوَعَى لَغَدَا
 رَمَى بِكَ اللَّهُ بُرْجِيهَا فَهَدَّمَهَا
 مِنْ بَعْدِ مَا أَشْبَوْهَا وَانْتَقِينَ بِهَا
 وَقَالَ ذُو أَمْرِهِمْ لَا مَرْتَعٌ صَدَدٌ

لِلنَّارِ يَوْمًا ذَلِيلَ الصَّخْرِ وَالْخَشَبِ
 يَشُلُّهُ وَسَطُهَا صُبْحٌ مِنَ اللَّهَبِ
 عَنْ لَوْنِهَا وَكَأَنَّ الشَّمْسَ لَمْ تَغِبْ
 وَظُلُمَةٌ مِنْ دُخَانٍ فِي ضُحَى شَحِبِ
 وَالشَّمْسُ وَاجِبَةٌ مِنْ ذَا وَلَمْ تَجِبْ
 عَنْ يَوْمٍ هَيَجَاءُ مِنْهَا طَاهِرٌ جُنْبِ
 بَانَ بِأَهْلٍ وَلَمْ تَغْرُبْ عَلَى عَرَبِ
 غِيلَانُ أَبِي رُبَيٍّ مِنْ رُبْعِهَا الْخَرِبِ
 أَشْهَى إِلَى نَاطِرِي مِنْ خَدَّهَا التَّرَبِ
 عَنْ كُلِّ حُسْنٍ بَدَا أَوْ مَنْظَرٍ عَجَبِ
 بِشَاشَتِهِ مِنْ سُوءٍ مُنْقَلَبِ
 لَهُ الْعَوَاقِبُ بَيْنَ السُّمْرِ وَالْقُضْبِ
 لِلَّهِ مُرْتَقِبِ فِي اللَّهِ مُرْتَغِبِ
 يَوْمًا وَلَا حُجِبَتْ عَنْ رُوحٍ مُحْتَجِبِ
 إِلَّا تَقَدَّمَهُ جَيْشٌ مِنَ الرَّعَبِ
 مِنْ نَفْسِهِ وَحَدَّهَا فِي جَحْفَلٍ لَجِبِ
 وَلَوْ رَمَى بِكَ غَيْرُ اللَّهِ لَمْ يُصِبِ
 وَاللَّهُ مُفْتَاخُ بَابِ الْمَعْقِلِ الْأَشْبِ
 لِلْسَّارِحِينَ وَلَيْسَ الْوَرْدُ مِنْ كَثَبِ

أَمَانِيَا سَلَبَتْهُمْ نُجَحَ هَاجِسِهَا
 إِنَّ الْحَمَامِينَ مِنْ بِيضٍ وَمِنْ سُمُرٍ
 لَبَّيْتَ صَوْتًا زَبَطَرِيًّا هَرَقْتَ لَهُ
 عَدَاكَ حَرُّ الثُّغُورِ الْمُسْتَضَامَةِ عَنْ
 أَجَبْتَهُ مُعَلِنًا بِالسَّيْفِ مُنْصَلِتًا
 حَتَّى تَرَكْتَ عَمُودَ الشَّرِكِ مُنْعَفِرًا
 لَمَّا رَأَى الْحَرْبَ رَأَى الْعَيْنَ تَوَفِّلِسُ
 ظُبَى السُّيُوفِ وَأَطْرَافُ الْقَنَا السُّلْبِ
 دَلُّوا الْحَيَاتِينَ مِنْ مَاءٍ وَمِنْ عُشْبِ
 كَأَسِ الْكَرَى وَرُضَابِ الْخُرْدِ الْعُرْبِ
 بَرَدِ الثُّغُورِ وَعَنْ سَلْسَالِهَا الْحَصْبِ
 وَلَوْ أَجَبْتَ بَغَيْرِ السَّيْفِ لَمْ تُجِبْ
 وَلَمْ تُعَرِّجْ عَلَى الْأَوْتَادِ وَالطُّنْبِ
 وَالْحَرْبُ مُشْتَقَّةُ الْمَعْنَى مِنَ الْحَرْبِ (١)

فياها من قصيدة رائعة لم تكن لغرض التسول بل كانت تسجيلًا لحدث مهم في تاريخ الاسلام، وتعبيراً من الشاعر عن فرحته بهذا النصر، والاحتفاء بهذا الخليفة البطل الذي انتصر للإسلام وحرمات الإسلام (٢).



(١) ديوان أبي تمام (١/٤٠-٧٤) بشرح التبريزي وهي مكونة من واحد وسبعين بيتاً.

(٢) للاستزادة انظر : البداية والنهاية لابن كثير : (١٠/٢٨٥-٢٨٨)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك لابن الجوزي (١١/٧٩-٨٢)، تاريخ الطبري : (٥/٢٣٦-٢٤٠)، الكامل في التاريخ لابن الأثير (٦/٤٧٩-٤٨٩)، تاريخ بغداد للخطيب (٢/٣٤٤).

العاشرة : معركة حارم (١)

س: متى كانت هذه المعركة؟

كانت يوم الجمعة ٢١ رمضان (٥٥٩) هجرية ١٨ أغسطس ١١٦٢ هـ

قائد المسلمين في هذه المعركة هو: الخليفة العابد الفقيه نورالدين محمود زنكي

- رحمه الله تعالى (٢) -

(١) حارم : بكسر الراء. قلعة بيزنطية وحصن حصين في بلاد الشام. سوريا. من أعمال حلب بالقرب من أنطاكية ، مركز قضاء بمحافظة إدلب .

(٢) هُوَ الْمَلِكُ الْعَادِلُ نُورُ الدِّينِ أَبُو الْقَاسِمِ مُحَمَّدُ بْنُ الْمَلِكِ الْأَتَاكِ عِمَادِ الدِّينِ أَبِي سَعِيدِ زَنْكِيِّ الْمُلْقَبِ بِالشَّهِيدِ بْنِ الْمَلِكِ أَقْسَنَرِ الْأَتَاكِ الْمُلْقَبِ بِقَسِيمِ الدَّوْلَةِ التُّرْكِيُّ السَّلْجُوقِيُّ مَوْلَاهُمْ، وُلِدَ وَفَتْ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ يَوْمِ الْأَحَدِ السَّابِعِ عَشَرَ مِنْ شَوَّالِ سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ بِحَلَبَ، وَنَسَأَ فِي كِفَالَةِ وَالِدِهِ صَاحِبِ حَلَبَ وَالْمُوصِلِ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْبُلْدَانِ الْكَثِيرَةِ الْكَبِيرَةِ، وَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَالْفُرُوسِيَّةَ وَالرِّمِّيَّ، وَكَانَ شَهْمًا شُجَاعًا ذَا هِمَّةٍ عَالِيَةٍ، وَقَصْدَ صَالِحٍ، وَحَرَمَةً وَافِرَةً وَدِيَانَةً بَيْنَهُ، فَلَمَّا قُتِلَ أَبُوهُ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَهُوَ مُحَاصِرٌ جَعْبَرَ صَارَ الْمُلْكُ بِحَلَبَ إِلَى ابْنِهِ نَوْرِ الدِّينِ هَذَا، وَأَعْطَاهُ أَخُوهُ سَيْفُ الدِّينِ غَازِيَّ الْمُوصِلِ، ثُمَّ تَقَدَّمَ، ثُمَّ افْتَتَحَ دِمَشْقَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ فَأَحْسَنَ إِلَى أَهْلِهَا وَبَنَى لَهُمُ الْمَدَارِسَ وَالْمَسَاجِدَ وَالرُّبُطَ، وَوَسَّعَ لَهُمُ الطَّرِيقَ عَلَى الْهَمَارَةِ، وَبَنَى عَلَيْهَا الرِّصَافَاتِ وَوَسَّعَ الْأَسْوَاقَ، وَوَضَعَ الْمَكُوسَ بِدَارِ الْغَنَمِ وَالْبَطِيخِ وَالْعَرُصِدِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَكَانَ حَنَفِيًّا الْمَذْهَبِ يُحِبُّ الْعُلَمَاءَ وَالْفُقَرَاءَ وَيَكْرَهُهُمْ وَيَحْتَرِمُهُمْ، وَيُحْسِنُ إِلَيْهِمْ، وَكَانَ يَقُومُ فِي أَحْكَامِهِ بِالْمُعَدَّلَةِ الْحَسَنَةِ، وَاتَّبَاعِ الشَّرْعِ الْمُطَهَّرِ، وَيَعْقِدُ مَجَالِسَ الْعَدْلِ وَيَتَوَلَّاهَا بِنَفْسِهِ، وَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ الْقَضَاءِ وَالْفَقْهَاءَ وَالْمُفْتُونَ مِنْ سَائِرِ الْمَذَاهِبِ، وَيَجْلِسُ فِي يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ بِالْمَسْجِدِ الْمُعَلَّقِ، الَّذِي بِالْكُشْكِ، لِيَصِلَ إِلَيْهِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَهْلِ الذِّمَّةِ، حَتَّى يَسَاوِيَهُمْ، وَأَحَاطَ السُّورَ عَلَى حَارَةِ الْيَهُودِ، وَكَانَ خَرَابًا، وَأَغْلَقَ بَابَ كِسَانَ وَفَتَحَ بَابَ الْفَرَجِ، وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ قَبْلَهُ بَابٌ بِالْكُفَّةِ، وَأَظْهَرَ بِيَلَادِهِ السُّنَّةَ وَأَمَاتَ الْبِدْعَةَ، وَأَمَرَ بِالتَّائِدِينَ

بِحَيِّ عَلَى الصَّلَاةِ حَيٍّ عَلَى الْفَلَاحِ، وَلَمْ يَكُنْ يُؤَدِّنُ بِهِمَا فِي دَوْلَتِي أَبِيهِ وَجَدَّهِ، وَإِنَّمَا كَانَ يُؤَدِّنُ بِحَيٍّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ لِأَنَّ شِعَارَ الرَّفْضِ كَانَ ظَاهِرًا بِهِمَا، وَأَقَامَ الْحُدُودَ وَفَتَحَ الْحُصُونِ، وَكَسَرَ الْفَرَنْجَ مَرَارًا عَدِيدَةً، وَاسْتَنْقَذَ مِنْ أَيْدِيهِمْ مَعَاقِلَ كَثِيرَةً مِنَ الْحُصُونِ الْمُنِيعَةِ الَّتِي كَانُوا قَدْ اسْتَحْوَذُوا عَلَيْهَا مِنْ مَعَاقِلِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَقْطَعَ الْعَرَبَ إِقْطَاعَاتٍ لِيَلَّا يَتَعَرَّضُوا لِلْحَجِيجِ، وَبَنَى بِدِمَشْقَ مَارِسْتَانًا لَمْ يُبْنَ فِي الشَّامِ قَبْلَهُ مِثْلُهُ وَلَا بَعْدَهُ أَيْضًا، وَوَقَفَ وَفَقًا عَلَى مَنْ يُعَلِّمُ الْآيَاتِ الْخَطِّ وَالْقِرَاءَةِ، وَجَعَلَ لَهُمْ نَفَقَةً وَكَسُوةً، وَعَلَى الْمَجَاوِرِينَ بِالْحَرَمَيْنِ وَلَهُ أَوْقَافَ دَارَةٍ عَلَى جَمِيعِ أَبْوَابِ الْخَيْرِ، وَعَلَى الْأَرَامِلِ وَالْمَحَاوِيجِ، وَكَانَ الْجَمَاعُ دَائِرًا فَوَلَّى نَظَرَهُ الْقَاضِي كَمَالَ الدِّينِ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الشَّهْرُورِيِّ الْمُوصِلِيِّ، الَّذِي قَدِمَ بِهِ فَوَلَاهُ قَضَاءَ قَضَاةِ دِمَشْقَ، فَأَصْلَحَ أُمُورَهُ وَأَصَافَ إِلَى أَوْقَافِ الْجَمَاعِ الْمَعْلُومَةِ الْأَوْقَافَ الَّتِي لَا يُعْرَفُ وَاقِفُهَا، وَلَا يُعْرَفُ شُرُوطُهُمْ فِيهَا، وَجَعَلَهَا قَلَمًا وَاحِدًا، وَاسْمُ مَالِ الْمَصَالِحِ، وَرَتَبَ عَلَيْهِ لِذَوِي الْحَاجَاتِ وَالْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْأَرَامِلِ وَالْأَيَّامِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

وَكَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ حَسَنَ الْخَطِّ كَثِيرَ الْمُطَالَعَةِ لِلْكِتَابِ الدِّينِيِّ، مُتَّبِعًا لِلْآثَارِ النَّبَوِيَّةِ، مُحَافِظًا عَلَى الصَّلَوَاتِ فِي الْجَمَاعَاتِ، كَثِيرَ التَّلَاوَةِ مُجِبًّا لِفِعْلِ الْخَيْرَاتِ، عَفِيفَ الْبَطْنِ وَالْفَرَجِ مُقْتَصِدًا فِي الْإِنْفَاقِ عَلَى نَفْسِهِ وَعِيَالِهِ فِي الْمَطْعَمِ وَالْمَلْبَسِ، حَتَّى قِيلَ: إِنَّهُ كَانَ أَدْنَى الْفُقَرَاءِ فِي زَمَانِهِ أَعْلَى نَفَقَةٍ مِنْهُ مِنْ غَيْرِ اِكْتِنَازٍ وَلَا اسْتِثَارٍ بِالدُّنْيَا، وَلَمْ يَسْمَعْ مِنْهُ كَلِمَةً فُحْشٍ قَطُّ، فِي غَضَبٍ وَلَا رَضَى، صُمُوتًا وَقُورًا.

قال ابن الأثير: لَمْ يَكُنْ بَعْدَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ مِثْلُ الْمَلِكِ نُورِ الدِّينِ، وَلَا أَكْثَرَ تَحَرُّيًا لِلْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ مِنْهُ، وَكَانَتْ لَهُ ذَكَائِنُ بِحِمَصٍ قَدْ اشْتَرَاهَا بِمَا يَخْصُهُ مِنَ الْمَغَانِمِ، فَكَانَ يَقْتَاتُ مِنْهَا، وَزَادَ أَمْرَاتُهُ مِنْ كَرَاهَا عَلَى نَفَقَتِهَا عَلَيْهَا، وَاسْتَفْتَى الْعُلَمَاءَ فِي مَقْدَارِ مَا يَحِلُّ لَهُ مِنْ بَيْتِ الْهَالِ فَكَانَ يَتَنَاوَلُهُ وَلَا يَزِيدُ عَلَيْهِ شَيْئًا، وَلَوْ مَاتَ جُوعًا، وَكَانَ يَكْثُرُ اللَّعِبُ بِالْكُرَةِ فَعَاتِبَهُ رَجُلٌ مِنْ كِبَارِ الصَّالِحِينَ فِي ذَلِكَ فَقَالَ: إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا أُرِيدُ بِذَلِكَ تَمْرِينَ الْخَيْلِ عَلَى الْكُرِّ وَالْفَرِّ، وَتَعْلِيمَهَا ذَلِكَ، وَنَحْنُ لَا نَتْرِكُ الْجِهَادَ، وَكَانَ لَا يَلْبَسُ الْحَرِيرَ، وَكَانَ يَأْكُلُ مِنْ كَسْبِ يَدِهِ بِسَيْفِهِ وَرَمَحِهِ، قَالَ الْذَهَبِيُّ: كَانَ تَقِيًّا وَرِعًا قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: انْتَزَعَ نُورُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ زَنْكِي مِنْ أَيْدِي الْكُفَرَاءِ نِيفًا وَخَمْسِينَ مَدِينَةً (فهو منكس أعلام الصلبيان إنه القائد المؤلف ! ألف كتاباً في الجهاد . رحمه الله تعالى إنه موحد الجزيرة العربية بما في ذلك الحجاز واليمن ومصر والشام توفي سنة ٥٦٩هـ رحمه الله كان يأمل في تحرير القدس والمسجد الأقصى من دنس ورجس النصارى عباد الصليب فأمر نجاراً

❖ سببها : قال ابن الأثير - رحمه الله تعالى : فِي هَذِهِ السَّنَةِ - سَنَةُ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ - انْهَزَمَ نُورُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ زُنْكِى مِنَ الْفَرَنْجِ، تَحْتَ حِصْنِ الْأَكْرَادِ، وَهِيَ الْوَقْعَةُ الْمَعْرُوفَةُ بِالْبُقَيْعَةِ، وَسَبَبُهَا أَنَّ نُورَ الدِّينِ جَمَعَ عَسَاكِرَهُ وَدَخَلَ بِلَادَ الْفَرَنْجِ وَنَزَلَ فِي الْبُقَيْعَةِ تَحْتَ حِصْنِ الْأَكْرَادِ، مُحَاصِرًا لَهُ وَعَازِمًا عَلَى قَصْدِ طَرَابُلُسَ وَمُحَاصَرَتِهَا، فَبَيْنَمَا النَّاسُ يَوْمًا فِي خِيَامِهِمْ، وَسَطَ النَّهَارِ، لَمْ يَرُعْهُمْ إِلَّا ظُهُورُ صُلْبَانِ الْفَرَنْجِ مِنْ وَرَاءِ الْجَبَلِ الَّذِي عَلَيْهِ حِصْنُ الْأَكْرَادِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْفَرَنْجِ اجْتَمَعُوا وَاتَّفَقَ رَأْيُهُمْ عَلَى كِبْسَةِ الْمُسْلِمِينَ نَهَارًا، فَإِنَّهُمْ يَكُونُونَ آمِنِينَ، فَركَبُوا مِنْ وَقْتِهِمْ، وَلَمْ يَتَوَقَّفُوا حَتَّى يَجْمَعُوا عَسَاكِرَهُمْ، وَسَارُوا مُجِدِّينَ، فَلَمْ يَشْعُرْ بِذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ إِلَّا وَقَدْ قَرُبُوا مِنْهُمْ، فَأَرَادُوا مَنَعَهُمْ، فَلَمْ يُطِيقُوا ذَلِكَ، فَأَرْسَلُوا إِلَى نُورِ الدِّينِ يُعَرِّفُونَهُ الْحَالَ، فَرَهَقَهُمُ الْفَرَنْجُ بِالْحُمْلَةِ، فَلَمْ يَثْبُتِ الْمُسْلِمُونَ، وَعَادُوا يَطْلُبُونَ مَعْسَكَرَ الْمُسْلِمِينَ، وَالْفَرَنْجُ فِي ظُهُورِهِمْ، فَوَصَلُوا مَعًا إِلَى الْعَسْكَرِ

ماهرًا فصنع له منبراً جميلاً ضخماً في غاية الجمال وقطع على نفسه عهداً أمام الناس أن يضعه في المسجد الأقصى إن شاء الله ولكنه مات سنة ٥٦٩ هجرية قبل أن يحقق مراده وبعد عشرين سنة حرر صلاح الدين الأيوبي الأقصى وجاء بالمنبر فوضعه فيه واستمر المنبر إلى عصرنا هذا وبالتحديد إلى ١٩٦٩/٨/٢١م عندما قام اليهودي المتطرف (مايك روهان) بإحراق المسجد الأقصى وأتى الحريق على منبر نور الدين ولم يبق منه إلا بعض القطع الصغيرة وهي موجودة الآن في المتحف الإسلامي في المسجد الأقصى . انظر ترجمته في البداية والنهاية (١٢٨/٧) .

النُّورِيَّ، فَلَمْ يَتِمَّكَنِ الْمُسْلِمُونَ مِنْ رُكُوبِ الْخَيْلِ، وَأَخَذَ السَّلَاحَ إِلَّا وَقَدْ خَالَطُوهُمْ، فَأَكْثَرُوا الْقَتْلَ وَالْأَسْرَ.

وَكَانَ أَشَدُّهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الدُّوْقَسَ الرُّومِيَّ، فَإِنَّهُ كَانَ قَدْ خَرَجَ مِنْ بِلَادِهِ إِلَى السَّاحِلِ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ مِنَ الرُّومِ، فَقَاتَلُوا مُحْتَسِبِينَ فِي زَعْمِهِمْ، فَلَمْ يُبْقُوا عَلَى أَحَدٍ، وَقَصَدُوا خَيْمَةَ نُورِ الدِّينِ وَقَدْ رَكِبَ فِيهَا فَرَسَهُ وَنَجَا بِنَفْسِهِ، وَلَسَّرَ عَتِهِ رَكِبَ الْفَرَسَ وَالشَّبَحَةَ فِي رِجْلِهِ، فَتَزَلَّ إِنْسَانٌ كُرْدِيٌّ قَطَعَهَا، فَجَا نُورُ الدِّينِ، وَقُتِلَ الْكُرْدِيُّ، فَأَحْسَنَ نُورُ الدِّينِ إِلَى مُحَلِّفِيهِ، وَوَقَفَ عَلَيْهِمُ الْوُقُوفَ.

وَنَزَلَ نُورُ الدِّينِ عَلَى بَحِيرَةٍ قَدَسَ بِالْقُرْبِ مِنْ حِمَصَ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَعْرَكَةِ أَرْبَعَةُ فَرَاسِخَ، وَتَلَا حَقَ بِهِ مَنْ سَلِمَ مِنَ الْعَسْكَرِ، وَقَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ: لَيْسَ مِنَ الرَّأْيِ أَنْ تُقِيمَ هَا هُنَا، فَإِنَّ الْفَرَنْجَ رُبَّمَا حَمَلَهُمُ الطَّمَعُ عَلَى الْمَجِيءِ إِلَيْنَا، فَنُؤْخِذُ وَنَحْنُ عَلَى هَذَا الْحَالِ، فَوَبَّخَهُ وَأَسْكَنَتْهُ، وَقَالَ: إِذَا كَانَ مَعِيَ أَلْفُ فَارِسٍ لَقِيْتُهُمْ وَلَا أُبَالِي بِهِمْ، وَوَاللَّهِ لَا أَسْتَظِلُّ بِسَقْفٍ حَتَّى أَخْذَ بِثَأْرِي وَثَأْرِ الْإِسْلَامِ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى حَلَبَ وَدِمَشْقَ، وَأَحْضَرَ الْأَمْوَالَ وَالثِّيَابَ وَالْخِيَامَ وَالسَّلَاحَ وَالْخَيْلَ، فَأَعْطَى اللَّبَاسَ عَوَضَ مَا أَخَذَ مِنْهُمْ جَمِيعَهُ بِقَوْلِهِمْ، فَعَادَ الْعَسْكَرُ كَأَن لَمْ تُصِبْهُ هَزِيمَةٌ، وَكُلُّ مَنْ قُتِلَ أَعْطِيَ أَقْطَاعَهُ لِأَوْلَادِهِ.

وَأَمَّا الْفَرَنْجُ فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَازِمِينَ عَلَى قَصْدِ حِمَصَ بَعْدَ الْهَرِيمَةِ لِأَنَّهَا أَقْرَبُ الْبِلَادِ إِلَيْهِمْ، فَلَمَّا بَلَغَهُمْ نُزُولُ نُورِ الدِّينِ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُمْ قَالُوا: لَمْ يَفْعَلْ هَذَا إِلَّا وَعِنْدَهُ قُوَّةٌ يَمْنَعُنَا بِهَا.

وَلَمَّا رَأَى أَصْحَابُ نُورِ الدِّينِ كَثْرَةَ خَرْجِهِ قَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ: إِنَّ لَكَ فِي بِلَادِكَ إِذْرَارَاتٍ وَصَدَقَاتٍ كَثِيرَةً عَلَى الْفُقَهَاءِ وَالْفُقَرَاءِ وَالصُّوفِيَّةِ (١) وَالْفُقَرَاءِ، وَغَيْرِهِمْ، فَلَوْ اسْتَعْنَتْ [بِهَا] فِي هَذَا الْوَقْتِ لَكَانَ أَصْلَحَ، فَغَضِبَ مِنْ ذَلِكَ، وَقَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَرْجُو النَّصْرَ إِلَّا بِأَوْلِيكَ، فَإِنَّمَا تُرْزُقُونَ وَتُنْصَرُونَ بِضِعْفَائِكُمْ، كَيْفَ أَقْطَعُ صَلَاتِ قَوْمٍ يُقَاتِلُونَ عَنِّي، وَأَنَا نَائِمٌ عَلَى فِرَاشِي، بِسَهَامٍ لَا تُخْطِئُ، وَأَصْرِفُهَا إِلَى مَنْ لَا يُقَاتِلُ عَنِّي إِلَّا إِذَا رَأَى بِسَهَامٍ قَدْ تُصِيبُ وَقَدْ تُخْطِئُ، وَهُؤُلَاءِ الْقَوْمُ هُمْ نَصِيبٌ فِي بَيْتِ الْمَالِ كَيْفَ يَحِلُّ لِي أَنْ أُعْطِيَهُ غَيْرَهُمْ؟

ثُمَّ إِنَّ الْفَرَنْجَ رَاسَلُوا نُورَ الدِّينِ يَطْلُبُونَ مِنْهُ الصَّلَاحَ، فَلَمْ يُجِبْهُمْ، وَتَرَكَوْا عِنْدَ حِصْنِ الْأَكْرَادِ مَنْ يَحْمِيهِ وَعَادُوا إِلَى بِلَادِهِمْ (٢).

وقال - رحمه الله تعالى : فِي هَذِهِ السَّنَةِ - سَنَةِ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ - فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، فَتَحَ نُورُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ زَنْكِي قَلْعَةَ حَارِمَ مِنَ الْفَرَنْجِ ؛ وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ نُورَ الدِّينِ لَمَّا عَادَ مُنْهَرِمًا مِنَ الْبُقَيْعَةِ، تَحْتَ حِصْنِ الْأَكْرَادِ، كَمَا ذَكَرْنَاهُ قَبْلُ، فَرَّقَ

(١) المقصود بهم الزهاد والعباد وليس المقصود بالصوفية هنا عباد القبور أهل الشرك.

(٢) الكامل : (٣٠١ / ٩) .

الْأَمْوَالِ وَالسَّلَاحِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَلَاتِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ، فَعَادَ الْعَسْكَرُ كَأَنَّهُمْ لَمْ يُصَابُوا وَأَخَذُوا فِي الْإِسْتِعْدَادِ لِلْجِهَادِ وَالْأَخْذِ بِثَأْرِهِ.

وَاتَّفَقَ مَسِيرُ بَعْضِ الْفَرَنْجِ مَعَ مَلِكِهِمْ إِلَى مِصْرَ، كَمَا ذَكَرْنَاهُ، فَأَرَادَ أَنْ يَقْصِدَ بِلَادَهُمْ لِيَعُودُوا عَنْ مِصْرَ، فَأَرْسَلَ إِلَى أَخِيهِ قُطْبِ الدِّينِ مَوْدُودٍ، صَاحِبِ الْمَوْصِلِ وَدِيَارِ الْجَزِيرَةِ، وَإِلَى فَخْرِ الدِّينِ قُرَا أَرْسِلَانِ، صَاحِبِ حِصْنِ كَيْفَا، وَإِلَى نَجْمِ الدِّينِ أَلْبِي، صَاحِبِ مَارِدِينَ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَصْحَابِ الْأَطْرَافِ يَسْتَنْجِدُهُمْ، فَأَمَّا قُطْبُ الدِّينِ فَإِنَّهُ جَمَعَ عَسْكَرَهُ وَسَارَ مُجِدًّا، وَفِي مُقَدِّمَتِهِ زَيْنُ الدِّينِ عَلِيُّ أَمِيرُ جَيْشِهِ، وَأَمَّا فَخْرُ الدِّينِ، صَاحِبُ الْحِصْنِ، فَبَلَغَنِي عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لَهُ نُدْمَاؤُهُ وَخَوَاصُّهُ: عَلَى أَيِّ شَيْءٍ عَزَمْتَ؟ فَقَالَ: عَلَى الْقُعُودِ، فَإِنَّ نُورَ الدِّينِ قَدْ تَحَشَّفَ مِنْ كَثْرَةِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ، وَهُوَ يُلْقِي نَفْسَهُ وَالنَّاسَ مَعَهُ فِي الْمُهَالِكِ، فَكُلُّهُمْ وَافِقُهُ عَلَى هَذَا الرَّأْيِ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ أَمَرَ بِالتَّجْهِزِ لِلْغَزَاةِ، فَقَالَ لَهُ أَوْلَيْكَ: مَا عَدَا مِمَّا بَدَأَ؟ فَارْقَنَاكَ أَمْسٍ عَلَى حَالَةٍ، فَزَى الْيَوْمَ ضِدَّهَا؟ فَقَالَ: إِنَّ نُورَ الدِّينِ قَدْ سَلَكَ مَعِيَ طَرِيقًا إِنْ لَمْ أُنْجِدْهُ خَرَجَ أَهْلُ بِلَادِي عَنْ طَاعَتِي، وَأَخْرَجُوا الْبِلَادَ عَنْ يَدَيَّ، فَإِنَّهُ قَدْ كَاتَبَ زُهَادَهَا وَعِبَادَهَا وَالْمُنْقَطِعِينَ عَنِ الدُّنْيَا، يَذْكُرُ لَهُمْ مَا لَقِيَ الْمُسْلِمُونَ مِنَ الْفَرَنْجِ، وَمَا نَاهَهُمْ مِنَ الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ، وَيَسْتَمِدُّ مِنْهُمْ الدُّعَاءَ، وَيَطْلُبُ أَنْ يَحْتُوا الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْغَزَاةِ، فَقَدْ قَعَدَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ أَوْلِيكَ، وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ وَاتِّبَاعُهُ، وَهُمْ يَقْرَأُونَ كُتُبَ نُورِ الدِّينِ، وَيَبْكُونَ وَيَلْعَنُونَنِي، وَيَدْعُونَ عَلَيَّ، فَلَا بُدَّ مِنَ الْمَسِيرِ إِلَيْهِ، ثُمَّ تَجَهَّزَ وَسَارَ بِنَفْسِهِ.

وَأَمَّا نَجْمُ الدِّينِ فَإِنَّهُ سَيَّرَ عَسْكَرًا، فَلَمَّا اجْتَمَعَتِ الْعَسَاكِرُ سَارَ نَحْوَ حَارِمٍ، فَحَصَرَهَا، وَنَصَبَ عَلَيْهَا الْمَجَانِيقَ، وَتَابَعَ الزَّحْفَ إِلَيْهَا، فَاجْتَمَعَ مَنْ بَقِيَ بِالسَّاحِلِ مِنَ الْفَرَنْجِ، فَجَاءُوا فِي حَدِّهِمْ وَحَدِيدِهِمْ، وَمُلُوكِهِمْ وَفُرْسَانِهِمْ، وَقَسَيسِيهِمْ، وَرُهَبَانِهِمْ، وَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، وَكَانَ الْمُقَدَّمُ عَلَيْهِمُ الْبِرْسُ بِيْمُنْدُ، صَاحِبُ أَنْطَاكِيَّةَ، وَقُمَّصُ، صَاحِبُ طَرَابُلُسَ وَأَعْمَالِهَا، وَابْنُ جُوسَلِينَ، وَهُوَ مِنْ مَشَاهِيرِ الْفَرَنْجِ، وَالِدُوكِ، وَهُوَ مُقَدَّمُ كَثِيرٍ مِنَ الرُّومِ، وَجَمَعُوا الْفَارِسَ وَالرَّاجِلَ، فَلَمَّا قَارَبُوهُ رَحَلَ عَنْ حَارِمٍ إِلَى أَرْتَاحٍ طَمَعًا أَنْ يَتْبَعُوهُ، فَيَتِمَّكَنَ مِنْهُمْ ؛ لِيُعْدِيَهُمْ عَنْ بِلَادِهِمْ إِذَا لَقَوْهُ، فَسَارُوا، فَزَلُّوا عَلَى غَمَرٍ، ثُمَّ عَلِمُوا عَجْزَهُمْ عَنْ لِقَائِهِ، فَعَادُوا إِلَى حَارِمٍ، فَلَمَّا عَادُوا تَبِعَهُمْ نُورُ الدِّينِ فِي أَبْطَالِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى تَعَبَةِ الْحَرْبِ.

فَلَمَّا تَقَارَبُوا اضْطَفُّوا لِلْقِتَالِ، فَبَدَأَ الْفَرَنْجُ بِالْحُمْلَةِ عَلَى مِئْمَنَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَفِيهَا عَسْكَرُ حَلَبَ وَصَاحِبُ الْحِصْنِ، فَانْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ فِيهَا، وَتَبِعَهُمُ الْفَرَنْجُ، فَقِيلَ كَانَتْ تِلْكَ الْهَزِيمَةُ مِنَ الْمِئْمَنَةِ عَلَى اتِّفَاقٍ وَرَأْيٍ دَبَّرُوهُ، وَهُوَ أَنْ يَتْبَعَهُمُ الْفَرَنْجُ فَيُعْدُوا عَنْ رَاجِلِهِمْ، فَيَمِيلُ عَلَيْهِمْ مَنْ بَقِيَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِالسُّيُوفِ، فَيَقْتُلُوهُمْ، فَإِذَا عَادَ فُرْسَانُهُمْ لَمْ يَلْقُوا رَاجِلًا يَلْجَأُونَ إِلَيْهِ، وَلَا وَزَرَ يَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ، وَيَعُودُ الْمُنْهَزِمُونَ فِي آثَارِهِمْ، فَيَأْخُذُهُمُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ، وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ، فَكَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا دَبَّرُوهُ: فَإِنَّ الْفَرَنْجَ لَمَّا تَبِعُوا الْمُنْهَزِمِينَ عَطَفَ زَيْنُ الدِّينِ عَلَيَّ فِي عَسْكَرِ الْمُوصِلِ عَلَى رَاجِلِ الْفَرَنْجِ، فَأَفْنَاهُمْ قَتْلًا وَأَسْرًا،

وَعَادَ حَيَاتَهُمْ، وَلَمْ يُمَعِنُوا فِي الطَّلَبِ خَوْفًا عَلَى رَاجِلِهِمْ، فَعَادَ الْمُنْهَزِمُونَ فِي
آثَارِهِمْ، فَلَمَّا وَصَلَ الْفَرَنْجُ رَأَوْا رِجَالَهُمْ قَتْلَى وَأَسْرَى، فَسَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ، وَرَأَوْا
أَنَّهُمْ قَدْ هَلَكُوا وَبَقُوا فِي الْوَسْطِ قَدْ أَحْدَقَ بِهِمُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَاسْتَدَّتْ
الْحَرْبُ، وَقَامَتْ عَلَى سَاقٍ، وَكَثُرَ الْقَتْلَى فِي الْفَرَنْجِ، وَتَمَّتْ عَلَيْهِمُ الْهَزِيمَةُ، فَعَدَلَ
حِينَئِذٍ الْمُسْلِمُونَ عَنِ الْقَتْلِ إِلَى الْأَسْرِ، فَأَسْرَوْا مَا لَا يُحَدُّ، وَفِي جُمْلَةِ الْأَسْرَى
صَاحِبُ أَنْطَاكِيَّةَ وَالْقُمَّصُ، صَاحِبُ طَرَابُلُسَ، وَكَانَ شَيْطَانُ الْفَرَنْجِ، وَأَشَدَّهُمْ
شَكِيمَةً عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَالِدُّوكُ مُقَدِّمُ الرُّومِ، وَابْنُ جُوسَلِينَ، وَكَانَتْ عِدَّةُ الْقَتْلَى
تَزِيدُ عَلَى عَشْرَةِ آلَافٍ قَتِيلٍ.

وَأَشَارَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى نُورِ الدِّينِ بِالْمَسِيرِ إِلَى أَنْطَاكِيَّةَ وَتَمَلَّكُهَا لِحُلُولِهَا مِنْ حَامٍ
يَحْمِيهَا وَمُقَاتِلِ يَذُبُّ عَنْهَا، فَلَمْ يَفْعَلْ، وَقَالَ: أَمَّا الْمَدِينَةُ فَأَمْرُهَا سَهْلٌ، وَأَمَّا الْقَلْعَةُ
فَمَنْيَعَةٌ، وَرَبِّمَا سَلَّمُوهَا إِلَى مَلِكِ الرُّومِ ؛ لِأَنَّ صَاحِبَهَا ابْنُ أَخِيهِ وَمُجَاوَرَةٌ بَيْنُمَنْدَ
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مُجَاوَرَةِ صَاحِبِ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، وَبَثَّ السَّرَايَا فِي تِلْكَ الْأَعْمَالِ، فَنَهَبُوهَا،
وَأَسْرَوْا أَهْلَهَا وَقَتَلُوهُمْ، ثُمَّ إِنَّهُ فَادَى بَيْنُمَنْدَ الْبِرْنَسَ، صَاحِبَ أَنْطَاكِيَّةَ، بِمَالٍ جَزِيلٍ
وَأَسْرَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَثِيرَةً أَطْلَقَهُمْ (١) ١٠٠هـ.

❏ وقال ابن كثير - رحمه الله تعالى : (وَفِيهَا فَتَحَ نُورُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ زَنْكِيٍّ
قَلْعَةَ تَلِّ حَارِمٍ وَاقْتَلَعَهَا مِنْ أَيْدِي الْفَرَنْجِ، وَكَانَتْ مِنْ أَحْصَنِ الْقِلَاعِ وَأَمْنَعِ

(١) الكامل لابن الأثير : (٣٠٨ / ٩) .

الْبِقَاعِ، وَذَلِكَ بَعْدَ قِتَالٍ عَظِيمٍ وَوَقْعَةٍ هَائِلَةٍ كَانَتْ مِنْ أَكْبَرِ الْفَتْوحَاتِ ، وَامْتَدَحَهُ الشُّعْرَاءُ عِنْدَ ذَلِكَ (١) . ١٠هـ

📖 **وقال صاحب الروضتين :** وبلغني أن نور الدين لما التقى الجمعان أو

قبيله انفرد تحت تل حارم وسجد لربه عز وجل ومرغ وجهه وتضرع وقال يا رب هؤلاء عبيدك وهم أولياؤك وهؤلاء عبيدك هم أعداؤك فانصر أولياءك على أعدائك إيش فضول محمود في الوسط يشير إلى أنك يا رب إن نصرت المسلمين فدينك نصرت فلا تمنعهم النصر بسبب محمود إن كان غير مستحق للنصر (٢) .

. كَانَتْ نُوْبَةُ الْبَقِيْعَةِ نُوْبَةً عَظِيْمَةً عَلَى الْمُسْلِمِيْنَ وَأَفْلَتَ نُوْرُ الدِّيْنِ فِي قَلَمٍ مِنْ عَسْكَرِهِ ثُمَّ كَسَرَ الْإِفْرَنْجَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ عَلَى حَارِمٍ وَقَتْلَ فِي مَعْرَكَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْهُمْ عَشْرَةَ آلَافٍ وَقِيلَ عَشْرُونَ آلَافًا وَأَسْرَ مِنْ نَجَا وَأَخَذَ الْقَوْمَصَ وَالْإِبْرَنْسَ وَالْدَوْقَسَ وَجَمِيعَ مُلُوكِهِمْ وَكَانَ مِنْهَا عَظِيمًا وَفَتْحًا مُبِينًا فَكَانَتْ مَعْرَكَةُ حَارِمٍ مِنْ أَعْظَمِ مَعَارِكِ نُوْرِ الدِّيْنِ مَعَ النِّصَارِيِّ وَانْتَهَتْ بِانْتِصَارٍ عَظِيمٍ لِلْمُسْلِمِيْنَ رَغْمَ كَثْرَةِ عَدَدِ الْكَافِرِيْنَ إِذْ بَلَغَ عَدَدُ جَيْشِ النِّصَارِيِّ فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ ثَلَاثُونَ آلَافًا أَحَاطَ بِهِمُ الْمُسْلِمُونَ، فَذَلُّوا، وَخَضَعُوا، وَعَمِلَ فِيهِمُ السَّيْفُ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ نَجَا بِهِ فَرَسُهُ، وَأَسْرَ نُوْرُ الدِّيْنِ مِنْ سَمِّيْنَا مِنْ مُلُوكِهِمْ، وَسِتَّةَ آلَافٍ مِنْ أَكْنَادِهِمْ، وَغَنِمَ مَا كَانَ مَعَهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْخَيْلِ وَالسَّلَاحِ وَالْخِيَامِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَفَتَحَ حِصْنَ حَارِمٍ

(١) البداية والنهاية : (١٢ / ٢٩١) .

(٢) عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية لأبي شامة (المتوفى: ٦٦٥ هـ) .

يوم الجمعة الحادي والعشرين من رمضان عام (٥٥٩) للهجرة النبوية ١٨ /
أغسطس ١١٦٤ م ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران
: ١٢٦].

وعاد إلى حلب بالأسارى والغنائم، وامتلاأت حلب منهم، فبيع الأسير
بدينار، وفرّقهم نور الدين على العساكر، وأعطى أخاه وصاحب الحصن الأموال
العظيمة، والتحف الكثيرة، وعادوا إلى بلادهم، ثم فاداهم نور الدين.

وكان قد استفتى الفقهاء، فاختلفوا، فقال قوم: يقتل الجميع. وقال آخرون:
يفادي بهم. فمال نور الدين إلى الفدية، فأخذ منهم ست مئة ألف دينار معجلة،
وخيلًا، وسلاحًا وغير ذلك، فكان نور الدين يحلف بالله أن جميع ما بناه من
المدارس والربط والمارستانات وغيرها من هذه المفاداة، وجميع ما وقفها منها،
وليس فيها من بيت المال درهم واحد ^(١).

ومن عجب أن السيوف لديهم تحيض دماً والسيوف ذكور
وأعجب من هذا أنها في أكفهم تأجج ناراً والأكف بحور ^(٢)

(١) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان / "سبط ابن الجوزي".

(٢) للاستزادة انظر: - البداية والنهاية (٩٦/٧)، "دول الإسلام" (٧٤ / ٢) -. إصلاح الأمة (٦)

(١٤٧). ، سير أعلام النبلاء (٢٠ / ٤١٥)، تاريخ الإسلام (٥٥١ - ٥٦٠ هـ)، معارك المسلمين (٤٠ -

(٤١) في رمضان / عبد العزيز العبيدي.

يَقُولُ القيسراني :

وتقضي دينها السمر الصعاد	تفي بضمانها الأبيض الحداد
فوارس من عزائمها الجلال	وتدرك ثارها من كل باغ
تشد بضبعه السبع الشداد	ويغشى حومة الهيجا همام
ونور الدين في يده الزناد	أظنوا أن نار الحرب تخبو
إذا انقضوا على الأبطال صادوا	وجند كالصقور على صقور
وإن ابدوا عداوتهم أبادوا	إذا أخفوا مكيدتهم أخافوا
وهل تخشى وأنت لها عماد	ونصرة دولة حاميت عنها
بأنب ما يؤنبها سناد	وإن تمل القوافي ما تلتله
وليس سوى النجيع لها مداد	جرت بالنصر أقلام العوالي
فنادى السيف قد وقع الحصاد	وطالت أرؤس الأعلاج خصبا
ولا طعن هناك ولا طراد	أحطت بهم فكان القتل صبرا
توسد والسنان له وساد	ولابرنز فوق الرمح رأس

وَلَيْسَ سِوَى الْقَنَاءِ لَهُ جَوَادُ	ترجل للسلام ففرسوه
وَعَاثِرَهَا وَلَيْسَ بِهِ سَهَادُ	غضيض المقلتين وَلَا نُعَاسُ
فَلَا هَضْبُ هُنَاكَ وَلَا وَهَادُ	فسر واستوعب الدُّنْيَا فتوحا
فَمَا عَنْ بَابِ مُسْلِمَةَ ذِيَادُ	وزر بيني الوغى مثنوى حبيب
بِفَارِسِهَا يُضِيءُ بِهَا الْحَدَادُ	وَلَا فِي بَابِ فَارِسٍ غَيْرُ تَكْلَى
وَقَدْ دَانَتْ لِسُطُوتِكَ الْبِلَادُ	أَنْطَاكِيَّةٌ تَحْمِي ذِرَاهَا
مَلِيَّةٌ لِدَعْوَتِكَ الْعِبَادُ	وأذعنت الممالك واستجابت



الحادية عشرة : معركة عين جالوت (١)

س : متى كانت ؟

كانت معركة عين جالوت يوم الجمعة (٢٥) رمضان سنة (٦٥٨) للهجرة النبوية .

قائد المسلمين فيها هو : الملك المظفر قطز (٢)

وقائد التتار (٣) فيها هو : كَتَبْغَانُوِينْ .

التتار مصيبة عظيمة ومحنة كبرى : ذكر ابن الأثير - رحمه الله تعالى خروج التتر إلى بلاد الإسلام في أحداث سنة (سبع عشرة وستمائة (٤)) فقال : (لقد بقيت عدة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة استعظماً لها، كارها لذكرها، فأنا أقدم إليه رجلاً وأؤخر أخرى، فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين، ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك؟ فيا ليت أمي لم تلدني، ويا ليتني مت

(١) موضع في فلسطين قرب الناصرة .

(٢) هو السلطان الملك المظفر سيف الدين قطز بن عبد الله المعزي، قاهر التتار تسلطن بعد أن خلع الملك المنصور علي ابن الملك المعز أيلك في يوم السبت ١٧ من ذي القعدة سنة ٦٥٧ هـ - ١٩٥٩ م، بعد أن تفاقم خطر التتار، وأصبحت مصر مهددة بغزوهم الوشيك .

(٣) هم نوع كثير من الترك عرفوا باسم التتار أو المغول وهو اسم يطلق على الأقوام الذين نشأوا في شمال الصين في صحراء تسمى صحراء جوبي في منقوليا .

(٤) في هذه السنة بدأ ظهور التتار في بعض بلاد المسلمين جهة كاشغر وسمرقند وبخارى .

قبل حدوثها وكنت نسيا منسياً ^(١)، إلا أنّي حثني جماعة من الأصدقاء على تسطيرها وأنا متوقّف، ثم رأيت أن ترك ذلك لا يجدي نفعاً، فنقول: هذا الفعل يتضمّن ذكر الحادثة العظمى، والمصيبة الكبرى التي عقت الأيام والليالي عن مثلها، عمّت الخلائق، وخصّت المسلمين، فلو قال قائل: إنّ العالم مذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم، وإلى الآن، لم يبتلوا بمثلها، لكان صادقاً، فإنّ التواريخ لم تتضمّن ما يقاربها ولا ما يدانيها.

ومن أعظم ما يذكرون من الحوادث ما فعله بخت نصر ببني إسرائيل من القتل، وتخریب البيت المقدّس، وما البيت المقدّس بالنسبة إلى ما خرّب هؤلاء الملاعين من البلاد، التي كلّ مدينة منها أضعاف البيت المقدّس، وما بنو إسرائيل بالنسبة إلى من قتلوا، فإنّ أهل مدينة واحدة ممّن قتلوا أكثر من بني إسرائيل، ولعلّ الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض العالم، وتفنّي الدنيا، إلّا يأجوج ومأجوج.

وأما الدجال فإنّه يبقى على من اتّبعه، ويهلك من خالفه، وهؤلاء لم يبقوا على أحد، بل قتلوا النساء والرجال والأطفال، وشقّوا بطون الحوامل، وقتلوا الأجنّة، فإنّا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

(١) يقول ابن الأثير هذا الكلام عن مآسي المسلمين على يد التتر في بخارى وسمرقند وخراسان قبل مأساة بغداد والشام لأنّه مات قبل وقوعها بنحو ثلاثة عقود فكيف لو عاش حتى أيام محنة بغداد والشام وما جرى فيها من مآسي عظام ماذا عسى أن يقول؟!

لهذه الحادثة التي استطار شررها، وعمّ ضررها، وسارت في البلاد كالسحاب استدبرته الرّيح، فإنّ قوما خرجوا من أطراف الصين ^(١) ، فقصدوا بلاد تركستان مثل كاشغر و بلاساغون، ثمّ منها إلى بلاد ما وراء النهر، مثل سمرقند وبخارى وغيرهما، فيملكونها، ويفعلون بأهلها ما نذكره، ثمّ تعبر طائفة منهم إلى خراسان، فيفرغون منها ملكا، وتخرّيبا، وقتلا، ونهبا، ثمّ يتجاوزونها إلى الرّيّ، وهمذان، وبلد الجبل وما فيه من البلاد إلى حدّ العراق، ثمّ يقصدون بلاد أذربيجان وأرانيّة، ويخرّبونها، ويقتلون أكثر أهلها، ولم ينبج إلاّ الشريد النادر في أقلّ من سنة، هذا ما لم يسمع بمثله. هذا ما لم يطرق الأسماع مثله، وأمّا ديانتهم، فإنّهم يسجدون للشمس عند طلوعها، ولا يحرمون شيئا، فإنّهم يأكلون جميع الدوابّ، حتّى الكلاب، والخنازير، وغيرها، ولا يعرفون نكاحا بل المرأة يأتيها غير واحد من الرجال، فإذا جاء الولد لا يعرف أباه.

(١) أي من جبال طغماج وكان بينهم وبين المسلمين مسافة تزيد على ستة أشهر فاسم التتار والمغول يطلق على الأقوام الذين نشؤوا في شمال الصين، في صحراء تسمى صحراء جوبي في منغوليا. فالتتار هم أصل القبائل في هذه المنطقة، ومنهم جاءت قبائل أخرى كثيرة، منها: قبيلة المغول والترك والسلاجقة وغيرها من القبائل، وعندما سيطر جنكيز خان على هذه المنطقة أطلق اسم المغول على هذه القبائل كلها، وكان للتتار ديانة عجيبة جداً، خليطة من أديان مختلفة، فقد جمع جنكيز خان بعض الشرائع من الإسلام ومن المسيحية ومن البوذية، وابتدع أشياء من عنده، ثم أخرج من عنده كتاباً جعله كالدستور للتتار، وسمى هذا الكتاب: الياسق أو الياسك أو الياسة، حسب التسميات المختلفة، فكان دستور دولة التتار ودينهم.

ولقد بلي الإسلام والمسلمون في هذه المدة بمصائب لم يتل بها أحد من الأمم،
منها هؤلاء التتر، قبحهم الله، أقبلوا من المشرق، ففعلوا الأفعال التي يستعظمها
كل من سمع بها، وسترها مشروحة متصلة، إن شاء الله تعالى.... (١)

محنة سقوط بغداد: قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - في البداية والنهاية :

اسْتَهَلَّتْ هَذِهِ السَّنَةُ - سَنَةُ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ - وَجُنُودُ التَّتَارِ قَدْ نَازَلَتْ بَغْدَادَ
صُحْبَةَ الْأَمِيرَيْنِ اللَّذَيْنِ عَلَى مُقَدِّمَةِ عَسَاكِرِ سُلْطَانِ التَّتَارِ، هُوَ لَاقُو خَانَ، وَجَاءَتْ
إِلَيْهِمْ أُمْدَادُ صَاحِبِ الْمَوْصِلِ يُسَاعِدُونَهُمْ عَلَى الْبَغَادَةِ وَمِيرْتُهُ وَهَدَايَاهُ وَتُحْفُهُ،
وَكُلُّ ذَلِكَ خَوْفًا عَلَى نَفْسِهِ مِنَ التَّتَارِ، وَمُصَانَعَةً لَهُمْ قَبَحَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، وَقَدْ سُرَّتْ
بَغْدَادُ وَنُصِبَتْ فِيهَا الْمُجَانِيقُ وَالْعَرَّادَاتُ وَغَيْرُهَا مِنْ آلَاتِ الْمُنَافَعَةِ الَّتِي لَا تَرُدُّ مِنْ
قَدَرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شَيْئًا، كَمَا وَرَدَ فِي الْأَثَرِ " لَنْ يُغْنِيَ حَذَرٌ عَنْ قَدَرٍ " وَكَمَا قَالَ
تَعَالَى ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ [نوح: ٤] وَقَالَ تَعَالَى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا
بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءَ فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ
مِنْ وَالٍ﴾ [الرعد: ١١] وَأَحَاطَتِ التَّتَارُ بِدَارِ الْخِلَافَةِ يَرِشْقُونَهَا بِالْبَالِ مِنْ كُلِّ
جَانِبٍ حَتَّى أُصِيبَتْ جَارِيَةٌ كَانَتْ تَلْعَبُ بَيْنَ يَدَيْ الْخَلِيفَةِ وَتُضْحِكُهُ، وَكَانَتْ مِنْ
جَمَلَةِ حَظَايَاهُ، وَكَانَتْ مَوْلَدَةً تُسَمَّى عَرَفَةَ، جَاءَهَا سَهْمٌ مِنْ بَعْضِ السَّبَابِيكِ فَقَتَلَهَا
وَهِيَ تَرْقُصُ بَيْنَ يَدَيْ الْخَلِيفَةِ، فَاَنْزَعَجَ الْخَلِيفَةُ مِنْ ذَلِكَ وَفَزِعَ فَزَعًا شَدِيدًا،

(١) الكامل لابن الأثير : (١٠ / ٣٣٥).

وَأَحْضَرَ السَّهْمَ الَّذِي أَصَابَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ فَإِذَا عَلَيْهِ مَكْتُوبٌ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ إِنْفَادَ قَضَائِهِ وَقَدَرَهُ أَذْهَبَ مِنْ ذَوِي الْعُقُولِ عُقُوبَهُمْ، فَأَمَرَ الْخَلِيفَةُ عِنْدَ ذَلِكَ بِزِيَادَةِ الْإِحْتِرَازِ، وَكَثُرَتِ السَّتَائِرُ عَلَى دَارِ الْخِلَافَةِ - وَكَانَ قَدُومُ هَوْلَاكُو خَانَ بَجُنُودِهِ كُلِّهَا، وَكَانُوا نَحْوَ مِائَتَيْ أَلْفٍ مُقَاتِلٍ - إِلَى بَغْدَادَ فِي ثَانِي عَشَرَ الْمُحَرَّمِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وَهُوَ شَدِيدُ الْحَنْقِ عَلَى الْخَلِيفَةِ بِسَبَبِ مَا كَانَ تَقَدَّمَ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي قَدَّرَهُ اللَّهُ وَقَضَاهُ وَأَنْفَذَهُ وَأَمْضَاهُ، وَهُوَ إِنْ هَوْلَاكُو لَمَا كَانَ أَوَّلَ بَرْوَزِهِ مِنْ هَمْدَانَ مُتَوَجِّحًا إِلَى الْعِرَاقِ أَشَارَ الْوَزِيرُ مُؤَيَّدُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلْقَمِيِّ عَلَى الْخَلِيفَةِ بِأَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِ بَهْدَايَا سَنِيَّةٍ لِيَكُونَ ذَلِكَ مُدَارَاةً لَهُ عَمَّا يُرِيدُهُ مِنْ قَصْدِ بِلَادِهِمْ فَخَذَلَ الْخَلِيفَةُ عَنْ ذَلِكَ دُوَيْدَارُهُ الصَّغِيرُ أَيْبُكَ وَغَيْرُهُ، وَقَالُوا إِنَّ الْوَزِيرَ إِنَّمَا يُرِيدُ بِهَذَا مُصَانَعَةَ مَلِكِ التَّتَارِ بِمَا يَبْعَثُهُ إِلَيْهِ مِنَ الْأَمْوَالِ، وَأَشَارُوا بِأَنْ يَبْعَثَ بِشَيْءٍ يَسِيرٍ، فَأَرْسَلَ شَيْئًا مِنَ الْهَدَايَا فَاحْتَقَرَهَا هَوْلَاكُو خَانٌ، وَأَرْسَلَ إِلَى الْخَلِيفَةِ يَطْلُبُ مِنْهُ دُوَيْدَارَهُ الْمَذْكُورَ، وَسُلَيْمَانَ شَاهٍ، فَلَمْ يَبْعَثْهُمَا إِلَيْهِ وَلَا بِالْأَمْرِ حَتَّى أَزِفَ قُدُومُهُ، وَوَصَلَ بَغْدَادَ بِجُنُودِهِ الْكَثِيرَةِ الْكَافِرَةِ الْفَاجِرَةِ الظَّالِمَةِ الْغَاشِمَةِ، مِمَّنْ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَأَحَاطُوا بِبَغْدَادَ مِنْ نَاحِيَّتِهَا الْغَرْبِيَّةِ وَالشَّرْقِيَّةِ، وَجِيُوشُ بَغْدَادَ فِي غَايَةِ الْقِلَّةِ وَنَهَايَةِ الدَّلَّةِ، لَا يَبْلُغُونَ عَشْرَةَ آلَافٍ فَارِسٍ، وَهُمْ وَبَقِيَّةُ الْجَيْشِ، كُلُّهُمْ قَدْ صُرِفُوا عَنْ إِقْطَاعَاتِهِمْ حَتَّى اسْتَعْطَى كَثِيرٌ مِنْهُمْ فِي الْأَسْوَاقِ وَأَبْوَابِ الْمَسَاجِدِ، وَأَنْشَدَ فِيهِمُ الشُّعْرَاءُ قِصَائِدَ يَرْتُونَ لَهُمْ وَيَحْزَنُونَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَذَلِكَ كُلُّهُ عَنْ آرَاءِ الْوَزِيرِ ابْنِ الْعَلْقَمِيِّ الرَّافِضِيِّ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ فِي السَّنَةِ الْمَاضِيَةِ كَانَ بَيْنَ أَهْلِ السَّنَةِ وَالرَّافِضَةِ

حرب عظيمة نهبت فيها الكرخ ومحلة الرافضة حتى نهبت دُور قَرَابَاتِ الوَزِيرِ،
فَاشْتَدَّ حَنْقُهُ عَلَى ذَلِكَ، فَكَانَ هَذَا مِمَّا أَهَاجَهُ عَلَى أَنْ دَبَّرَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ مَا وَقَعَ
مِنَ الْأَمْرِ الْفَظِيعِ الَّذِي لَمْ يُؤَرَّخْ أَبْشَعُ مِنْهُ مُنْذُ بُنِيتْ بَغْدَادُ، وَإِلَى هَذِهِ الْأَوْقَاتِ،
وَلِهَذَا كَانَ أَوَّلَ مَنْ بَرَزَ إِلَى التَّارِ هُوَ، فَخَرَجَ بِأَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَخَدَمِهِ وَحَشَمِهِ،
فَاجْتَمَعَ بِالسُّلْطَانِ هَوْلَاكُو خَانٍ لَعَنَهُ اللَّهُ، ثُمَّ عَادَ فَأَشَارَ عَلَى الْخَلِيفَةِ بِالْخُرُوجِ إِلَيْهِ
وَالْمُثُولِ بَيْنَ يَدَيْهِ لِتَقَعَ الْمُصَالِحَةُ عَلَى أَنْ يَكُونَ نِصْفُ خَرَاجِ الْعِرَاقِ لَهُمْ وَنِصْفُهُ
لِلْخَلِيفَةِ، فَاحْتَجَّ الْخَلِيفَةُ إِلَى أَنْ خَرَجَ فِي سَبْعِمِائَةٍ رَاكِبٍ مِنَ الْقُضَاةِ وَالْفُقَهَاءِ
وَالصُّوْفِيَةِ وَرِءُوسِ الْأُمَرَاءِ وَالِدُّوْلَةِ وَالْأَعْيَانِ، فَلَمَّا اقْتَرَبُوا مِنْ مَنْزِلِ السُّلْطَانِ
هَوْلَاكُو خَانٍ حُجِبُوا عَنِ الْخَلِيفَةِ إِلَّا سَبْعَةَ عَشَرَ نَفْسًا، فَخَلَصَ الْخَلِيفَةُ بِهِؤُلَاءِ
الْمَذْكُورِينَ، وَأَنْزَلَ الْبَاقُونَ عَنْ مَرَائِكِبِهِمْ وَنَهَبَتْ وَقْتَلُوا عَنْ آخِرِهِمْ، وَأُحْضَرَ
الْخَلِيفَةُ بَيْنَ يَدَيْ هَوْلَاكُو فَسَأَلَهُ عَنْ أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ فَيُقَالُ إِنَّهُ اضْطَرَبَ كَلَامُ الْخَلِيفَةِ
مِنْ هَوْلٍ مَا رَأَى مِنَ الْإِهَانَةِ وَالْجَبْرُوتِ، ثُمَّ عَادَ إِلَى بَغْدَادَ وَفِي صَحْبَتِهِ خَوْجَةُ
نَصِيرِ الدِّينِ الطُّوسِي، وَالْوَزِيرُ ابْنُ الْعَلَقَمِيِّ وَغَيْرُهُمَا، وَالْخَلِيفَةُ تَحْتَ الْحُوطَةِ
وَالْمُصَادَرَةِ، فَأُحْضَرَ مِنْ دَارِ الْخِلَافَةِ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الذَّهَبِ وَالْحُلِيِّ وَالْمُصَاغِ
وَالْجَوَاهِرِ وَالْأَشْيَاءِ النَّفِيسَةِ، وَقَدْ أَشَارَ أُولَئِكَ الْمَلَأُ مِنَ الرَّافِضَةِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ
الْمُنَافِقِينَ عَلَى هَوْلَاكُو أَنْ لَا يُصَالِحَ الْخَلِيفَةَ، وَقَالَ الْوَزِيرُ مَتَى وَقَعَ الصُّلْحُ عَلَى
الْمُنَاصَفَةِ لَا يَسْتَمِرُّ هَذَا إِلَّا عَامًا أَوْ عَامَيْنِ ثُمَّ يَعُودُ الْأَمْرُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ قَبْلَ ذَلِكَ،
وَحَسَنُوا لَهُ قَتْلَ الْخَلِيفَةِ، فَلَمَّا عَادَ الْخَلِيفَةُ إِلَى السُّلْطَانِ هَوْلَاكُو أَمَرَ بِقَتْلِهِ، وَيُقَالُ إِنَّ

الَّذِي أَشَارَ بِقَتْلِهِ الْوَزِيرُ ابْنُ الْعَلْقَمِيِّ، وَالْمَوْلَى نَصِيرُ الدِّينِ الطُّوسِيِّ، وَكَانَ النَّصِيرُ عِنْدَ هَوْلَاكُو قَدْ اسْتَصْحَبَهُ فِي خِدْمَتِهِ لَمَّا فَتَحَ قِلَاعَ الْأَلُوتِ، وَانْتَزَعَهَا مِنْ أَيْدِي الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ، وَكَانَ النَّصِيرُ وَزِيرًا لِشَمْسِ الشُّمُوسِ وَلِأَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ عَلَاءِ الدِّينِ بْنِ جَلالِ الدِّينِ، وَكَانُوا يَنْسُبُونَ إِلَى نَزَارِ بْنِ الْمُسْتَنْصِرِ الْعَبِيدِيِّ، وَانْتَخَبَ هَوْلَاكُو النَّصِيرَ لِيَكُونَ فِي خِدْمَتِهِ كَالْوَزِيرِ الْمُشِيرِ، فَلَمَّا قَدِمَ هَوْلَاكُو وَتَهَيَّبَ مِنْ قَتْلِ الْخَلِيفَةِ هُونَ عَلَيْهِ الْوَزِيرُ ذَلِكَ فَقَتَلُوهُ رَفْسًا، وَهُوَ فِي جُودِ لَيْلٍ يَقَعُ عَلَى الْأَرْضِ شَيْءٌ مِنْ دَمِهِ، خَافُوا أَنْ يُؤْخَذَ بِثَأْرِهِ فِيمَا قِيلَ لَهُمْ، وَقِيلَ بَلْ خَنْقٌ، وَيُقَالُ بَلْ أَغْرَقَ فَاللَّهُ أَعْلَمُ، فَبَاءُوا بِإِثْمِهِ وَإِثْمٍ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ سَادَاتِ الْعُلَمَاءِ وَالْقُضَاةِ وَالْأَكَابِرِ وَالرُّؤَسَاءِ وَالْأَمْراءِ وَأُولِي الْحُلِّ وَالْعَقْدِ بِبِلَادِهِ - وَسَتَاتِي تَرْجَمَةُ الْخَلِيفَةِ فِي الْوَفَايَاتِ - وَمَالُوا عَلَى الْبَلَدِ فَقَتَلُوا جَمِيعَ مَنْ قَدَرُوا عَلَيْهِ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ وَالْمَشَايخِ وَالْكُهُولِ وَالشُّبَّانِ وَدَخَلَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فِي الْأَبَارِ وَأَمَاكِنِ الْحُشُوشِ، وَقُنِيَّ الْوَسَخِ، وَكَمَنُوا كَذَلِكَ أَيَّامًا لَا يَظْهَرُونَ، وَكَانَ الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ يَجْتَمِعُونَ إِلَى الْحَنَاتِ وَيُغْلِقُونَ عَلَيْهِمُ الْأَبْوَابَ فَتَفْتَحُهَا التَّتَارُ إِمَّا بِالْكَسْرِ وَإِمَّا بِالنَّارِ، ثُمَّ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ فَيَهْرُبُونَ مِنْهُمْ إِلَى أَعَالِي الْأَمْكَنَةِ فَيَقْتُلُونَهُمْ بِالْأَسْطَحَةِ، حَتَّى تَجْرِيَ الْمَيَازِيبُ مِنَ الدِّمَاءِ فِي الْأَزِقَّةِ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وَكَذَلِكَ فِي الْمَسَاجِدِ وَالْجَوَامِعِ وَالرُّبُطِ، وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ سِوَى أَهْلِ الذِّمَّةِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَمَنِ اتَّجَأَ إِلَيْهِمْ وَإِلَى دَارِ الْوَزِيرِ ابْنِ الْعَلْقَمِيِّ الرَّافِضِيِّ وَطَائِفَةِ

مِنَ التُّجَّارِ أَخَذُوا لَهُمْ أَمَانًا، بَذَلُوا عَلَيْهِ أَمْوَالًا جَزِيلَةً حَتَّى سَلِمُوا وَسَلِمَتْ أَمْوَالُهُمْ.

وعادت بغداد بعد ما كانت آنس المدين كلها كأنَّهَا خَرَابٌ لَيْسَ فِيهَا إِلَّا الْقَلِيلُ مِنَ النَّاسِ، وَهُمْ فِي خَوْفٍ وَجُوعٍ وَذَلَّةٍ وَقَلَّةٍ، وَكَانَ الْوَزِيرُ ابْنُ الْعَلْقَمِيِّ قَبْلَ هَذِهِ الْحَادِثَةِ يَجْتَهِدُ فِي صَرْفِ الْجُيُوشِ وَإِسْقَاطِ اسْمِهِمْ مِنَ الدِّيَّانِ، فَكَانَتِ الْعَسَاكِرُ فِي آخِرِ أَيَّامِ الْمُسْتَنْصِرِ قَرِيبًا مِنْ مِائَةِ أَلْفٍ مُقَاتِلٍ، مِنْهُمْ مِنَ الْأَمْرَاءِ مَنْ هُوَ كَالْمُلُوكِ الْأَكْبَرِ الْأَكَّاسِرِ، فَلَمْ يَزَلْ يَجْتَهِدُ فِي تَقْلِيلِهِمْ إِلَى أَنْ لَمْ يَبْقَ سِوَى عَشْرَةِ أَلْفٍ، ثُمَّ كَاتَبَ التَّتَارَ وَأَطْمَعَهُمْ فِي أَخْذِ الْبِلَادِ، وَسَهَّلَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ، وَحَكَى لَهُمْ حَقِيقَةَ الْحَالِ، وَكَشَفَ لَهُمْ ضَعْفَ الرِّجَالِ، وَذَلِكَ كُلُّهُ طَمَعًا مِنْهُ أَنْ يُزِيلَ السُّنَّةَ بِالْكَلِيَّةِ، وَأَنْ يَظْهَرَ الْبِدْعَةُ الرَّافِضَةُ وَأَنْ يُقِيمَ خَلِيفَةً مِنَ الْفَاطِمِيِّينَ، وَأَنْ يُبِيدَ الْعُلَمَاءَ وَالْمُفْتِينَ، وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ، وَقَدْ رَدَّ كَيْدَهُ فِي نَحْرِهِ، وَأَذَلَّهُ بَعْدَ الْعِزَّةِ الْقَعَسَاءِ، وَجَعَلَهُ حَوْشَكَاشًا لِلتَّتَارِ بَعْدَ مَا كَانَ وَزِيرًا لِلْخُلَفَاءِ، وَاکْتَسَبَ إِثْمَ مَنْ قُتِلَ بِبَغْدَادَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ، فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ.... وَقَدْ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي كَمِّيَّةِ مَنْ قُتِلَ بِبَغْدَادَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي هَذِهِ الْوَقْعَةِ. فَقِيلَ ثَمَانِيَّةُ أَلْفٍ، وَقِيلَ أَلْفُ أَلْفٍ وَثَمَانِيَّةُ أَلْفٍ، وَقِيلَ بَلَغَتِ الْقَتْلَى أَلْفِي أَلْفِ نَفْسٍ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

وَكَانَ دُخُولُهُمْ إِلَى بَغْدَادَ فِي أَوَاخِرِ الْمُحَرَّمِ، وَمَا زَالَ السَّيْفُ يَقْتُلُ أَهْلَهَا أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَكَانَ قَتْلُ الْخَلِيفَةِ الْمُسْتَعَصِمِ بِاللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ رَابِعَ عَشَرَ صَفَرٍ

وعفي قبره، وَكَانَ عُمُرُهُ يَوْمَئِذٍ سِتًّا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ، وَمُدَّةَ خِلَافَتِهِ
خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ وَأَيَّامٍ، وَقُتِلَ مَعَهُ وَلَدُهُ الْأَكْبَرُ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ، وَلَهُ
خَمْسٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً، ثُمَّ قُتِلَ وَلَدُهُ الْأَوْسَطُ أَبُو الْفَضْلِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَلَهُ ثَلَاثٌ
وَعِشْرُونَ سَنَةً، وَأُسِرَ وَلَدُهُ الْأَصْغَرُ مُبَارَكٌ وَأُسِرَتِ أَخَوَاتُهُ الثَّلَاثُ فَاطِمَةُ
وَحَدِيجَةُ وَمَرْيَمُ، وَأُسِرَ مِنْ دَارِ الْخِلَافَةِ مِنَ الْأَبْكَارِ مَا يُقَارِبُ أَلْفَ بَكْرٍ فِيمَا قِيلَ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وَقُتِلَ أَسْتَاذُ دَارِ الْخِلَافَةِ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ يُوسُفَ بْنَ الشَّيْخِ أَبِي الْفَرَجِ بْنِ
الْجَوَازِيِّ، وَكَانَ عَدُوَ الْوَزِيرِ، وَقَتْلَ أَوْلَادِهِ الثَّلَاثَةِ: عَبْدَ اللَّهِ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ، وَعَبْدَ
الْكَرِيمِ، وَأَكَابِرَ الدَّوْلَةِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ، مِنْهُمْ الدِّيودَارُ الصَّغِيرُ مُجَاهِدُ الدِّينِ
أَيُّبُكَ، وَشَهَابُ الدِّينِ سُلَيْمَانُ شَاهُ، وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَمْرَاءِ السُّنَّةِ وَأَكَابِرِ الْبَلَدِ.

وَكَانَ الرَّجُلُ يُسْتَدْعَى بِهِ مِنْ دَارِ الْخِلَافَةِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ فَيُخْرَجُ بِأَوْلَادِهِ
وَنِسَائِهِ فَيَذْهَبُ بِهِ إِلَى مَقْبَرَةِ الْخَلَّالِ، مُجَاهَ الْمُنْظَرَةِ فَيُذْبَحُ كَمَا تُذْبَحُ الشَّاةُ، وَيُؤَسَّرُ مَنْ
يَخْتَارُونَ مِنْ بَنَاتِهِ وَجَوَارِيهِ.

وَقُتِلَ شَيْخُ الشُّيُوخِ مُؤَدِّبُ الْخَلِيفَةِ صَدْرُ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ النِّيَّارِ، وَقُتِلَ الْخُطْبَاءُ
وَالْأَيُّمَةُ، وَحَمَلَةُ الْقُرْآنِ، وَتَعَطَّلَتِ الْمَسَاجِدُ وَالْجَمَاعَاتُ وَالْجُمُعَاتُ مُدَّةَ شُهُورٍ
بِبَغْدَادَ، وَأَرَادَ الْوَزِيرُ ابْنُ الْعَلْقَمِيِّ قَبْحَهُ اللَّهُ وَلَعْنَهُ أَنْ يُعْطَلَ الْمَسَاجِدَ وَالْمَدَارِسَ
وَالرُّبُطَ بِبَغْدَادَ وَيَسْتَمِرَّ بِالْمَشَاهِدِ وَمَحَالِّ الرِّفْضِ، وَأَنْ يَبْنِيَ لِلرَّافِضَةِ مَدْرَسَةً هَائِلَةً
يَنْشُرُونَ عِلْمَهُمْ وَعَلَمَهُمْ بِهَا وَعَلَيْهَا، فَلَمْ يَقْدِرْهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ، بَلْ أَزَالَ

نِعْمَتُهُ عَنْهُ وَقَصَفَ عُمُرَهُ بَعْدَ شُهُورٍ يَسِيرَةٍ مِنْ هَذِهِ الْحَادِثَةِ، وَأَتْبَعَهُ بِوَلَدِهِ فَاجْتَمَعَا
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالذِّكْرِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ.

ولما انقضى الأمر المقدّر وانقضت الأربعون يوماً بقيت بغداد خاوية على
عروشها ليس بها أحدٌ إلا الشاذُّ من النَّاسِ، وَالْقَتْلَى فِي الطُّرُقَاتِ كَأَنَّهَا التَّلْوُلُ، وَقَدْ
سَقَطَ عَلَيْهِمُ الْمَطَرُ فَتَغَيَّرَتْ صُورُهُمْ وَأَنْتَنَتْ مِنْ جِيفِهِمُ الْبُلْدُ، وَتَغَيَّرَ الْهَوَاءُ
فَحَصَلَ بِسَبَبِهِ الْوَبَاءُ الشَّدِيدُ حَتَّى تَعَدَّى وَسَرَى فِي الْهَوَاءِ إِلَى بِلَادِ الشَّامِ، فَمَاتَ
خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ تَغْيِيرِ الْجَوِّ وَفَسَادِ الرِّيحِ، فَاجْتَمَعَ عَلَى النَّاسِ الْغَلَاءُ وَالْوَبَاءُ وَالْفِتَاءُ
وَالطَّعْنُ وَالطَّاعُونُ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

ولما نودي ببغداد بالأمان خرج من تحت الأرض من كان بالمطامير والقنى
والمقابر كَأَنَّهُمُ الْمَوْتَى إِذَا نَبَشُوا مِنْ قُبُورِهِمْ، وَقَدْ أَنْكَرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَلَا يَعْرِفُ
الْوَالِدَ وَلَدَهُ وَلَا الْأَخَ أَخَاهُ، وَأَخَذَهُمُ الْوَبَاءُ الشَّدِيدُ فَتَفَانُوا وَتَلَاَحَقُوا بِمَنْ سَبَقَهُمْ
مِنَ الْقَتْلِ، وَاجْتَمَعُوا تَحْتَ الثَّرَى بِأَمْرِ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى، اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى.

وكان رحيل السلطان المسلط هولاءكو خان عن بغداد في جمادى الأولى من
هذه السنة إلى مقرِّ مُلْكِهِ، وَفَوَّضَ أَمْرَ بَغْدَادَ إِلَى الْأَمِيرِ عَلِيِّ بَهَادِرٍ، فَوَضَّ إِلَيْهِ
الشَّحْنَكِيَّةَ بِهَا إِلَى الْوَزِيرِ ابْنِ الْعَلْقَمِيِّ فَلَمْ يَمَهْلِهِ اللَّهُ وَلَا أَهْمَلَهُ، بَلْ أَخَذَهُ أَخَذَ
عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ، فِي مُسْتَهْلَ جُمَادَى الْآخِرَةِ عَنْ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً، وَكَانَ عِنْدَهُ فَضِيلَةٌ

فِي الْإِنْشَاءِ وَلَدَيْهِ فَضِيلَةٌ فِي الْأَدَبِ، وَلَكِنَّهُ كَانَ شَيْعِيًّا جَلَدًا رَافِضِيًّا خِيثًا، فَمَاتَ
جَهْدًا وَغَمًّا وَحُزْنًا وَنَدَمًا، إِلَى حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَهَا أُمُّ قَشْعَمٍ، فَوَلِيَّ بَعْدَهُ الْوِزَارَةُ
وَلَدَهُ عِزُّ الدِّينِ بْنِ الْفَضْلِ مُحَمَّدٌ، فَأَلْحَقَهُ اللَّهُ بِأَبِيهِ فِي بَقِيَّةِ هَذَا الْعَامِ، وَاللَّهُ الْحَمْدُ
وَالْمِنَّةُ ^(١) ١٠هـ.

بعد هذه المحنة العظمى أرسل هولاكو كتائب من جيشه فاستولت على بقية
مدن العراق ثم ترك على العراق علي يهادر وابن العلقمي وتحرك بجيشه إلى الشام
وكانت مقسمة إلى إمارات يحكمها أمراء من الأيوبيين وكان هذا سنة ٦٥٧
هجريه وكان على حلب ودمشق الملك الناصر فوصل هولاكو حلب سنة ٦٥٨
هجريه ثاني صفر فحاصرها سبعة أيام وفتحها سنة ٦٥٧هـ بالأمان ثم غدر
بأهلها وأباحها لجنده سبعة أيام يقتلون وينهبون وفعل فيهم قريب من فعله بأهل
بغداد أما القلعة فإنها قاومت أربعين يوماً وأسر المغول كثيراً من مهرة الصنائع
ونقلوهم إلى عاصمة ملكهم ليتنفعوا بفنهم ويستفيدوا من خبرتهم . وبعد
سقوط مدينة حلب اتجه هولاكو على رأس جيشه إلى مدينة حارم الواقعة في
الجنوب الغربي لمدينة حلب على بعد حوالي (٥٠) كيلو متر من حلب، وحاصرها
وطلب من أهلها تسليمها فأبوا أن يسلموها لغير فخر الدين والي قلعة حلب
فاستدعاه هولاكو وسلموها إليه ولكن هولاكو غضب من ذلك وأمر بقتلهم
فقتلوا وذبح كل من فيها جميعاً وسبيت نساؤهم . ولما سمع أهل دمشق بما حلَّ

(١) البداية والنهاية : (١٣ / ٢٣٦ - ٢٤١) .

بإخوانهم من أهل حلب وحارم أرسلوا وفدا من الأعيان إلى هولاكو يعلنون الخضوع والولاء وتسليم المدينة فأمنهم على حياتهم وأرسل هولاكو إلى دمشق كتبغا نوين في آخر صفر فأخذها سريعا بدون ممانعة وسلم قلعتها إلى أمير تترى يقال له إيل سبان وكان - لعنه الله معظما للنصارى ولدين النصارى فحصل بسبب ذلك ظهور للنصارى وتناول منهم على المسلمين كبير فمن ذلك :

حقد النصارى على الإسلام والمسلمين

📖 قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - : أَرْسَلَ هَوْلَاكُو وَهُوَ نَازِلٌ عَلَى حَلَبَ جَيْشًا مَعَ أَمِيرٍ مِنْ كِبَارِ دَوْلَتِهِ يُقَالُ لَهُ: كَتَبْغَانُوَيْنَ. فَوَرَدُوا دِمَشْقَ فِي آخِرِ صَفَرٍ - سنة ثمان وخمسين وستمائة - فَأَخَذُوهَا سَرِيعًا مِنْ غَيْرِ مُمَانَعَةٍ وَلَا مُدَافِعَةٍ، بَلْ تَلَقَّاهُمْ كِبَارُهَا بِالرُّحْبِ وَالسَّعَةِ، وَقَدْ كَتَبَ مَعَهُمُ السُّلْطَانُ هَوْلَاكُو فَرَمَانَ أَمَانَ لِأَهْلِ الْبَلَدِ، فَقَرِئَ بِالْمِيدَانِ الْأَخْضَرِ، وَنُودِيَ بِهِ فِي الْبَلَدِ، فَأَمِنَ النَّاسُ عَلَى وَجَلٍ أَنْ يَغْدِرُوا كَمَا فَعَلَ بِأَهْلِ حَلَبَ، هَذَا وَالْقَلْعَةُ مُتَنَعَةٌ مُسْتَوْرَةٌ، وَفِي أَعَالِيهَا الْمُجَانِيقُ مَنْصُوبَةٌ، وَالْحَالُ شَدِيدَةٌ، فَأَخْضَرَتِ التَّارُ مُجَانِيقَ تُحْمَلُ عَلَى عَجَلٍ وَالْخَيُْولُ مُجْرَّهَا، وَهُمْ رَاكِبُونَ عَلَى الْخَيْلِ، وَأَسْلَحَتُهُمْ تُحْمَلُ عَلَى أَبْقَارٍ كَثِيرَةٍ، فَنَصَبَ الْمُجَانِيقُ عَلَى الْقَلْعَةِ مِنْ غَرَبِهَا وَهَدَمُوا حِيطَانًا كَثِيرَةً وَأَخَذُوا حِجَارَتَهَا وَرَمَوْا بِهَا الْقَلْعَةَ رَمِيًا مُتَوَاتِرًا كَالْمَطَرِ الْمُتَدَارِكِ، فَهَدَمُوا كَثِيرًا مِنْ أَعَالِيهَا وَشُرُفَاتِهَا، وَتَدَاعَتْ لِلْسُّقُوطِ، فَأَجَابَهُمْ مُتَوَلِّيُهَا فِي آخِرِ ذَلِكَ النَّهَارِ لِلْمُصَالَحَةِ، فَفَتْحُوهَا وَخَرَّبُوا كُلَّ بَدَنَةٍ فِيهَا، وَأَعَالِي بُرُوجِهَا، وَذَلِكَ فِي الْمُتَنَصِّفِ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وَقَتَلُوا

الْمُتَوَلِّي بِهَا بَدَرَ الدِّينِ بَنَ قَرَاجَا، وَنَقِيْبَهَا جَمَالَ الدِّينِ بَنَ الصَّيْرَفِيِّ الْحَلْبِيِّ، وَسَلَّمُوْهَا إِلَى أَمِيرٍ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ: إِيْلَ سَبَانَ.

وَكَانَ لَعْنَةُ اللَّهِ تَعَالَى مُعْظَمًا لِدِينِ النَّصَارَى، فَاجْتَمَعَ بِهِ أَسَاقِفَتُهُمْ وَقُسُوسُهُمْ، فَعَظَّمَهُمْ جِدًّا وَزَارَ كَنَائِسَهُمْ، فَصَارَتْ لَهُمْ دَوْلَةٌ وَحَوْلَةٌ وَصَوْلَةٌ بِسَبِيهِ، لَعْنَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، وَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ مِنَ النَّصَارَى إِلَى هُوَلَاكُوْ بَهْدَايَا وَتُخَفٍ، وَقَدِمُوا مِنْ عِنْدِهِ وَمَعَهُمْ أَمَانٌ؛ فَرَمَانٌ مِنْ جِهَتِهِ، وَدَخَلُوا الْبَلَدَ مِنْ بَابِ تَوْمَاءَ وَمَعَهُمْ صَلِيبٌ مَنْصُوبٌ يَحْمِلُوْنَهُ عَلَى رُءُوسِ النَّاسِ، وَهُمْ يُنَادُوْنَ بِشِعَارِهِمْ، وَيَقُولُوْنَ ظَهَرَ الدِّينُ الصَّحِيْحُ، دِينُ الْمَسِيْحِ.

وَيَذْمُوْنَ دِينَ الْإِسْلَامِ وَأَهْلَهُ وَمَعَهُمْ أَوَانٌ فِيْهَا خُمْرٌ لَا يَمُرُّوْنَ عَلَى بَابِ مَسْجِدٍ إِلَّا رَشُّوا عِنْدَهُ خُمْرًا، وَقَمَاقِمَ مَلَأَتْهُ خُمْرًا يَرُشُّوْنَ مِنْهَا عَلَى وُجُوْهِ النَّاسِ، وَيَأْمُرُوْنَ كُلَّ مَنْ يَجْتَازُوْنَ بِهِ فِي الْأَسْوَاقِ وَالطَّرِيقَاتِ أَنْ يَقُوْمَ لَصَلِيْبِهِمْ، وَدَخَلُوا مِنْ دَرْبِ الْحَجَرِ، فَوَقَفُوا عِنْدَ رِبَاطِ الشَّيْخِ أَبِي الْبَيَّانِ، وَرَشُّوا هُنَالِكَ خُمْرًا، وَكَذَلِكَ عَلَى بَابِ مَسْجِدِ دَرْبِ الْحَجَرِ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ، وَاجْتَازُوا فِي السُّوقِ حَتَّى وَصَلُوا إِلَى دَرْبِ الرَّيْحَانِ أَوْ قَرِيبٍ مِنْهُ، فَتَكَاثَرَ عَلَيْهِمُ الْمُسْلِمُوْنَ، فَردُّوْهُمْ إِلَى سُوقِ كَنِيسَةِ مَرْيَمَ، فَوَقَفَ خَطِيْبُهُمْ إِلَى دَكَّةٍ دُكَّانٍ فِي عَطْفَةِ السُّوقِ هُنَالِكَ، فَذَكَرَ فِي خُطْبَتِهِ مَدَحَ دِينِ النَّصَارَى، وَذَمَّ دِينَ الْإِسْلَامِ وَأَهْلَهُ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

ثُمَّ وَلَجُّوا بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى كَنِيسَةِ مَرْيَمَ، وَكَانَتْ بَعْدُ عَامِرَةً، وَلَكِنْ كَانَ هَذَا سَبَبَ خَرَابِهَا، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

وَحَكَى الشَّيْخُ قُطُبُ الدِّينِ فِي " الدَّيْلِ عَلَى الْمِرَاةِ " أَنَّهُمْ ضَرَبُوا بِالنَّاقُوسِ بِكَيْسَةِ مَرِيَمَ . فَاللَّهُ أَعْلَمُ .

قَالَ: وَذَكَرَ أَنَّهُمْ دَخَلُوا إِلَى الْجَامِعِ بِخَمَرٍ، وَكَانَ مِنْ نِيَّتِهِمْ إِنْ طَالَتْ مُدَّةُ التَّارِ أَنْ يُحْرَبُوا كَثِيرًا مِنَ الْمَسَاجِدِ وَغَيْرِهَا، فَكَفَى اللَّهُ شَرَّهُمْ. وَلَمَّا وَقَعَ هَذَا فِي الْبَلَدِ اجْتَمَعَ قُضَاةُ الْمُسْلِمِينَ وَالشُّهُودُ وَالْفُقَهَاءُ، فَدَخَلُوا الْقَلْعَةَ يَشْكُونَ هَذَا الْحَالَ إِلَى مُتَسَلِّمِهَا إِيْلَ سَبَانَ، فَأُهِنُوا وَطُرِدُوا، وَقَدَّمَ كَلَامَ رُؤَسَاءِ النَّصَارَى عَلَيْهِمْ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. ^(١)

وكان على حماة الملك المنصور فبمجرد سقوط حلب أرسل أهل حماة بمفاتيحها لهولاكو وهرب المنصور إلى مصر وأما الناصر فهرب إلى بعض البوادي وألقى التتر القبض عليه ومعه ولده الصغير وأخوه فبعثوا بهم إلى هولاكو بحلب فكانوا في أسره حتى قتلهم في السنة الآتية ثم اضطر هولاكو بعد ذلك إلى العودة إلى فارس حيث بلغه موت أخيه وغادر الشام في جمادى الآخرة سنة ٦٥٨هـ وترك جيشه تحت قيادة الأمير كتبغانوين ليحمي بلاد الشام ويتم فتح ما بقي من مدنها ثم يتجه إلى مصر.

وفي مصر بعد مقتل المعز أيبك على يد زوجته شجرة الدر وجوارياها ومقتل ولده تورنشا على يد بعض المماليك نُصِّبَ لحكم مصر علي ولد المعز أيبك نور

(١) البداية والنهاية : (١٣ / ٢٥٣) طبعة إحياء التراث .

الدين - المنصور - وكان في العاشرة من عمره فلما وصل خبر التتار واجتياحهم للشام بعد بغداد وأنهم عازمون على اجتياح مصر قام قائد الجند قطز بعزل المنصور ودعا إلى نفسه فبويع له في ذي القعدة سنة (٦٥٧) هجرية فوصلته رسالة تهديدية من هولاكو عن طريق قائده العسكري كتبغانوين هذا نصها : (من ملك الملوك شرقا وغربا القان الأعظم، باسمك اللهم باسط الأرض، ورافع السماء يعلم الملك المظفر قطز، الذي هو من جنس المماليك الذين هربوا من سيوفنا الى هذا الإقليم، يتنعمون بأنعامه ويقتلون من كان بسلطانه ، بعد ذلك يعلم الملك المظفر قطز، وسائر أمراء دولته وأهل مملكته بالديار المصرية وما حولها من الأعمال، أننا جند الله في أرضه خلقنا من سخطه وسلطانا على من أحل به غضبه، فلکم بجميع الأمصار معتبر، وعن عزمنا مزدجر. فاتعظوا بغيركم، وسلموا إلينا أمرکم، قبل أن يكشف الغطاء، ويعود عليكم الخطاء. فنحن لا نرحم من بكا ، ولا نرق لمن شكا فسلموا إلينا أمرکم تسلموا قبل أن ينكشف الغطاء فتندموا، وقد سمعتم أننا فتحنا البلاد وقتلنا العباد، فعليكم منا الهرب، ولنا خلفكم الطلب، فأی أرض تأویکم، وأی بلاد تحميکم، فما لکم من سيوفنا خلاص، ولا من أيدينا مناص. خيولنا سوابق وسيوفنا صواعق، وسهامنا ورماحنا خوارق، وقلوبنا كالجبال، وعددنا كالرمال، ، فالحصون لدينا لا تمنع، والجيوش لقتالنا لا تنفع، ودعاكم علينا لا يُسمع، ومن طلب حربنا ندم، ومن قصد أماننا سلم، فإن أنتم لشرطنا ولأمرنا أطعتم فلکم مالنا، وعليکم ما علينا، وإن خالفتم هلكتم،

فلا تهلكوا أنفسكم بأيديكم، فقد حذّر من أنذر، وقد ثبت عندكم أننا الكفرة وثبت عندنا أنكم الفجرة، فأسرعوا إلينا بالجواب قبل أن تضرم الحرب نارها وترميكم بشرارها فلا يبقى لكم جاه ولا عز ولا يعصمكم منا حصن ونترك الأرض منكم خالية، فقد أيقظناكم إذ حذرناكم، فما بقي لنا مقصد سواكم، والسلام علينا وعليكم وعلى من أطاع الهدى وخشي عواقب الردى وأطاع الملك الأعلى. ^(١)

فلما وصلت هذه الرسالة إلى الملك المظفر قطز - رحمه الله تعالى - جمع الأمراء، فاستشارهم فاتفق الرأي على ضرب رقاب الرسل، والتجهيز له وملتقاه، ويعطى الله النصر لمن يشاء. فضربت رقاب رسله، وكانوا نيّف وأربعين نفراً، وعلقت رؤوسهم على باب زويلة. ثم نادوا في القاهرة ومصر الجهاد في سبيل الله. واجتمعت العساكر من كل فج عميق، وجاءت العرب من البلاد، وخلق كثير من التركمان والأكراد، وبايعوا الله عزّ وجلّ بنيات صادقه وقلوب موافقة، وخرجوا طالبين التتار. ^(٢) .

(١) نزهة الأنام في تاريخ الإسلام (١/ ٢٦١) .

(٢) كنز الدرر وجامع الغرر (٨ / ٤٨) .

وبعد مشاورات وإعداد رأى قطز أنه يخرج إليهم ولا ينتظر مجيئهم فخرج بجيش فيه العلماء والقضاة والأمراء حتى نزل في عين جالوت شمال شرق فلسطين فكانت المعركة يوم الجمعة ٢٥ رمضان سنة ٦٥٨ هجرية.

❖ تفاصيل المعركة :

خرج قطز يوم الاثنين الخامس عشر من شعبان سنة ٦٥٨ هـ - ١٢٦٠م بجميع عسكر مصر ومن انضم إليهم من عساكر الشام ومن العرب والتركمان وغيرهم من قلعة الجبل في القاهرة، يريد معسكر الصالحية، معسكر مصر الكبير في شرق الدلتا. وغادر معسكر الصالحية بجيشه، ووصل مدينة "غزة" والقلوب وجلة، وكان في "غزة" جمع من التتار بقيادة "بيدر"، وكان بيدر هذا قد أخبر قائده "كتبغانوين" الذي كان في سهل "البقاع" بالقرب من مدينة "بعلبك" بزحف جيش قطز، فرد عليه: "قف مكانك وانتظر". ولكن قطز داهم "بيدر" قبل وصول "كتبغانوين" فاستعاد غزة من التتار، وأقام بها يوماً واحداً، ثم غادرها شمالاً باتجاه التتار.

وكان "كتبغا" مقدم التتار على جيش "هولاكو" لما بلغه خروج قطز، وكان في سهل البقاع قد عقد مجلساً استشارياً، واستشار ذوي الرأي في ذلك، فمنهم من أشار بعدم لقاء جيش قطز في معركة، والانتظار حتى يجيء مدد من "هولاكو" ليقوى على مصاولة جيش المسلمين، ومعنى هذا مشاغلة جيش قطز بالقوات المتيسرة لديه ريثما ترده النجدات التي تضمن له النصر، ومنهم من أشار بالبدء

بالمعركة اعتمادًا على قوات التتار التي لا تقهر، وهكذا تفرقت الآراء، وكان رأي "كتبغانوين" خوض المعركة ومواجهة جيش قطز، فتوجه من فوره جنوبًا باتجاه القوات المصرية.

وكان أول الوهن اختلاف الآراء وظهور رأي يجذ الانسحاب، ورأي يجذ عدم الانسحاب وقتال قطز.

وبعث قطز طلائع قواته بقيادة الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري لمناوشة التتار واختبار قواتهم، واستحصل المعلومات المفصلة عن تنظيمهم وتسليحهم وقيادتهم، فالتقى بيبرس بطلائع التتار في مكان يقع بين "بيسان" و"نابلس" يدعي: "عين جالوت" في "الغور" غور الأردن، وشاغل التتار فحين طلع من التلّ أشرف على التتار نازلين، ووقعت العين على العين، وكان بينه وبين السلطان مرحلة. فجّهز البريديّة في طلب السلطان وقلق وقال: إن ولينا كسرنا الإسلام. فجعلوا يُقهقرون رءوس خيلهم حتّى ينزلوا عن التلّ إلى خلف. وضربت التتار حلقة على التلّ وتحيز البندقداري بعسكره فلم تمض ساعة حتّى جاءت خمسمائة ملبسة من أبطال الإسلام، ثمّ بعد ساعة أخرى لحقتها خمسمائة أخرى.

وأما التتار فاشتغلوا أيضًا بأخذ أهبتهم للمصافّ. وتلاحق الجيش ثمّ وقع المصافّ حين وافاه قطز على رأس القوات الأصلية من جيشه، ولمّا رأى عصائب التتار، قال للأمرء والجوش: لا تقاتلوهم حتّى تزول الشمس وتفيء الظلال

وتهب الرياح، ويدعو لنا الخطباء في صلاتهم". فلما زالت الشمس نشبت بين الجيشين المتقابلين معركة حاسمة، وذلك في يوم الجمعة ٢٥ رمضان سنة ٦٥٨هـ - ٦ سبتمبر ١٢٦٠م وكان التتار يحتلون مرتفعات "عين جالوت"، فانقضوا على جيش قطز تطبيقاً لحرب الصاعقة التي دأب التتار على ممارستها في حروبهم، تلك الحرب التي تعتمد سرعة الحركة بالفرسان، وكان القتال شديداً لم يُر مثله، حتى قتل من الجانبين جماعة كثيرة.

وتغلغل التتار عميقاً، واخترقوا ميسرة قطز، فانكسرت تلك الميسرة كسرة شنيعة، ولكن قطز حمل بنفسه في طائفة من جنده، وأسرع لنجدة الميسرة، حتى استعادت مواقعها.

واستأنف قطز الهجوم المضاد بقوات "القلب" التي كانت بقيادته المباشرة، وكان يتقدم جنوده وهو يصيح: "والإسلاماه .. والإسلاماه .." واقتحم قطز القتال، وباشر بنفسه، وأبلى في ذلك اليوم أعظم البلاء، وكانت قوات "القلب" مؤلفة من المتطوعين المجاهدين من الذين خرجوا يطلبون الشهادة، ويدافعون عن الإسلام بإيمان، فكان قطز يشجع أصحابه، ويحسّن لهم الموت، ويضرب لهم المثل بما يفعله من إقدام وبيديه من استبسال.

وكان قطز قد أخفى معظم قواته النظامية المؤلفة من المماليك في شعب التلال، لتكون كمائن، وبعد أن كر بالمجاهدين كرة بعد كرة حتى زعزع جناح التتار، برز المماليك من كمائنهم وأداموا زخم الهجوم بشدة وعنف.

وكان قطز أمام جيشه يصرخ: "والإسلاماه .. والإسلاماه .. يا الله انصر عبدك قطز على التتار"، وكان جيشه يتبعه مقتدياً بإقدامه وبسالته، فقتل فرس قطز من تحته فظل يقاتل وهو واقف ، فجاء بعض الأمراء ليعطونه فرساً بديلاً عنها، فرفض ذلك وظل يقاتل، فقالوا له: لماذا لم تقبل ونحن نريد أن لا تهزم ، فينهزم بك الإسلام والمسلمون؟ فقال: أما أنا لو قتلت فكنت أروح الجنة، وأما الإسلام فله رب لا يضيعه ."

وكاد يعرض للقتل لولا أن أسعفه أحد فرسانه، فنزل له عن فرسه .
وسارع قطز إلى قيادة رجاله متغلغلاً في صفوف أعدائه، حتى ارتبكت صفوف التتار، وشاع أن قائدهم "كتبغا نوين" قد قُتل، فولوا الأدبار لا يلوون على شيء.

وكان "كتبغا نوين" يضرب يميناً وشمالاً غيرة وحمية، وكان يكر على المسلمين، فرغبه جماعة من أتباعه في الهرب، ولكنه لم يستمع إليهم وقال: "لا مفر من الموت هنا، فالموت مع العزة والشرف خير من الهرب مع الذل والهوان".
ورغم أن جنوده تركوه وهربوا فقد ظل يقاتل حتى قُتل قيل قتله الأمير جمال الدين آقوش الشمسي وقُتل ومُعظم أعيان التتار، وقتل منهم مقتلة عظيمة وأما من بقي من جنده فولوا الأدبار لا يلوون على شيء واعتصم منهم طائفة بالتل المجاور لمكان الواقعة فأحدثت بهم العساكر وصابروهم حتى أفنوهم قتلاً وأسراً ونجا من نجا بحشاشته وأهل البلاد يتخطفونهم فكان النصر . ، وهرب من هرب.

وكانت هناك مزرعة للقصب بالقرب من ساحة القتال، فاختمى فيها فوج من التتار، فأمر قطز جنوده أن يضرخوا النار في تلك المزرعة، وأحرقوا فوج التتار جميعاً.

وبدأ المسلمون فوراً بمطاردة التتار، كما طاردهم المسلمون الذين لم يكونوا من جيش قطز، حتى دخل قطز دمشق في أواخر شهر رمضان المبارك، فاستقبله أهلها بالابتهاج.

وامتدت المطاردة السريعة إلى قرب مدينة حلب، فلما شعر التتار باقتراب المسلمين منهم تركوا ما كان بأيديهم من أسارى المسلمين، ورموا أولادهم، فتخطفهم الناس، وقاسوا من البلاء ما يستحقونه. (١)

(فَكَانَتِ النَّصْرَةُ لِلَّهِ الْحَمْدُ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، فَهَزَمَهُمُ الْمُسْلِمُونَ هَزِيمَةً هَائِلَةً وَقَتَلَ أَمِيرُ الْمَغُولِ كِتْبَغَانُوينَ وَجَمَاعَةً مِنْ بَيْتِهِ، وَقَدْ قِيلَ إِنْ الَّذِي قَتَلَ كِتْبَغَانُوينَ الْأَمِيرُ جَمَالُ الدِّينِ آقُوْشُ الشَّمْسِيُّ، وَاتَّبَعَهُمُ الْجَيْشُ الْإِسْلَامِيُّ يَقْتُلُونَهُمْ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ، وَقَدْ قَاتَلَ الْمَلِكُ الْمُنْصُورُ صَاحِبُ حِمَاةٍ مَعَ الْمَلِكِ الْمُظْفَرِ قِتَالاً شَدِيداً، وَكَذَلِكَ الْأَمِيرُ فَارِسُ الدِّينِ أَقْطَايَ الْمُسْتَعْرِبُ، وَكَانَ أَتَابِكُ الْعَسْكَرِ، وَقَدْ أَسْرَ مِنْ جَمَاعَةِ كِتْبَغَانُوينَ الْمَلِكُ السَّعِيدُ بْنُ الْعَزِيزِ بْنِ الْعَادِلِ فَأَمَرَ الْمُظْفَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ، وَاسْتَأْمَنَ الْأَشْرَفُ صَاحِبُ حِمَصَ، وَكَانَ مَعَ التَّتَارِ وَقَدْ جَعَلَهُ هَوْلَاكُو خَانٍ نَائِباً عَلَى الشَّامِ كُلِّهِ، فَأَمَّنَهُ الْمَلِكُ الْمُظْفَرُ وَرَدَّ إِلَيْهِ حِمَصَ، وَكَذَلِكَ رَدَّ حِمَاةً إِلَى الْمُنْصُورِ وَزَادَهُ الْمُعَرَّةَ وَغَيْرَهَا، وَأَطْلَقَ سَلْمِيَّةَ لِلْأَمِيرِ شَرْفِ الدِّينِ عِيْسَى بْنِ مُهَنَّا بْنِ مَانِعٍ أَمِيرِ الْعَرَبِ، وَاتَّبَعَ الْأَمِيرُ بِيْرَسَ الْبَنْدَقْدَارِيِّ وَجَمَاعَةً مِنَ الشَّجْعَانِ التَّتَارِ يَقْتُلُونَهُمْ فِي كُلِّ مَكَانٍ إِلَى أَنْ وَصَلُوا خَلْفَهُمْ إِلَى حَلَبٍ وَهَرَبَ مَنْ بَدَمَشَقَ مِنْهُمْ يَوْمَ الْأَحَدِ

(١) قطز قاهر التتار في معركة عين جالوت بقلم: محمود شيت خطاب .

السابع والعشرين من رمضان فتبعهم المسلمون من دمشق يقتلون فيهم ويستفكون الأسارى من أيديهم وجاءت بذلك البشارة والله الحمد على جبره إياهم بلطفه فجاءت بها دق البشائر من القلعة وفرح المؤمنون بنصر الله فرحاً شديداً وأيد الله الاسلام وأهله تأييداً.

♦ الانتقام من النصارى

وكتب الله النصارى واليهود والمنافقين وظهر دين الله وهم كارهون، فتبادَرَ عِنْدَ ذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى كَنِيسَةِ النَّصَارَى الَّتِي خَرَجَ مِنْهَا الصَّلِيبُ فَانْتَهَبُوا مَا فِيهَا وَأَحْرَقُوهَا وَأَلْقَوْا النَّارَ فِيهَا حَوْلَهَا فَاحْتَرَقَ دُورٌ كَثِيرَةٌ إِلَى النَّصَارَى، وَمَلَأَ اللَّهُ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا، وَأَحْرَقَ بَعْضُ كَنِيسَةِ الْيَعَاقِبَةِ، وَهَمَّتْ طَائِفَةٌ بِنَهْبِ الْيَهُودِ، فَقِيلَ لَهُمْ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ مِنَ الطَّغْيَانِ كَمَا كَانَ مِنْ عِبْدَةِ الصُّلْبَانِ، وَقَتَلَتِ الْعَامَّةُ وَسَطَ الْجَمَاعِ شَيْخًا رَافِضِيًّا كَانَ مُصَانِعًا لِلتَّارِ عَلَى أَمْوَالِ النَّاسِ يُقَالُ لَهُ الْفَخْرُ مُحَمَّدُ بْنُ يَوْسُفَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْكَنْجِي، كَانَ خَبِثَ الطَّوْيَةِ مَشْرِقِيًّا مُمَالئًا لَهُمْ عَلَى أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ قَبْحَهُ اللَّهُ، وَقَتَلُوا جَمَاعَةً مِثْلَهُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ فَقُطِعَ ذَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١) ولم يتوقف من نجا منهم إلا في بخارى (٢) .

(١) البداية والنهاية (١٣ / ٢٥٦).

(٢) للاستزادة انظر :- البداية والنهاية (١٣ / ٢٥٦) - الكامل لابن الأثير : (١٠ / ٣٣٥) . - نزهة الأنام في تاريخ الإسلام (١ / ٢٦١) . - كنز الدرر وجامع الغرر (٨ / ٤٨) . - ذيل مرآة الزمان (١ / ٣٦٠) - معارك المسلمين في رمضان للعبيدي - عين جالوت : الواقعة والمغزى / عماد الدين خليل - معركة عين جالوت / محمد الأنطاكي - التاريخ الإسلامي / محمود شاكر - معركة عين جالوت / عماد عبدالسلام رءوف - قطر قاهر التتار في معركة عين جالوت بقلم: محمود شيت خطاب .

الثانية عشرة : فتح أرمينيا (١) الصغرى (٢) سنة ٦٧٣ هـ / ١٢٧٦ م :

قائد المسلمين في هذا الفتح هو: الملك الظاهر ركن الدين بيبرس (٣)

(١) أرمينيا إحدى جمهوريات الكومنولث وكانت إحدى جمهوريات الاتحاد السوفييتي قبل سقوطه سنة (١٤١١ هـ = ١٩٩١ م). تقع غرب آسيا ويحدها من الشمال جمهورية جورجيا، ومن الشرق آذربيجان وبحر قزوين، ومن الغرب تركيا ومن الجنوب إيران.

(٢) سميت أرمينية الصغرى تمييزاً عن أرمينية القديمة الممتدة جنوب القوقاز والبحر الأسود، أي ما بين بلاد فارس والعراق شرقاً وبلاد الروم غرباً، وتقع أرمينيا الصغرى في جنوب الأناضول وقيليقية من الرها شرقاً إلى أضنة غرباً وعاصمتها سيس ، وهي اليوم مقسمة إلى منطقتين، إحداهما مع روسيا باسم جمهورية أرمينيا الاشتراكية والأخرى تركية مكونة من عدة ولايات أهمها ولاية أرضروم. (سعيد عاشور: الحركة الصليبية: ١١٤٨/٢).

اتخذت أرمينيا الديانة النصرانية ديناً رسمياً، وبذا تعد أول دولة في العالم تقوم بذلك. وقامت بهذا منذ بداية القرن الرابع الميلادي. تنتمي غالبية الأرمن إلى الكنيسة الأرمنية، وهي تابعة للكنيسة الأرثوذكسية الشرقية.

(٣) بيبرس (بكسر الباء الموحدة ثانية الحروف وسكون الياء المثناة من تحتها ثم فتح الباء الموحدة وسكون الراء والسين المهملتين) ومعناه باللغة التركية: أمير فهد. هو السلطان الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتوح بيبرس بن عبد الله البندقداري الصالحى النجمي الأيوبي التركي، سلطان الديار المصرية والبلاد الشامية والأقطار الحجازية، وهو الرابع من ملوك الترك. مولده في حدود العشرين وستمائة بصحراء القبحاق تخميناً والقبحاق قبيلة عظيمة في الترك، وهو (بكسر القاف وسكون الباء ثانية الحروف وفتح الجيم ثم ألف وقاف ساكنة) ،

نتحدث في هذا الفتح عن نصر عظيم (حققه المسلمون على النصارى الأرمن (١) في شهر رمضان من سنة ثلاث وسبعين وستائة هجرية.

ومكان هذا النصر الجنوب الشرقي من آسيا الصغرى بين جبال طوروس والبحر المتوسط.

والحقيقة أن هذه المنطقة التي أطلق عليها المسلمون اسم الدرب تمثل الحدود المتاخمة لبلاد الروم، ولذا اهتم بها المسلمون منذ وقت مبكر نظراً لموقعها الاستراتيجي على أبواب دولة الروم، وأصبحت مدنها ومراكزها ثغوراً من أهم الثغور الإسلامية وأكثرها خطراً، فشحنها الخلفاء المسلمون بالرجال والسلاح، وجعلوا منها مراكز حصينة للدفاع عن أراضي المسلمين، وأصبحت تعرف بثغور

ويعتبر بيبرس من أعظم سلاطين المماليك لما قام به من أعمال شملت تنظيمات وعمران وغير ذلك. وكان من أهم أعماله إحياءه الخلافة العباسية في القاهرة سنة ٦٥٩ هـ (١٢٦٠ م)، بعد أن قضى عليها التتار في بغداد. مما أكسبه سلطة شرعية مدعومة بموافقة الخليفة العباسي، كما استن نظام ولاية العهد في أسرته، بتعيين ابنه السعيد بركه خان والعدل بدر الدين سلامش - الذي اغتصب قلاوون عرشه فيما بعد سنة ٦٧٩ هـ - وحفر الترع، وأصلح الحصون، وأسس المعاهد، وبنى المساجد، وقوى الجيش واستحضر أعداداً كبيرة من المماليك، وكرس همته في محاربة الصليبيين. ولذلك يعتبر المؤسس الحقيقي للدولة المملوكية في مصر. وتوفي في السابع والعشرين من محرم عام ٦٧٦ هـ (١٢٧٧ م) في دمشق وهو عائد من وقعة قيسارية.

(١) الأرمن هم أهل أرمينية (أرمنستان) الذين بقاياهم ببلاد سيس (صبح الأعشى (٣٧٠/١).

الشام. واشتهر من هذه الثغور مدن طرسوس، وأذنة، والمصيصة، والخلفاء مهتمون بأمورها ولا يولونها إلا شجعان القواد والراغبون في الجهاد.

وبعد قرون من القوة والمنعة، أصاب هذه الثغور الضعف نتيجة عدم الاهتمام بها، واستغل الروم ذلك فهاجموها واستولوا عليها، ومنذ ذلك الوقت خرجت تلك الثغور من يد المسلمين وعادت للروم، ثم بدأت أعداد من النصارى الأرمن يستقرون فيها واستطاعوا تشكيل كيان ثابت لهم في تلك البقاع سرعان ما تحول إلى دويلة صليبية في شمال العالم الإسلامي.

وحينما جاءت الحملات الصليبية إلى العالم الإسلامي فرح بها هؤلاء الأرمن وقدموا لرجالها كل المساعدة، وأعانوهم على المسلمين، ودلّوهم على عوراتهم، بل إن الأرمن اشتركوا بصورة مباشرة في الحرب ضدّ المسلمين، وكانوا عليهم أشد من نصارى أوروبا وأعنف، ولا عجب فملة الكفر واحدة. ولم يكتف الأرمن بذلك بل كان لهم أثر كبير في تشجيع المغول الوثنيين ودعوتهم لمهاجمة المسلمين، وعقد ملوك أرمينيا الصغرى تحالفاً معهم ضد المسلمين. ولما جاءت الجيوق المغولية، واكتسحت العالم الإسلامي انضمت جموع النصارى من الأرمن وغيرهم معهم، وكانوا لا يقلون عنفاً وقسوة في تعاملهم مع المسلمين. وهذا هو الذي جعل المسلمين يعدّون الأرمن "أخبث عدو للمسلمين" كما يقول أحد المؤرخين.

ولكن وكما أشرنا إليه في الصفحات السابقة فإن الأمة الإسلامية كانت لا تستكين للهزيمة، ولا تستسلم للذل، وهذا هو ما يريده الله سبحانه وتعالى لها، أمة مستعلية بدينها منتصرة بعقيدتها، مستمدة أسباب ذلك منه -عز وجل-.

وبعد أن أفاقت الأمة الإسلامية من هول الاكتساح المغولي بدأ حكامها في العمل على تقويتها، وأدركوا مدى الخطر العظيم الذي يمثله نصارى الأرمن على حدود الدول الشمالية، فخططوا لإخضاعهم وكسر شوكتهم، وكان ذلك في عهد السلطان المملوكي "الظاهر بيبرس".

وهذا الحاكم المسلم واحد من أعظم قادة الأمة الإسلامية في التاريخ، حقق الله على يديه لأمة الإسلام انتصارات عظيمة على المغول والصليبيين. ووضع - رحمه الله - مملكة أرمينيا الصغرى نصب عينيه، وانتهاز فرصة هدوء الأوضاع على جبهات القتال مع المغول والصليبيين، فكوّن جيشاً عظيماً هدفه استعادة أملاك المسلمين التي استولى عليها نصارى الأرمن، ولكنه أسرّ ذلك ولم يطلع عليه أحداً من قادته، وسار الجيش الإسلامي من مصر قاصداً الشام ثم اتجه شمالاً إلى بلاد الثغور وكان بيبرس على رأس الجيوش ووصلوا إلى تلك المناطق بقصد تأديب ملكها على تحالفه مع التتار زمن هولالكو وأبقاخان، وتشجيعه لهما على مهاجمة الشام ومصر، والمساهمة في دعمهما بفرض حصار اقتصادي على دولة المماليك، حيث منع عنها مادي الخشب والحديد. ، ولنترك وصف مسير هذا الجيش لمؤرخ

معاصر لهذه الحملة هو ابن عبد الظاهر ^(١) حيث يقول ^(٢) : "ووصل الجيش النهر الأسود، وقطعته العساكر بمشقة، ووقف السلطان حتى عدّى بأكثر الناس، وفرق الأمراء بجيوشهم كل واحد منهم إلى جهة، فطلعوا الجبال وما سأل أحد عن طريق، ولا بالى بمضيق، ومروا وعليهم جبال من الحديد لामعة، وسنابك الخيل تتلوى على الجبال، والأرض ترج رجاً والجبال تبسّ بساً وتغدو هباء منبثاً". وتساقطت مدن الثغور الواحدة تلو الأخرى في يد المسلمين، ودمرت مدن سيس وأذنه وطرسوس والمصيصة، وألحقت بها دماراً هائلاً في هجومها الذي استغرق عشرون (كذا) يوماً فقط وكان ذلك في شهر رمضان. وعيّد السلطان بيبرس - رحمه الله - في مدينة "سيس" ^(٣) وهي كرسيّ المملكة الأرمينية، واستولى على قصر الملك، وكان ملك الأرمن - هيثوم الأول - في زيارة للمغول في بلاد فارس. واتجهت فرقة من الجيش المملوكي إلى مدينة "إياس" وهي ميناء أرمينية على البحر الأبيض فاستولت عليها، وفرت مجموعة من الأرمن والفرنج عبر البحر فغرقوا فيه وقتل أحد أبناء ملك أرمينيا وأسر الابن الثاني، ولم يوافق بيبرس على إطلاق أسيره إلا مقابل تنازل والده عن عدة مواقع استراتيجية ودفع جزية

(١) هو القاضي ابن عبد الظاهر السعدي المصري مؤلف سيرة الملك الظاهر بيبرس المسماة "الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر"، توفي سنة ٦٩٢ هـ / ١٢٩٢ م، اشتهر بعمله في ديوان الإنشاء وبتأليفه سيرة الملك الظاهر بيبرس. أنظر الروض الزاهر (٩).

(٢) في السيرة الظاهرية في القسم الضائع من تاريخ الملك الظاهر "الروض الزاهر".

(٣) سيس أو سيسيّة عاصمة أرمينيا الصغرى كيليكيا وتقع بين أنطاكية وطرسوس والنسبة إليها سيسي .

سنوية. وهكذا لم يكْمُل شهر رمضان إلا والجيش الإسلامي قد أتمت استعادة بلاد الثغر، واستحق السلطان بيبرس أن يوصف بـقاهر الصليبيين والمغول. ولا غرو في ذلك فهو تلميذ صلاح الدين - رحمه الله - سار على منهجه، واتبع خطاه في الجهاد، فحقق الله على يديه النصر العظيم، وكان ذلك بعد عملٍ دؤوب وكفاح مستمر وتحقيق لعوامل النصر كما أوضحها القرآن الكريم، فالنصر دائماً مع المسلمين إن هم صدقوا الله وطبقوا شرعه وعملوا بمقتضاه.

وتغنى الشعراء بهذا النصر العظيم وخلّدوه في شعرهم، يقول أحدهم:

أي يوم بنصره قد حُبينا وبه الله قد أقرّ العيوننا
يومَ جزنا بلاد سِيس وقلنا أي نصر من ربّنا قد جُزينا
إذ تبدّى السلطان بين نجوم من بنى الترك يعشقون المنونا
إلى أن قال:

وترامت كل البلاد وقالت ليتنا مثل سِيس قد غُزينا
ليت جيش السلطان وافى إلينا ليت أنا بخيله قد وُطينا
وصدق هذا الشاعر فكم من البلاد تتمنى حكم المسلمين، وتحنّ إلى عدلهم ورحمتهم (١).

وَقَالَ الْقَاضِي محيي الدّين ابن عبد الظّاهر لما دخل الملك الظّاهر بلاد الأرمين

(١) معارك المسلمين في رمضان / عبد العزيز العبيدي (٧٥-٧٧).

يَا وَيْحَ سَيْسٍ أَصْبَحَتْ نَهْبَةً كَمْ عَوَقَ الْجَارِي بِهَا الْجَارِيه
وَقَالَ أَيضًا:

وَكَمْ بِهَا قَدْ ضَاقَ مِنْ مَسْأَلِكَ يَسْتَوْقِفُ الْهَاشِي بِهَا الْهَاشِيه
وَقَالَ أَيضًا

يَا مَالِكَ الْأَرْضِ الَّذِي عَزَمَهُ كَمْ عَامَرَ لِلْكَفْرِ مِنْهُ خَرِب
قَلْبَتِ سَيْسًا فَوْقَهَا تَحْتَهَا وَالنَّاسَ قَالُوا سَيْسٌ لَا تَنْقَلِبُ
وَقَالَ أَيضًا

مَا هَادَنَ الْأَرْمَنُ سُلْطَانَنَا إِلَّا لِأَمْرِ فِيهِ إِذْ لَاهُم
حَتَّى لَهُ تَكْثُرُ أَمْوَالُهُمْ وَلِلْظَبْيِ تَكْثُرُ أَطْفَالُهُمْ



الثالثة عشر: معركة (شَقْحَب) ^(١) أو معركة "مرج الصُّفَر" ^(٢) :

كانت المعركة يوم السبت ٢ رمضان سنة (٧٠٢) هجرية الموافق ٢٠ / إبريل (١٣٠٣) م واستمرت ثلاث أيام .

قائد المسلمين في هذه المعركة هو: الملك الناصر محمد بن قلاوون ^(٣)

(١) شَقْحَب (كجعفر) : موضع في سوريا قرب دمشق. من الجنوب يطل عليها جبل غُبَاغِب ويتصل بها مرج الصُّفَر نسب إليه جماعة من المحدثين. (تاج العروس).

(٢) مَرَج -بفتح الميم وسكون الراء- الصُّفَر - بالضم وتشديد الفاء المفتوحة- سهل واسع يقع على مسافة (٣٧) كيلا جنوب دمشق، وشرق قرية شَقْحَب، على جهة الذهاب إلى القنيطرة، فهي تعتبر من أرياف دمشق وهي اسم لعين ماء كان هناك على يمين الذهاب إلى حوران . ينظر: معجم البلدان (٥ / ١٠١)، والمعالم الأثرية ص (٢٤٨).

(٣) هو أبو الفتح محمد بن قلاوون بن عبد الله الصالحي من كبار ملوك دولة المماليك. التي امتدت إلى ثلاثة قرون تقريبا وَهُوَ نَاصِر الدِّين أَبُو الْفَتْحِ مُحَمَّدُ بْنُ الْمَلِكِ الْمُتَّصِرِ قَلاوون مولده في سنة اَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَسِتِّمِائَةٍ اسْتَقَرَّ فِي السُّلْطَنَةِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ الْأُولَى فِي الْعُشْرِ الْاَوْسَطِ مِنَ الْمَحْرَمِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ وَعَمْرُهُ نَحْوُ تِسْعِ سِنِينَ وَكَانَ الْخَلِيفَةُ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ فَأَقَامَ سَنَةً وَخَلَعَ وَتَسَلَّطَنَ بَعْدَهُ الْغَادِلُ كَتَبَهَا ثُمَّ الْمُتَّصِرِ لاجين ٠ ثُمَّ تَسَلَّطَنَ ثَانِيًا فِي يَوْمِ السَّبْتِ رَابِعِ عَشْرِ جُمَادِي الْأُولَى سَنَةِ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ وَأَقَامَ عَشْرَ سِنِينَ وَارْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ نَزَلَ عَنِ السُّلْطَنَةِ بِاخْتِيَارِهِ وَتَوَجَّهَ إِلَى الْكَرْكِ وَتَسَلَّطَنَ بَعْدَهُ الْمَلِكُ الْمَظْفَرُ بَيْرَسُ الْجَاشَنْكِيرِ وَأَقَامَ أَحَدَ عَشْرِ شَهْرًا وَخَلَعَ وَأُعِيدَ بَعْدَهُ إِلَى السُّلْطَنَةِ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلاوون وَهِيَ سُلْطَنَتُهُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي ثَبَتَ قَدَمَهُ فِيهَا وَصَفَا لَهُ الْوَقْتُ وَجَلَسَ عَلَى سَرِيرِ الْمَلِكِ بَعْدَ الْعَصْرِ مِنْ نَهَارِ الْارْبَعَاءِ مُسْتَهْلِ شَوَّالِ سَنَةِ تِسْعٍ وَسَبْعِمِائَةٍ وَكَانَ الْخَلِيفَةُ الْمُسْتَكْفِي بِاللَّهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَبُو الرَّبِيعِ سُلَيْمَانَ وَكَانَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مِنَ الْمُلُوكِ الْمُعْتَبَرِينَ أَصْحَابِ التَّوَارِيخِ حَجَّ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ الْأُولَى فِي

وقائد التتار: هو قطلوشاه القائد العسكري ل - قازان ^(١) وعدد جيشهم مائتا ألف مقاتل وقيل خمسون ألف وقيل مائة ألف مما يدل على كثرتهم وأن العدد غير دقيق وكان مكون من فرقتين هما :

١- الكرج :

٢- الأرمن :

سنة اثنتي عشرة وسبعمائة والثانية في سنة تسعة عشر والثالثة في سنة اثنتي وثلاثين وسبعمائة ووقع له وقعتات كثيرة مع التتر وغيرهم وله غارات على بلاد سبب وفتح جزيرة أرواد وهي في بحر الروم قبالة انطرسوس وفتح ملطية وغير ذلك وله بالمسجد الأقصى خيرات كثيرة منها أنه عمر في أيامه السور القبلي الذي عند محراب داود عليه الصلاة والسلام ورخم صدر المسجد الأقصى ومسجد سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام بإشارة تنكر نائب الشام وفتح بالمسجد الأقصى الشباكين اللذين عن يمين المحراب وشماله وكان فتحهما في سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة وجدد تذهيب القبتين قبة المسجد الأقصى وقبة الصخرة وعمر القناطر على الدرجتين الشماليين بصحن الصخرة التي أحدهما مقابل باب حطة والاخرى مقابل باب الدويارية وعمر باب القنطين بالبناء المحكم وكل مكان من هذه الأماكن مكتوب عليه تاريخ عمارته وعمر قناة السيل التي عند بركة السلطان بظاهر القدس الشريف من جهة الغرب وله غير ذلك من العمارات والقربات بالقدس الشريف وغيره من البلاد من عماره الحصون والقلاع فإن سطرته الثالثة أقام فيها اثنتي وثلاثين سنة وشهرين وتسعة عشر يوماً وكانت مدة ملكه في ولاياته الثلاثة ثلاثاً وأربعين سنة وسبعة أشهر وتخلل بين ولاياته ولاية العادل كتبغا والمنصور لاجين والمظفر بيبرس نحو خمس سنين وشهرين فكانت المدة من حين ابتداء سلطنته الى حين وفاته تسعا وأربعين سنة وتوفي في يوم الاربعاء تاسع عشر ذي الحجة سنة إحدى وأربعين وسبعمائة بالقلعة وصلى عليه عز الدين ابن جماعة إماماً وأنزل ليلته الخُميس الى المدرسة المنصورية بخط بين القصرين ودفن بها مع أبيه قلاوون رحمه الله عليهما وكان ملكاً معتبراً اخباره مشهورة عفا الله عنا وعنه . اهـ

(الأئس الجليل بتاريخ القدس والخليل).

(١) هو محمود غازان بن أرغون بن أبغا بن هولاکو أسلم سنة ٦٩٥ هجرية .

❏ قال ابن كثير - رحمه الله تعالى : وفي شهر رجب قويت الأخبار بعزم التتار على دخول بلاد الشام، فانزعج الناس لذلك واشتد خوفهم جدًا، وقنت الخطيب في الصلوات وقرئ البخاري، وشرع الناس في الجفل إلى الديار المصرية والكرك والحصون المنيعه، وتأخر مجئ العساكر المصرية عن إبانها فاشتد لذلك الخوف ... وفي يوم السبت عاشر شعبان ضربت البشائر بالقلعة وعلى أبواب الأمراء بخروج السلطان بالعساكر من مصر لمناجزة التتار المخدولين ... وفي ثامن عشر قدمت طائفة كبيرة من جيش المصريين فيهم الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير، والأمير حسام الدين لاجين المعروف بالأستاذار المنصوري، والأمير سيف الدين كراي المنصوري، ثم قدمت بعضهم طائفة أخرى فيهم بدر الدين أمير سلاح وأبيك الخزندار فقويت القلوب واطمأن كثير من الناس، ولكن الناس في حفل عظيم من بلاد حلب وحماة وحمص وتلك النواحي وتقهر الجيش الحلبي والحموي إلى حمص، ثم خافوا أن يدهمهم التتر فجاءوا فنزلوا المرج يوم الأحد خامس شعبان، ووصل التتار إلى حمص وبعلبك وعاثوا في تلك الأراضي فسادًا، وقلق الناس قلقًا عظيمًا، وخافوا خوفًا شديدًا، واختبط البلد لتأخر قدوم السلطان ببقيّة الجيش، وقال الناس لا طاقة لجيش الشام مع هؤلاء المصريين بلقاء التتار لكثرتهم، وإنما سييلهم أن يتأخروا عنهم مرحلة مرحلة، وتحدث الناس بالأراجيف فاجتمع الأمراء يوم الأحد المذكور بالميدان وتحالفوا على لقاء العدو، وشجعوا أنفسهم، ونودي بالبلد أن لا يرحل أحد منه، فسكن الناس وجلس

الْقَضَاءُ بِالْجَامِعِ وَحَلَفُوا جَمَاعَةً مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْعَامَّةِ عَلَى الْقِتَالِ، وَتَوَجَّهَ الشَّيْخُ تَقِيُّ
الدين بن تيمية وَكَانَ يَتَأَوَّلُ فِي ذَلِكَ أَشْيَاءَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَمَنْ
بَغَى عَلَيْهِ لِنَصْرَتِهِ اللَّهُ﴾ [الحج: ٦].

وَقَدْ تَكَلَّمَ النَّاسُ فِي كَيْفِيَّةِ قِتَالِ هَؤُلَاءِ التَّارِ مِنْ أَيِّ قَبِيلٍ هُوَ، فَإِنَّهُمْ يُظْهِرُونَ
الإِسْلَامَ ^(١) وَلَيْسُوا بُغَاةً عَلَى الْإِمَامِ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا فِي طَاعَتِهِ فِي وَقْتِ ثَمَّ خَالِفُوهُ.

﴿فَقَالَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينَ: هَؤُلَاءِ مِنْ جِنْسِ الْخَوَارِجِ الَّذِينَ خَرَجُوا عَلَى عَلِيٍّ
وَمُعَاوِيَةَ، وَرَأَوْا أَنَّهُمْ أَحَقُّ بِالْأَمْرِ مِنْهُمْ، وَهَؤُلَاءِ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ أَحَقُّ بِإِقَامَةِ الْحَقِّ
مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَيَعْبُدُونَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا هُمْ مُتَلَبِّسُونَ بِهِ مِنَ الْمَعَاصِي وَالظُّلْمِ، وَهُمْ
مُتَلَبِّسُونَ بِمَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ بِأَضْعَافٍ مُضَاعَفَةٍ، فَتَفْطَنَ الْعُلَمَاءُ وَالنَّاسُ لِذَلِكَ، وَكَانَ
يَقُولُ لِلنَّاسِ: إِذَا رَأَيْتُمُونِي مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ وَعَلَى رَأْسِي مُصْحَفٌ فَاقْتُلُونِي،
فَتَشَجَّعَ النَّاسُ فِي قِتَالِ التَّارِ وَقَوِيَتْ قُلُوبُهُمْ وَنَبَاتَتْهُمْ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

ولما كان يوم الرابع والعشرين مِنْ شَعْبَانَ خَرَجَتْ الْعَسَاكِرُ الشَّامِيَّةُ فَخِيَمَتْ
عَلَى الْجُسُورَةِ مِنْ نَاحِيَةِ الْكُسُودَةِ، وَمَعَهُمُ الْقَضَاءُ، فَصَارَ النَّاسُ فِيهِمْ فَرِيقَيْنِ فَرِيقٌ
يَقُولُونَ إِنَّمَا سَارُوا لِيَخْتَارُوا مَوْضِعًا لِلْقِتَالِ فَإِنَّ الْمَرْجَ فِيهِ مِيَاهٌ كَثِيرَةٌ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
مَعَهَا الْقِتَالَ، وَقَالَ فَرِيقٌ: إِنَّمَا سَارُوا لَتِلْكَ الْجِهَةِ لِيَهْرُبُوا وَلِيَلْحَقُوا بِالسُّلْطَانِ.

(١) لأن هؤلاء التار ليسوا كالتار الذين قاتلهم المسلمون في عين جالوت فأولئك كفار أما هؤلاء فهم
مسلمون مجرمون أرادوا نصرته النصارى ونشر التشيع والقضاء على دولة المماليك فهذه المعركة وقعت بعد
إسلام قازان - محمود غازان - قائد التار بسبع سنوات لذلك التبس الأمر على بعض الناس .

فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ الْخَمِيسِ سَارُوا إِلَى نَاحِيَةِ الْكُسُوفَةِ فَقَوِيَتْ ظُنُونُ النَّاسِ فِي هَرَبِهِمْ، وَقَدْ وَصَلَتِ التَّتَارُ إِلَى قَارَةٍ، وَقِيلَ لَهُمْ وَصَلُوا إِلَى الْقَطِيعَةِ ، فَاَنْزَعَجَ النَّاسُ لَذَلِكَ شَدِيدًا وَلَمْ يَبْقَ حَوْلَ الْقُرَى وَالْحَوَاضِرِ أَحَدٌ، وَامْتَلَأَتِ الْقَلْعَةُ وَالْبَلَدُ وَازْدَحَمَتِ الْمَنَازِلُ وَالطَّرَفَاتُ، وَاضْطَرَبَ النَّاسُ وَخَرَجَ الشَّيْخُ تَقِي الدِّينِ بْنُ تَيْمِيَّةَ صَبِيحَةَ يَوْمِ الْخَمِيسِ مِنَ الشَّهْرِ الْمَذْكُورِ مِنْ بَابِ النَّصْرِ بِمَشَقَّةٍ كَبِيرَةٍ، وَصَحْبَتُهُ جَمَاعَةٌ لِيَشْهَدَ الْقِتَالَ بِنَفْسِهِ وَمَنْ مَعَهُ، فَظَنُوا إِنَّمَا خَرَجَ هَارِبًا فَحَصَلَ اللُّومُ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ وَقَالُوا أَنْتَ مَنَعْتَنَا مِنَ الْجُفْلِ وَهَذَا أَنْتَ هَارِبٌ مِنَ الْبَلَدِ؟ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ وَبَقِيَ الْبَلَدُ لَيْسَ فِيهِ حَاكِمٌ، وَجَلَسَ اللَّصُوصُ وَالْحَرَاوِشُ فِيهِ وَفِي بَسَاتِينِ النَّاسِ يُجَرَّبُونَ وَيَنْتَهَبُونَ مَا قَدَرُوا عَلَيْهِ، وَيَقْطَعُونَ الْمَشْمَشَ قَبْلَ أَوَانِهِ وَالْبَاقِلَاءَ وَالْقَمْحَ وَسَائِرُ الْخَضِرَاوَاتِ، وَحِيلَ بَيْنَ النَّاسِ وَبَيْنَ خَبَرِ الْجَيْشِ، وَانْقَطَعَتِ الطَّرُقُ إِلَى الْكُسُوفَةِ وَظَهَرَتِ الْوَحْشَةُ عَلَى الْبَلَدِ وَالْحَوَاضِرِ، وَلَيْسَ لِلنَّاسِ شُغْلٌ غَيْرُ الصُّعُودِ إِلَى الْمَآذِنِ يَنْظُرُونَ يَمِينًا وَشِمَالًا، وَإِلَى نَاحِيَةِ الْكُسُوفَةِ فَتَارَةً يَقُولُونَ: رَأَيْنَا غَبْرَةً فَيَخَافُونَ أَنْ تَكُونَ مِنَ التَّتَرِ، وَيَتَعَجَّبُونَ مِنَ الْجَيْشِ مَعَ كَثَرَتِهِمْ وَجُودَةِ عَدَتِهِمْ وَعَدَدِهِمْ، أَيْنَ ذَهَبُوا؟ فَلَا يَدْرُونَ مَا فَعَلَ اللَّهُ بِهِمْ، فَانْقَطَعَتِ الْأَمَالُ وَالْأَلْحَ النَّاسُ فِي الدُّعَاءِ وَالِابْتِهَالِ وَفِي الصَّلَوَاتِ وَفِي كُلِّ حَالٍ، وَذَلِكَ يَوْمُ الْخَمِيسِ التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَعْبَانَ، وَكَانَ النَّاسُ فِي خَوْفٍ وَرُعْبٍ لَا يُعْبَرُ عَنْهُ، لَكِنْ كَانَ الْفَرَجُ مِنْ ذَلِكَ قَرِيبًا، وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَفْلَحُونَ، كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ أَبِي رَزِينٍ

"عَجِبَ رَبُّكَ مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غَيْرِهِ يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزَلِينَ فَطِينٌ فَيَظْلُ يَضْحَكُ يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ" (١) .

فَلَمَّا كَانَ آخِرُ هَذَا الْيَوْمِ وَصَلَ الْأَمِيرُ فَخْرُ الدِّينِ أَيَّاسُ الْمُرْقِيُّ أَحَدُ أُمَرَاءِ دِمَشْقَ، فَبَشَّرَ النَّاسَ بِخَيْرٍ، هُوَ أَنَّ السُّلْطَانَ قَدْ وَصَلَ وَقَدْ اجْتَمَعَتِ الْعَسَاكِرُ الْمِصْرِيَّةُ وَالشَّامِيَّةُ، وَقَدْ أَرْسَلَنِي أَكْشَفُ هَلْ طَرَقَ الْبَلَدَ أَحَدٌ مِنَ التَّتَرِ، فَوَجَدَ الْأَمْرَ كَمَا يُحِبُّ لَمْ يَطْرُقْهَا أَحَدٌ مِنْهُمْ، وَذَلِكَ أَنَّ التَّتَارَ عَرَجُوا مِنْ دِمَشْقَ إِلَى نَاحِيَةِ الْعَسَاكِرِ الْمِصْرِيَّةِ، وَلَمْ يَسْتَغْلُوا بِالْبَلَدِ، وَقَدْ قَالُوا إِنْ غَلَبْنَا فَإِنَّ الْبَلَدَ لَنَا، وَإِنْ غَلَبْنَا فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِهِ، وَنُودِيَ بِالْبَلَدِ فِي تَطْيِيبِ الْخَوَاطِرِ، وَأَنَّ السُّلْطَانَ قَدْ وَصَلَ، فَاطْمَأَنَّ النَّاسُ وَسَكَتَ قُلُوبُهُمْ، وَأَثَبَتِ الشَّهْرَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ الْقَاضِي تَقِيُّ الدِّينِ الْحَنْبَلِيُّ، فَإِنَّ السَّمَاءَ كَانَتْ مُغِيْمَةً فَعَلَّقَتِ الْقَنَادِيلُ وَصَلَّتِ التَّرَاوِيحُ وَاسْتَبَشَرَ النَّاسُ بِشَهْرِ رَمَضَانَ وَبَرَكَتِهِ، وَأَصْبَحَ النَّاسُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي هَمٍّ شَدِيدٍ وَخَوْفٍ أَكِيدٍ، لِأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَا خَبَرُ النَّاسِ.

فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ غُرْلُو الْعَادِيُّ فَاجْتَمَعَ بَنَاتِبُ الْقَلْعَةِ ثُمَّ عَادَ سَرِيعاً إِلَى الْعَسْكَرِ، وَلَمْ يَذَرِ أَحَدٌ مَّا أَخْبَرَ بِهِ، وَوَقَعَ النَّاسُ فِي الْأَرَاخِيفِ وَالْخَوْضِ.

(١) ضعيف: أخرجه ابن ماجه: (١٨١)، وأحمد: (١٦١٣١) بلفظ: (ضحك ربنا...) وفيه وكيع بن

حدس لم يوثقه معتبر، وضعفه الألباني - رحمه الله تعالى في (مختصر العلو للعلي العظيم).

❖ صفة وَقْعَةُ شَقَب :

📖 قال رحمه الله تعالى : أَصْبَحَ النَّاسُ يَوْمَ السَّبْتِ عَلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْخَوْفِ وَضِيقِ الْأَمْرِ، فَرَأَوْا مِنَ الْمَآذِنِ سَوَادًا وَغَبَرَةً مِنْ نَاحِيَةِ الْعَسْكَرِ وَالْعُدُوِّ، فَغَلَبَ عَلَى الظُّنُونِ أَنَّ الْوَقْعَةَ فِي هَذَا الْيَوْمِ، فَأَبْتَهَلُوا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالِدُعَاءِ فِي الْمَسَاجِدِ وَالْبُلْدِ، وَطَلَعَ النِّسَاءُ وَالصِّغَارُ عَلَى الْأَسْطِخَةِ وَكَشَفُوا رُؤُوسَهُمْ وَضَجَّ الْبَلَدُ ضَجَّةً عَظِيمَةً، وَوَقَعَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مَطَرٌ عَظِيمٌ غَزِيرٌ، ثُمَّ سَكَنَ النَّاسُ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ الظُّهْرِ قُرِئَتْ بِطَاقَةِ الْجَامِعِ تَتَضَمَّنُ أَنَّ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ نَهَارِ السَّبْتِ هَذَا اجْتَمَعَتِ الْجُيُوشُ الشَّامِيَّةُ وَالْمِصْرِيَّةُ مَعَ السُّلْطَانِ فِي مَرْجِ الصُّفَرِ، وَفِيهَا طَلَبُ الدُّعَاءِ مِنَ النَّاسِ وَالْأَمْرُ بِحِفْظِ الْقَلْعَةِ.

والتَّحَرُّزُ عَلَى الْأَسْوَارِ فَدَعَا النَّاسُ فِي الْمَآذِنِ وَالْبُلْدِ، وَانْقَضَى النَّهَارُ وَكَانَ يَوْمًا مُزْعِجًا هَائِلًا، وَأَصْبَحَ النَّاسُ يَوْمَ الْأَحَدِ يَتَحَدَّثُونَ بِكَسْرِ التَّرِّ، وَخَرَجَ النَّاسُ إِلَى نَاحِيَةِ الْكُسُوةِ فَرَجَعُوا وَمَعَهُمْ شَيْءٌ مِنَ الْمَكَاسِبِ، وَمَعَهُمْ رُؤُوسٌ مِنْ رُؤُوسِ التَّرِّ، وَصَارَتِ كُسرة التَّارِ تَقْوَى وَتَتَزَايِدُ قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى اتَّضَحَتْ جُمْلَةً، وَلَكِنَّ النَّاسَ لَمَّا عِنْدَهُمْ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ وَكَثْرَةِ التَّرِّ لَا يُصَدِّقُونَ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ الظُّهْرِ قُرِئَ كِتَابُ السُّلْطَانِ إِلَى مُتَوَلِّي الْقَلْعَةِ يُخْبِرُ فِيهِ بِاجْتِمَاعِ الْجَيْشِ ظَهَرَ يَوْمَ السَّبْتِ بِشَقَبٍ وَبِالْكُسُوةِ، ثُمَّ جَاءَتْ بِطَاقَةُ بَعْدَ الْعَصْرِ مِنْ نَائِبِ السُّلْطَانِ جَمَالِ الدِّينِ أَقْوَشِ الْأَفْرَمِ إِلَى نَائِبِ الْقَلْعَةِ مَضْمُونُهَا أَنَّ الْوَقْعَةَ كَانَتْ مِنَ الْعَصْرِ يَوْمَ السَّبْتِ إِلَى السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ يَوْمِ الْأَحَدِ، وَأَنَّ السَّيْفَ كَانَ يَعْمَلُ فِي رِقَابِ التَّرِّ لَيْلًا وَنَهَارًا

وَأَنَّهُمْ هَرَبُوا وَفَرُّوا وَاعْتَصَمُوا بِالْجِبَالِ وَالْتَّلَالِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَسْلَمْ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ، فَأَمْسَى النَّاسُ وَقَدْ اسْتَقَرَّتْ خَوَاطِرُهُمْ وَتَبَاشَرُوا لِهَذَا الْفَتْحِ الْعَظِيمِ وَالنَّصْرِ الْمُبَارَكِ، وَدَقَّتِ الْبَشَائِرُ بِالْقَلْعَةِ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ الْمَذْكُورِ، وَنُودِيَ بَعْدَ الظُّهْرِ بِإِخْرَاجِ الْجُفَالِ مِنَ الْقَلْعَةِ لِأَجْلِ نُزُولِ السُّلْطَانِ بِهَا، وَشَرَعُوا فِي الْخُرُوجِ.

وَفِي يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ رَابِعِ الشَّهْرِ رَجَعَ النَّاسُ مِنَ الْكُسُوفَةِ إِلَى دِمَشْقَ فَبَشَّرُوا النَّاسَ بِالنَّصْرِ. وَفِيهِ دَخَلَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ بْنِ تَيْمِيَّةَ الْبَلَدَ وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ مِنَ الْجِهَادِ، فَفَرِحَ النَّاسُ بِهِ وَدَعَوْا لَهُ وَهَنَؤُوا بِمَا يَسَّرَ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْخَيْرِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ نَذَبَهُ الْعَسْكَرُ الشَّامِيُّ أَنْ يَسِيرَ إِلَى السُّلْطَانِ يَسْتَحِثُّهُ عَلَى السَّيْرِ إِلَى دِمَشْقَ فَسَارَ إِلَيْهِ فَحَثَّهُ عَلَى الْمَجْيِ إِلَى دِمَشْقَ بَعْدَ أَنْ كَادَ يَرْجِعُ إِلَى مِصْرَ، فَجَاءَ هُوَ وَإِيَّاهُ (كُذِّبَ) جَمِيعًا فَسَأَلَهُ السُّلْطَانُ أَنْ يَقِفَ مَعَهُ فِي مَعْرَكَةِ الْقِتَالِ، فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: السُّنَّةُ أَنْ يَقِفَ الرَّجُلُ تَحْتَ رَايَةِ قَوْمِهِ، وَنَحْنُ مِنْ جَيْشِ الشَّامِ لَا نَقِفُ إِلَّا مَعَهُمْ، وَحَرَضَ السُّلْطَانُ عَلَى الْقِتَالِ وَبَشَّرَهُ بِالنَّصْرِ وَجَعَلَ يَحْلِفُ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنَّكُمْ مَنْصُورُونَ عَلَيْهِمْ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ، فَيَقُولُ لَهُ الْأَمْرَاءُ: قُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَيَقُولُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَحْقِيقًا لَا تَعْلِيقًا.

وَأَفْتَى النَّاسَ بِالْفِطْرِ مُدَّةَ قِتَالِهِمْ وَأَفْطَرَ هُوَ أَيْضًا، وَكَانَ يَدُورُ عَلَى الْأَجْنَادِ وَالْأَمْرَاءِ فَيَأْكُلُ مِنْ شَيْءٍ مَعَهُ فِي يَدِهِ لِيُعْلِمَهُمْ أَنَّ إِفْطَارَهُمْ لِيَتَقَوَّوْا عَلَى الْقِتَالِ أَفْضَلُ فَيَأْكُلُ النَّاسُ، وَكَانَ يَتَأَوَّلُ فِي الشَّامِيِّينَ قَوْلَهُ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** "إِنَّكُمْ مَلَاقُوا الْعَدُوَّ غَدًا، وَالْفِطْرُ أَقْوَى لَكُمْ" فَعَزَمَ عَلَيْهِمْ فِي الْفِطْرِ عَامَ الْفَتْحِ كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ.

وَكَانَ الْخَلِيفَةُ أَبُو الرَّيِّعِ سُلَيْمَانُ فِي صُحْبَةِ السُّلْطَانِ، وَلَمَّا اضْطَقَّتِ الْعَسَاكِرُ
وَالْتَحَمَ الْقِتَالُ ثَبَتَ السُّلْطَانُ ثَبَاتًا عَظِيمًا، وَأَمَرَ بِجَوَادِهِ فَقَيَّدَ حَتَّى لَا يَهْرَبَ، وَبَايَعَ
اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ، وَجَرَتْ خُطُوبٌ عَظِيمَةٌ، وَقُتِلَ جَمَاعَةٌ مِنْ سَادَاتِ
الْأُمَرَاءِ يَوْمَئِذٍ، مِنْهُمْ الْأَمِيرُ حَسَامُ الدِّينِ لَاجِنُ الرُّومِيِّ أَسْتَاذُ دَارِ السُّلْطَانِ،
وِثْمَانِيَّةٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ مَعَهُ، وَصَلَّاحُ الدِّينِ بْنِ الْمَلِكِ السَّعِيدِ الْكَامِلِ بْنِ
السَّعِيدِ بْنِ الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلَ، وَخَلَقَ مِنْ كِبَارِ الْأُمَرَاءِ، ثُمَّ نَزَلَ النَّصْرُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ
قَرِيبَ الْعَصْرِ يَوْمَئِذٍ، وَاسْتَظْهَرَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِمْ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

فَلَمَّا جَاءَ اللَّيْلُ لَجَأَ التَّارُّ إِلَى افْتِحَامِ التُّلُولِ وَالْجِبَالِ وَالْآكَامِ، فَاحْطَطَ بِهِمُ
الْمُسْلِمُونَ يَخْرُسُونَهُمْ مِنَ الْهَرَبِ، وَيَرْمُونَهُمْ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ إِلَى وَقْتِ الْفَجْرِ،
فَقَتَلُوا مِنْهُمْ مَا لَا يَعْلَمُ عَدَدُهُ إِلَّا اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ، وَجَعَلُوا يَحْيِيُونَ بِهِمْ فِي الْحِبَالِ
فَتَضْرِبُ أَعْنَاقَهُمْ، ثُمَّ افْتَحَمَ مِنْهُمْ جَمَاعَةُ الْهَرِيمَةِ فَنَجَا مِنْهُمْ قَلِيلٌ، ثُمَّ كَانُوا
يَتَسَاقَطُونَ فِي الْأَوْدِيَةِ وَالْمِهَالِكِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ غَرِقَ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ فِي الْفَرَاتِ بِسَبَبِ
الظَّلَامِ، وَكَشَفَ اللَّهُ بِذَلِكَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ غَمَّةً عَظِيمَةً شَدِيدَةً، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

وَدَخَلَ السُّلْطَانُ إِلَى دِمَشْقَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ خَامِسِ رَمَضَانَ وَبَيْنَ يَدَيْهِ الْخَلِيفَةُ،
وَزِينَتِ الْبَلَدُ، وَفَرِحَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْجُمُعَةِ وَالسَّبْتِ وَالْأَحَدِ، فَتَزَلَ السُّلْطَانُ
فِي الْقَصْرِ الْأَبْلَقِ وَالْمِيدَانِ، ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلَى الْقَلْعَةِ سَوْمَ الْخَمِيسِ وَصَلَّى بِهَا الْجُمُعَةَ
وَوَخَّلَعَ عَلَى نَوَابِ الْبِلَادِ وَأَمَرَهُمْ بِالرُّجُوعِ إِلَى بِلَادِهِمْ، وَاسْتَقَرَّتِ الْخَوَاطِرُ،
وَذَهَبَ الْيَأْسُ وَطَابَتْ قُلُوبُ النَّاسِ، وَعَزَلَ السُّلْطَانُ ابْنَ النَّحَّاسِ عَنْ وِلَايَةِ

المَدِينَةَ وَجَعَلَ مَكَانَهُ الْأَمِيرَ عَلَاءَ الدِّينِ أَيْدُغْدِي أَمِيرَ عِلَمٍ، وَعَزَلَ صَارِمَ الدِّينِ
إِبْرَاهِيمَ وَالِي الْخِصَّ عَنْ وَلَايَةِ الْبَرِّ وَجَعَلَ مَكَانَهُ الْأَمِيرَ حُسَامَ الدِّينِ لَاجِنَ
الصَّغِيرِ، ثُمَّ عَادَ السُّلْطَانُ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ ثَالِثِ شَوَّالٍ بَعْدَ أَنْ صَامَ
رَمَضَانَ وَعَيَّدَ بِدِمَشَقَ.

وَدَخَلَ السُّلْطَانُ الْقَاهِرَةَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ ثَالِثِ عِشْرِينَ شَوَّالٍ، وَكَانَ يَوْمًا
مَشْهُودًا، وَزَيَّنَتِ الْقَاهِرَةُ (١). اهـ

وبهذه المعركة الحاسمة انحصر التتار ، واندفع شرهم عن بلاد الإسلام ،
(فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين)

وقال صاحب نزهة الناظر:

لمثل ذا اليوم كان الدهر ينتظر	فليهنك اليوم هذا النصر والظفر
يا يوم شقحب لو عاش الألى سلفوا	من الملوك لهذا اليوم ما ذكروا
لله درك والأعداء قد بسطت	خيولهم سرباً في الأرض تنتشر
صدمتهم بخيول لو صدمت بها	صرف الزمان لولى وهو منذر
يأتوا بليل تمنوا أنه لهم	ليل الضرير وصبح ليس ينتظر
وجاوزوا النهر خوضاً من دمائهم	محمرّاً وصفاه منهم كدر
ولّوا ظهورهم والسيف حاكمها	كأنهم حمر واستنفروا نفروا
وأصبح الدين منصوراً بناصره	والكفر يخذل والإسلام منتصر

وشتت الله شملًا كان مجتمعاً
فإن تكن زلة للدهر واحدة
فليهنك اليوم هذا الفتح يا ملكاً
وافت لغازان أخبار معنعة
وأصبح النوح تترى في منازلهم
كل يؤمل أن يلقي لصاحبه
وضرب الله أرقاب الألى كفروا
فقد أذاك وهو يعتذر
وافى لك الفتح ما وافى به عمر
فصدّق الخبر لِمَا عاين الخبر
بالحزن والويل والتعديد والفكر
حتى يراه فلا عين ولا أثر

ومن أحسن ما قيل في هذه الواقعة قصيدة شمس الدين الطيبي، وهي:

برق الصوارم للأبصار تختطف
أحلا وأغلا وأعلا قيمة وسناً
وفي قدود القنى معنى شغفت به
ومن غدا بالحدود الحمر ذا كلف
ولامة الحرب في عيني أحسن من لام
كلاهما زرد هذا يفيد وذا يردي
والخيل في طلب الأوتار صاهلة
والنقع يحكي سحاباً بالدماء تكف
من ريق ثغر الغواني حين يرتشف
لا بالقدود التي قد زانها الهيف
فإنني بخدود البيض لي كلف
العدار الذي في الخدّ منعطف
فشأنهما في الفعل مختلف
ألذّ لحناً من الأوتار تختلف
كموقف الحرب والأبطال تزدلف
ما مجلس الشرب والأقداح دائرة

والعزّ من تحت ظلّ الرمح مقترن
 بالعزّ والذلّ ياباه الفتى الصلف
 لا عيش إلاّ لفتيان إذا انتدبوا
 ثاروا وإن بذلوا في غمّة كشفوا
 بقي بهم ملة الإسلام ناصرها
 كما بقي الدرّة المكنونة الصدف
 قاموا لقوة دين الله ما وهنوا
 لما أصابهم فيه ولا ضعفوا
 وجاهدوا في سبيل الله فانتصروا
 من بعد ظلمٍ ومما ساءهم أنفوا
 لما أتتهم جيوش الكفر يقدمهم
 رأس الضلالّ الذي في عقله جنف
 جاءوا وكلّ مقام ظل مضطرباً
 منهم وكلّ مقام بات يرتجف
 فشهدوا علم الإسلام مرتفعاً
 بالعدل فاستيقنوا أن ليس ينصرف
 لاقاهم الفيلق الجرار فانكسروا
 خوف العوامل بالتأنيث فانصرفوا
 يا مرج صقر بيّضت الوجوه كما
 فعلت من قبل فالإسلام يؤتلف
 أزهر روضك أزهى عند لفحته
 أم يانعات رءوس فيك تقتطف
 غدران أرضك قد أضحت لواردها
 ممزوجة بدماء المغل تغترف
 زلت على كتف المصريّ أرجلهم
 فليس يدرون أنّى يؤكل الكتف
 أووا إلى جبل لو كان يعصمهم
 من موج فوح المنايا حين يختطف

دارت عليهم من الشجعان دائرة
فما نجا سالم منهم وقد زحفوا
ونكسوا منهم الأعلام فانهزموا
ونكصوهم على الأعقاب فانتصفوا
ففي جماهم بيض الطلا زبروا
وفي كلاكهم سمر القنا قصفوا
فروا من السيف ملعونين حيث سروا
وقتلوا في البراري حيث ما ثقفوا
فما استقام لهم في أعوج بهج
ولا أجارهم من مانع كثف
وملئت الأرض قتلاهم بما قذفت
منهم وقد ضاق منها المهمة القذف
والطير والوحش قد عافت لح
ومهم ففي مراح الضواري منهم قذف
ردوا فكل طريق نحو أرضهم
يادل جاهلها الأشلاء والجيف
وأدبروا فتولى قطع دابرهم
والحمد لله قوم للوغى ألفوا
ساقوهم فسقوا شط الفرة
وماوطهم بعباب السيف فانحرفوا
وأصبحوا بعد لا عين ولا أثر
غير القلاع عليها منهم شغف
يا برق بلغ إلى غازان قصتهم
وصف فقصتهم من فوق ما تصف
بشرّ بهلكهم ملك العراق لكي
يعطيك حلوانها حلوان والنجف
وإن يسئل عنهم قل تركتهم
كالنحل صرعى فلا تمر ولا سعف

ما أنت كفؤ عروس الشام مخطبها
 جهلاً وأنت إليها الهائم الدنف
 قد مات قبلك آباء بحسرتها
 وكلهم مغرم مغرس بها كلف
 إنَّ الذي في جحيم النار مسكنه
 لا يستباح له الجنان والغرف
 وإن تعودوا تعد أسيافنا لكم
 ضرباً إذا قابلتها رضب الحجف
 ذوقوا وبال تعدىكم وبغىكم في
 أمركم ولكأس الخزي فارتشفوا
 فالحمد لله معطي النصر ناصره
 وكاشف الضرّ حيث الحال منكشف



الرابعة عشر : فتح البوسنة والهرسك ^(١) :

بما أن فتح البوسنة والهرسك وبلجراد من جملة الفتوحات العثمانية العظيمة فلا بد من تعريف مختصر لهذه الدولة ولمحة سريعة عنها .

❖ لمحة مختصرة عن الدولة العثمانية :

الدولة العثمانية ترجع تسميتها إلى عثمان بن طغرل المؤسس الحقيقي لها ، وإن كان والده مهَّد لها .

كانت بدايتها حينما فر طغرل مع مجموعة من الترك من بطش المغول ونزحوا إلى قونية وقاتلوا مع سلطان قونية سلطان السلاجقة ضد الخوارزميين فأعطاهم سلطانها بعض الأراضي الخصبة قرب أنقرة، على حدود الدولة البيزنطية ، واستطاع طغرل بغزواته المستمرة ضد البيزنطيين أن يوسع أراضيه، ورفع ابنه عثمان من بعده راية الجهاد في سبيل الله فجذب إليه عدداً غير قليل من المجاهدين المتطوعين، ممَّا ساعده في فتح كثير من الأقاليم البيزنطية وإدخالها ضمن الأراضي الإسلامية. كان ذلك بداية تأسيسها عام (٦٧٩) هجرية وانتهت هذه الدولة عام (١٣٢١) هجرية - أي أنها استمرت (٦٤٢) سنة فهي أطول دولة إسلامية

(١) تقع هذه البلدة في قلب أوربا يحدها من الشمال كرواتيا ومن الجنوب البانيا ومن الغرب بحر الأرجتين ومن الشرق صربيا .

وأوسع دولة إسلامية تم إلغا هذه الخلافة رسمياً في ٢٧ رجب ١٣٤٢ هجرية الموافق ١٩٢٣/٣/٣ م على يد المجرم الأثيم مصطفى كمال أتاتورك ^(١)

(١) مصطفى كمال أتاتورك (فرعون هذا العصر) - (١٣٥٧ هـ / ١٩٢٣ - ١٩٣٨ م): زعيم تركي. ولد بسالونيك من طائفة الدونما اليهودية ، كان ضابطاً في الجيش العثماني. وصدر أمر من السلطان محمد الخامس بقتله ، كان صديقاً للإنجليز فهيؤوه لزعامة الشعب التركي عن طريق جمعية الاتحاد والترقي التي تسيورها اليهودية والماسونية ، وتم للإنجليز ما أرادوا سنة ١٩٢١ م ، وأعلن إلغاء الخلافة سنة ١٩٢٤ م ، وفصل الدين عن الدولة وحارب الإسلام ومنع تطبيق الشريعة الإسلامية وجعل القانون المدني الأوربي بدلاً منها .

اشترك في جمعية تركيا الفتاة، وبرز اسمه سنة (١٣٣٤ هـ / ١٩١٥) م بسبب تمثيلية رد هجوم الحلفاء على الدردنيل. وفي سنة (١٣٣٨ هـ / ١٩١٩) م أسس الحزب الوطني التركي الذي حل محل جماعة الاتحاد والترقي، ومن تمثيلياته التي أعدها له أعداء لإسلام ليجعلوا منه بطلاً عظيماً انتصاراته الزائفة على اليونان وطردهم من الأناضول سنة (١٣٤٠ هـ / ١٩٢١) م وبسبب هذه البطولات الزائفة اغتر به خلق كثير من المسلمين وشبهوه بخالد بن الوليد ولم يعلم كثير منهم أن القضية مجرد تمثيلات ومكر بالإسلام والمسلمين وأن هذا الذي حسبه سيفاً من سيوف الإسلام سيصبح بعد أيام خنجراً مسموماً يغرزه أعداء الإسلام في نحر هذه الأمة ولقد كان وثيق العلاقة بالغرب، وعقد معهم معاهدة لوزان سنة (١٣٤٢ هـ / ١٩٢٣) م وبمقتضاها بسطت تركيا سلطانها من جديد على جميع آسيا الصغرى والقسطنطينية وتراقيا الشرقية. وكان عميق الصلة بطائفة (الدونمة) اليهودية، بل هو منها، كما أن أعضاء جماعة الاتحاديين والكماليين " أتباع مصطفى كمال " تابعون جميعاً للمحفل الماسوني) ، ومنذ أن آلت السلطة إليه أبعد تركيا عن الإسلام تماماً فألغى الخلافة الإسلامية نهائياً في تركيا، في (١٣٤٢ هـ / ١٩٢٣) م وقطع كل صلة لها مع الإسلام والدول الإسلامية، واستبدل الدستور العثماني بدستور مدني (الدستور السويسري)، فدفع تركيا بذلك دفعاً إلى العلمانية (أي فصل الدين عن الدنيا) وتتبع ذلك في كل مظاهر الحياة في تركيا. لذا نلاحظ أن من أبرز

والناس فيها طرفان ووسط :

الطرف الأول : المغالي فيها المعجب بها الذي لا يقبل فيها نقداً ولا تجريحاً

الطرف الثاني : المتكلم فيها بكل سوء فيزعم أنها أكبر دولة خرافية عمرت المشاهد والقباب ودعت إلى عبادة الأوثان وحاربت التوحيد وووو الخ .

الصنف الثالث : أصحاب الانصاف والعدل والاعتدال فيذكرون ما كان فيها من خير ويحذرون مما حصل فيها من شر فهاك القول الفصل في هذه القضية ودعك من مسلسل أرطغرل وأشباهه ومن سموم المسلسلات التركية فالقول الفصل هو أن الدولة العثمانية دولة إسلامية عظمى أذل الله بها الكفار عموماً

اتجاهات تركيا الحديثة اتجاهها نحو الغرب، وتقليل علاقاتها مع الشرق الإسلامي. كان فاسقاً مدمناً للخمر ويذكر مصطفى صبري أنه قد أُلِّف في أوروبا المعادية للإسلام ما ينيف عن ستمائة كتاب تكريماً لمصطفى كمال أتاتورك .

أصبح رئيساً لتركيا رياسة ديكتاتورية وتجدد انتخابه عدة مرات ولم ينقذ الناس منه إلا موته مات سنة (١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م) . وهو في سن الثامنة والخمسين بعد مرض بسبب الخمر صدرت فتوى بخروجه عن العقيدة الإسلامية وأنه مات كافراً . انتهى هذا اليهودي العلماني، ولم يخلف للأتراك إلا الفقر والضياع. لا رحم الله منه مغرر إبرة .

انظر : (موجز التاريخ الإسلامي) .، الموسوعة العربية (١/٤٤) ، ونظام الخلافة في الفكر الإسلامي د . مصطفى حلمي (ص ٥٤٠)، وموقف العقل والعلم والدين لمصطفى صبري (٤/٣٠٠ ، ٣٠١) . الإسلام والخلافة (ص ٧) .

واليهود والنصارى خصوصاً وأعز الله بها أهل الإسلام رغم ما حصل من سلبات لاسيما في آخر عهدها من تصوف ومحاربة لدعوة التوحيد ومن قتل لبعض علماء السنة ومن تكلم عنها بإنصاف :

١- **الشوكاني في البدر الطالع** : فقد ترجم فيه لسلطين آل عثمان وأثنى عليهم

٢- **الألباني قال رحمه الله** : لأن الإسلام لا يرتبط عزه بالعرب فقط بل قد يعزه الله بغيرهم من المؤمنين كما وقع ذلك زمن الدولة العثمانية لاسيما في أوائل أمرها فقد أعز الله بهم الإسلام حتى امتد سلطانه إلى أواسط أو ربأ، ثم لما أخذوا يحيدون عن الشريعة إلى القوانين الأوروبية (يستبدلون الأدنى بالذي هو خير) تقلص سلطانهم عن تلك البلاد وغيرها حتى لقد زال عن بلادهم! فلم يبق فيها من المظاهر التي تدل على إسلامهم إلا الشيء اليسير! فذل بذلك المسلمون جميعا بعد عزهم ودخل الكفار بلادهم واستذلوهم إلا قليلا منها، وهذه وإن سلمت من استعمارهم إياها ظاهرا فهي تستعمرها بالخفاء تحت ستار المشاريع الكثيرة كالاقتصاد ونحوه! فثبت أن الإسلام يعز ويذل بعز أهله وذله سواء كانوا عربا أو عجماء، " ولا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى "، فاللهم أعز المسلمين وألهمهم الرجوع إلى كتابك وسنة نبيك حتى تعز بهم الإسلام (١) .

٣ - سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله ابن باز رحمه الله تعالى : يقول كما في ندوة تجديد الفكر الإسلامي، والتي أقيمت في قاعة المحاضرات بجامعة الملك سعود (١٤٠٢) هـ (مسجلة على أشرطة كاسيت) قال فيه :

لم يخرج الشيخ محمد بن عبد الوهاب على دولة الخلافة العثمانية - فيما أعلم وأعتقد-، فلم يكن في نجد رئاسة ولا إمارة للأتراك، بل كانت نجد إمارات صغيرة وقرى متناثرة، وعلى كل بلدة أو قرية - مهما صغرت - أمير مستقل ... وهي إمارات بينها قتال وحروب ومشاجرات، والشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يخرج على دولة الخلافة، وإنما خرج على أوضاع فاسدة في بلده، فجاهد في الله حق جهاده وصابر وثابر حتى امتد نور هذه الدعوة إلى البلاد الأخرى ... ^(١) .

٤ - العثيمين : يقول في اللقاء الشهري (ص ٤٣٠) : وقد قيل إن في العصور الوسطى كان ثلاثة أرباع الأمة الإسلامية على مذهب أبي حنيفة لأن الخلفاء في الدولة العثمانية كلهم على مذهب الأحناف والناس على دين ملوكهم . اهـ

قلت : ولو لم يكن من محاسن الدولة العثمانية إلا القضاء على الدولة الشيعية الصفوية لكان أمراً عظيماً فكيف إذا أضفنا إلى ذلك الفتوحات العظمى في أنحاء المعمورة وما حصل بسبب ذلك من عز وتمكين للإسلام والمسلمين .

(١) بواسطة " دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب " (٢٣٤ - ٢٣٥) .

ولاشك أن الضعف بدأ يسري إلى الدولة العثمانية في أواخر عهد سليمان القانوني لعدم عنايتهم بنشر العقيدة الصحيحة وهذا أمر مؤسف و أيضاً من الأمور المحزنة جداً ما حصل من والي مصر التابع للعثمانيين محمد علي باشا وولده إبراهيم من فساد عريض وسفك للدماء وقتل للمشايخ والعلماء في أرض نجد والحجاز فالله المستعان .

❖ تفاصيل فتح البوسنة والهرسك :

فاتحها هو : السلطان العثماني : مراد الأول ^(١) ابن السلطان أورخان بن عثمان بن أرطغرل وهو السلطان الثالث في سلسلة سلاطين الدولة العثمانية .

(١) مراد الأول هو : السلطان مراد بن أورخان الغازي بن عثمان المعروف بغازي خداندكار ، ثالث سلاطين آل عثمان ، بويع بالسلطنة بعد أبيه ، في سنة ٧٦١ هـ / ١٣٥٩ م ، واستمر حكمه إلى سنة ٧٩١ هـ / ١٣٨٨ م

تخطى المضيق متجهًا نحو أوروبا وهاجم شبه جزيرة البلقان، فتح أدرنه وجعلها العاصمة بعد أن كانت العاصمة "بورصة"، وأسس فرق الخيالة العسكرية (السباهية)، توسع في فتوحاته فاستولى على عدة إمارات في الأناضول، استولى على صوفيا عاصمة البلغار، وسلانيك اليونانية، انتصر على الصرب وقتل ملكهم وأخذ معظم بلادهم واستشهد بعد هذه المعركة بعد أن استولى على كل أملاك البيزنطيين في آسيا الصغرى. حيث قتله غيلة صربي يدعى : ميلوش تقدّم إليه زاعماً أنّه سيُسَلِّم عليه و يُعلن إسلامه بين يديه ، و بينما كان السلطان يجود بنفسه أخذ البيعة من الحاضرين لابنه الغازي بايزيد الأول ، و أوصى بالأسرى خيراً ، ثم تشهّد و فاضت روحه إلى بارئها رحمه الله في منتصف شعبان ٧٩١ هـ الموافق للتاسع من أغسطس ، مات وهو يبلغ من العمر (٦٥) عامًا. وهو في أوج انتصاره ، عرف بالكفاءة القيادية العالية ، جعل أدرنة

س : متى كان هذا الفتح ؟

كان في رمضان سنة (٧٩١) هجرية : سلكت الدولة العثمانية مسلك الدول التي قبلها وهي الأموية والعباسية والمملوكية في التوسع والفتوحات فكان من جملة الفتوحات العثمانية فتح السلطان العثماني - مراد الأول - لمدينة أدرنة ^(١) وجعلها عاصمة لدولته ثم فتح أراضي الدولة البيزنطية في «البلقان»، حتى أصبحت «القسطنطينية» عاصمة البيزنطيين محاصرة تماماً بالأراضي العثمانية، ونتيجة لتلك الفتوحات صارت الدولة العثمانية متاخمة لكل من «الصرب» و «البلغار» و «ألبانيا».

عاصمة له سنة ٧٦٣ هـ. قهر الأمبراطور البيزنطي يوحنا الخامس . ، وهو الذي أحدث الراية العثمانية - علم تركيا الآن .

عُرف بالعدل، وبمعاملة رعيته من أهل الذمة معاملة حسنة، وبكثرة المعارك التي حالفه فيها النصر، حتى إنه دخل (٧٣) معركة في "الأناضول" وفي "البلقان" خرج منها جميعاً مظفراً، كما أنه تسلم الدولة من أبيه ومساحتها نحو (٥٩٠٠٠ كم^٢)، وتركها عند استشهاده وهي تبلغ (٥٠٠٠٠٠ كم^٢)، أي أنها زادت في مدى (٢٩) سنة أكثر من خمسة أمثالها حين تسلمها من أبيه.

"شذرات الذهب" (٨ / ٥٦٧) و"البدر الطالع" (٢ / ٣٠٠) و"تاريخ الدولة العلية العثمانية" (١٢٩).

موجز التاريخ الإسلامي منذ آدم عليه السلام إلى عصرنا الحاضر. / أحمد معمور العسيري.

(١) أدرنة : مدينة تركية تقع على مرتفع من الأرض عند ملتقى أنهار : مريج ، و أرادا ، و طونجة .، على الجانب الأوروبي من بحر مرمرة ، كانت تعرف باسم أدرينانوبل (Adriunopole) قبل أن يفتحها العثمانيون عام ٧٦٣ هـ / ١٣٦٢ م ،، جعل منها السلطان مراد الأول بعد أن فتحها مقاماً لسلطين آل عثمان في أوروبا عام ٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م ، وظلّت كذلك حتى فتح القسطنطينية .

وأدى هذا النشاط العثماني إلى انزعاج أوروبا وازدياد قلقها، فكتب أمراء تلك المناطق إلى ملوك أوروبا الغربية وإلى البابا يستنجدون بهم ضد المسلمين، فقام البابا بالدعوة إلى قيام حرب صليبية جديدة للقضاء على هذه الدولة الإسلامية الفتية فأقامت دولة النصارى تحالفات كثيرة مع بعضها لأجل ذلك كان من ضمن هذه التحالفات تحالف ملك الصرب : (لازارجر بلينانوفتش) مع ملك البلغار شيهان على مواجهة المسلمين وكان هذا عام إحدى وثمانين وسبعمائة فقامت البلغار والصرب بعدة هجمات على المسلمين من تلك الهجمات مهاجمة ملك الصرب «أدرنة» عاصمة العثمانيين وكان «مراد» غائباً عنها، فلما علم بأخبار هذا الهجوم عاد بجيشه ليحارب الصرب، ونجح في إلحاق الهزيمة بهم فاضطرت الدولتان لعقد صلح مع السلطان مراد على أن يدفع له خراجاً سنوياً ولم يدم هذا الصلح طويلاً فقد نقضه النصارى وبدأوا يعدون العدة لمحاربة المسلمين إلا أن العثمانيين لم يمهلوهم فاجتاحت جيوشهم بلاد البلغار وانتهى هذا الاجتياح بهزيمة بلغاريا وأسر ملكها والسيطرة على مدنها ولما علم ملك الصرب بذلك بدأ يستعد لمواجهة المسلمين فألف جيشاً من الصرب والبوسنة والهرسك والألبان والأفلاق والبغدان وتعاهدوا جميعاً على محاربة المسلمين والاستيلاء على الدولة العثمانية . فوصل الخبر إلى السلطان مراد فعقد مجلساً شوروياً انتهى المجلس بقرار الحرب والمواجهة فأعد مراد الأول جيشه ثم تحرك لمواجهة الأعداء والتقى الفريقان في سهل يُسمى «قوصوة» سنة (٧٩١هـ = ١٤٨٣م) حيث دارت معركة من أعظم

معارك الإسلام، واستمرت أياماً من آخر شعبان إلى بعض أيام رمضان وبينما المعركة على أشدها إذ بصهر ملك الصرب ينحاز إلى المسلمين بفرقة من الجيش ثم استمرت المواجهات إلى أن كتب الله النصر للمسلمين فتشتت شمل الكافرين وانتصر فيها العثمانيون، وهُزم الصرب هزيمة منكرة، وتم أسر ملك الصرب فقتله السلطان مراد الأول لما فعل بالمسلمين وبينما السلطان مراد يمشي في ساحة المعركة يتفقد الجرحى ويمشي بين جثث القتلى فجأة ينهض جندي صربي من بين الجثث فينقض على السلطان فيطعنه طعنه قاتلة ويسقط السلطان قتيلاً في الحال وهكذا شهد سهل كوسوفو بولجي معركة حاسمة بين المسلمين والصرب ألا وهي معركة (قوص أوه) انتهت بانتصار المسلمين انتصاراً عظيماً وأخذ الإسلام ينتشر في تلك البقاع حتى تحولت مناطق بكاملها إلى الإسلام كما هو الحال في البوسنة والهرسك وكوسوفا وغيرها والحمد لله ^(١) .



(١) للاستزادة انظر:- تاريخ الدولة العلية العثمانية / لمحمد فريد بك . - التاريخ الإسلامي أ/ محمود شاكر . - السنّة النبويّة مكانتها وأثرها في حياة مسلمي البوسنة والهرسك .

الخامسة عشر: فتح بلغراد (١) - عاصمة الصرب ويقال لها بلغراد :

فاتحها هو : السلطان العثماني سليمان القانوني (٢)

سبب غزوها : أرسل السلطان العثماني العاشر سليمان القانوني رسولاً إلى ملك المجر (لويز الثاني) يطلب منه دفع الجزية بناءً على معاهدة سابقة أو الحرب فإذا بملك المجر يأمر بقتل رسول السلطان سليمان فلما وصل الخبر إلى السلطان سليمان أمر بتجهيز الجيش ثم تحرك بجيشه وحاصر بلغراد ورغم دفاع المجرىون عن مدينتهم بشكل كبير إلا أن جنود المسلمين تمكنوا من اقتحامها بتاريخ (٢٥) رمضان سنة (٩٢٧) هجرية وتخلّى جنود المجر عن قلعتها ودخلها السلطان وصلى الجمعة في إحدى كنائسها التي حُوت فوراً إلى مسجد وصارت هذه

(١) بلغراد أو بيوغراد : أي أرض الجبل الأبيض ، عاصمة يوغسلافيا الاتحادية تقع على نهر الدانوب ، و تشرف عليها قلعة العرب المعروفة باسم قلعة العرب ، و هي الآن عاصمة صربيا ، تعرّضت معالمها الإسلامية للخراب والدمار إبّان الحربين العالميتين ، و لم يبق منها سوى قلعتها و مسجدتها الوحيد .
انظر : محمد الهمشري و زملاؤه : انتشار الإسلام في أوروبا ٧٥-٧٦.

(٢) هو سليمان بن سليم بن بايزيد بن محمد السلطان القانوني: عاشر سلاطين الدولة العثمانية ، و يُعرف بسليمان الأول ، تُلقّب بالقانوني بسبب التشريعات الإصلاحية التي سنّها و جعلها دستوراً للحكم ، وُلد عام ٩٠٠ هـ / ١٥١٩ م ، و خلف أباه السلطان سليم الأول على الحكم بعد وفاته عام ٩٢٦ هـ / ١٥١٩ م ، و استمر على عرش السلطنة نحو نصف قرن حتى توفي عام ٩٧٤ هـ / ١٥٦٦ م ، و خلفه ابنه الوحيد سليم الثاني .

انظر : شذرات الذهب لابن العماد ١٠ / ٥٤٩ ، انتشار الإسلام في أوروبا / محمد علي الهمشري و زملاؤه
ص : ٧٩ ، ت ٧٣ .

المدينة أكبر مساعد للجيش العثماني على فتح ما وراء الدانوب من الأقاليم
والبلدان والحمد لله على نعمة الإسلام والإيمان .



السادسة عشر: معركة كبرى للمسلمين في الحبشة سنة ٩٣٥ هـ:

قائد المسلمين في هذه المعركة هو: «أحمد بن إبراهيم الغازي» الملقب بالقرين
أي الأشول^(١).

(١) "أحمد بن إبراهيم الغازي" الملقب بالقرين أي الأشول. زعيم الجهاد الإسلامي في سلطنة "عَدَل" اتبع الإمام "أحمد القرين" بعد أن سيطر على مقاليد الأمور في سلطنة "عَدَل" وبعد أن اتخذ "هرر" مقرًا له سياسة موفقة جمعت الناس حوله، فقد طبق الشريعة الإسلامية في حكمه وخاصة في توزيع أموال الزكاة والغنائم على مستحقيها وفي مصارفها الشرعية، وبذلك كسب حب الجند وحب الفقهاء والعلماء، كما كسب أيضًا محبة الشعب، فقد كان يلطف بالمساكين ويرحم الصغير، ويوقر الكبير، ويعطف على الأرملة واليتيم، وينصف المظلوم من الظالم، ولا تأخذه في الله لومة لائم، كما قضى على قُطَاع الطرق فأمنت البلاد وصلاح حال الناس وانقادوا له وأحبوه. وبهذه السياسة الداخلية السليمة استطاع الإمام "أحمد القرين" أن يوحد كلمة المسلمين ويتولى زعامتهم وعزم على رد عادية الأحباش، وذلك بفتح بلاد الحبشة ذاتها، وتمكن من التوغل فيها حتى وصل إلى أقاليمها الشمالية، ودارت بينه وبين الأحباش عدة معارك، كان أولها في عام (٩٣٣ هـ = ١٥٢٧ م) حيث هزم الأحباش لأول مرة منذ بداية الجهاد. وفي عام (٩٣٤ هـ = ١٥٢٨ م) أحرز نصرًا حاسمًا على الأحباش في موقعة "شنبر كورى"، ثم بدأ في غزو بلاد الحبشة نهائيًا. ففي سنة (٩٣٨ هـ = ١٥٣١ م) دخل "دوارو" و"شوا" و"أمهرة" و"لاستا". وفي سنة (٩٤٠ هـ = ١٥٣٥ م) سيطر المسلمون على جنوب الحبشة ووسطها، وغزوا "تجراى" للمرة الأولى وأصبح مصير الأحباش في كفة الميزان. وفي هذا الوقت كان الزحف البرتغالي قد وصل إلى البحر الأحمر فاستنجد بهم الأحباش عام (٩٤٢ هـ = ١٥٣٥ م) فأرسل إليهم ملك البرتغال نجدة عسكرية وصلت البلاد عام (٩٤٨ هـ = ١٥٤١ م)، وتقابل المجاهدون بقيادة "أحمد القرين" مع الأحباش والبرتغاليين في عدة مواقع عام (٩٤٩ هـ = ١٥٤٢ م)، لكنه هُزم وتكررت هزيمته في العام التالي حيث استشهد وتفرقت جموعه. [الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي].

سنتحدث الآن عن معركة خاضها المسلمون ضد أعداء الإسلام في بقعة كانت ولا زالت موطناً للجهاد في سبيل الله، وصلها الإسلام منذ وقت مبكر وظل ينتشر فيها وبين أبنائها حتى اعتنقه أكثرهم، فكان منهم الدعاة والمجاهدون الذين حملوا لواء هذا الدين ينشرونه ويدعون له بين بني قومهم.

إنها بلاد الحبشة، دار الهجرة الأولى: التي آوت المسلمين المهاجرين في بداية ظهور هذا الدين .

ولقد انتشر الإسلام على يد هؤلاء المهاجرين، ثم توافد المسلمون إلى تلك البلاد من الحجاز واليمن، واستقروا فيها، وحملوا معهم الإسلام وتعاليمه، وأخذ ينتشر انتشاراً سريعاً، حتى إذا مضى قرن ونيف من الزمان تحول الساحل الحبشي إلى الإسلام وأصبح المسلمون هم سادته وحكامه.

ولم يتوقف المد الإسلامي عند الساحل فقط، بل تعداه إلى الداخل في عمق الهضبة الحبشية، حيث أصبح سكان تلك المناطق من المسلمين، وتحولت قبائل كثيرة من الأحباش إلى الإسلام.

وبمرور الوقت اتضح الكيان السياسي للمسلمين في الحبشة وكونوا لهم سبع ممالك إسلامية، عرفت بممالك الطراز الإسلامي، وقد حمل حكام هذه الممالك الإسلامية عبء الجهاد في سبيل الله في الحبشة.

وإلى جانب هذه الممالك تقوم دولة نصرانية تتخذ من مدينة أكسوم عاصمة لها وهي الدولة التي استضاف واحد من حكامها الأوائل جموع المهاجرين المسلمين، إلا أن حكامها المتأخرين أظهروا العداوة للمسلمين وبدأوا يحاربونهم ويفتنونهم عن دينهم ويضيقون عليهم، وإذا كان المسلمون في أول الأمر قد كفوا عن مهاجمة الحبشة ولم يمددوا إليها موجة الجهاد الإسلامي، فإنهم اضطروا أخيراً إلى إعلان الجهاد ومهاجمة الدولة النصرانية للدفاع عن دينهم وأنفسهم وإخوانهم المسلمين.

وتوالى عدد من الحكام المسلمين المجاهدين الذين قتل أغلبهم في ساحات المعارك مع النصارى، وكلما سقط واحد منهم رفع اللواء آخر، حتى آل الأمر إلى مجاهد كبير وقائد عظيم من قادة المسلمين الأحباش هو أحمد بن إبراهيم القرين أو أحمد جران كما يسميه المسلمون هناك.

كان هذا الإمام ابناً لقسيس حبشي فاعتنق الإسلام وحسن إسلامه، ووجد نفسه في دولة إسلامية ضعيفة، يهيمن عليها النصارى، ويأخذون من حكامها الجزية عكس ما يدعو إليه الإسلام، فلم يستسلم لذلك بل عمل على تقوية المسلمين وذلك بالدعوة إلى الجهاد وإثارته في النفوس.

واستطاع الإمام أحمد توحيد الدولة الإسلامية في الحبشة، وكان أول عمل قام به بعد ذلك هو منع دفع الجزية للملوك النصارى، وعندئذ أصبح قيام الحرب بينهم أمر لا مفر منه، وعندما تحركت جيوش الحبشة النصرانية، واجتاحت مملكة

المسلمين تصدى لها الإمام أحمد وهزمها شر هزيمة، وعندئذٍ اشتعلت في نفوس المسلمين حماسة الجهاد في سبيل الله والتي كمنت في نفوسهم وقتاً طويلاً.

واستطاع الإمام أحمد تنظيم صفوف القبائل المسلمة في مهارة فائقة، وجعل منهم قوة ضاربة منيعة، وعندما تم له ذلك، أعلن الجهاد في سبيل الله، وحاول البعض من المسلمين اليائسين تحذيره من هذا الأمر، وأن مصيره سيكون مثل مصير الحكام السابقين الذين ماتوا في ساحات المعارك، ولكن الإمام أجابهم بأن الجهاد في سبيل الله لا يمكن أن يعود بالخسران على المسلمين.

وتوالت انتصارات المسلمين في الحبشة وتوالى سقوط المدن النصرانية في أيدي المسلمين، وسيطروا على وسط الحبشة وجنوبها في مدة قصيرة، وأقبل الأبحاش على الإسلام يعتنقونه بأعداد كبيرة، حتى أن قائداً من قادتهم قد دخل بجنده في الإسلام دفعة واحدة وكان عددهم عشرين ألفاً، - حَسَبَ بعض المصادر - ويذكر أحد المؤرخين أنه لم يبق على النصرانية أكثر من العُشر وهم الذين فضلوا دفع الجزية للمسلمين.

❖ **تفاصيل المعركة:** حاول إمبراطور الحبشة جمع جيوشه المنهارة فاجتمع له عددٌ كبير سار بهم نحو المسلمين وعلم الإمام بذلك فسار بجيشه مسرعاً والتقى العسكران الإسلامي والنصراني، وبات المسلمون يذكرون الله ويحمدونه ويسبحونه، وقام الإمام أحمد في أصحابه وقال: توكلوا على الله واعتصموا به

وأشيروا عليّ: فقالوا: الجهاد بغيتنا ومُنّانا، ولا نزال نصبر لهم على الضرب والطعن حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين، ففرح بقولهم وبات الجميع مستعدين للقتال، وفي صباح يوم من أيام رمضان سنة خمس وثلاثين وتسعمائة من الهجرة بدأت المعركة بين المسلمين وأعدائهم، وأبلى المسلمون بلاء حسنا وصمدوا في وجه النصارى رغم قوتهم وكثرة عددهم، وأنزل الله النصر عليهم، فانهزم النصارى هزيمة قاسية، وقتل أكثرهم وانفتح الطريق إلى عاصمتهم أكسوم فاستولى عليها المسلمون وقضوا على بقية دولتهم.

هذا هو الفتح العظيم الذي حصل للمسلمين في الحبشة على يد أحمد القرين - رحمه الله - والذي حول الحبشة كلها إلى الإسلام.

ولكنّ القوى الصليبية في ذلك الوقت لم تكن لتسكت على انهيار دولة النصارى الوحيدة في العالم الإسلامي - يومئذ - وكان الأحباش النصارى قد استنجدوا بالبرتغال وهم سادة البحار في ذلك الوقت، فأنجدوهم بجيش قوي حديث مسلح بالمدافع، التي لا يعرفها المسلمون الأحباش في ذلك التاريخ، ودخلت القوات البرتغالية الحبشة ورحب بها النصارى وقاومها المسلمون، وحدثت معارك عنيفة بين الصليبيين والمسلمين وصمد المسلمون أمامهم مدة من الزمن وكانت مدافع البرتغاليين تقصفهم بلا هوادة ولا رحمة، واستنجد المسلمون بالعثمانيين وتأخرت النجدات، وما وصل منها لم يكن ليغير ميزان القوى لضعفه وقلة تسليحه، وحلت الهزيمة بالمسلمين وقتل قائدهم أحمد القرين

- رحمه الله - وبذلك تغير مجرى التاريخ في الحبشة، وعادت القوة للنصارى، واتخذت هجماتهم طابعاً من القوة والوحشية، وخربوا المساجد وأماكن العبادة وأفرطوا في القتل والتنكيل، وأرغموا المسلمين على اعتناق النصرانية. فإننا لله وإنا إليه راجعون ^(١) .



(١) "من معارك المسلمين في رمضان" (ص ٩٢-٩٥) ، الموسوعة الموجزة في التاريخ

السابعة عشر: معركة العاشر من رمضان (١٣٩٣) هجرية (١٩٧٣) م بين (مصر وسوريا) من جهة وبين (اليهود) من جهة أخرى

❖ **سببها:** أراد بعض رؤساء الدول الإسلامية استرداد الحقوق التي اغتصبها اليهود ولاسيما في حرب (٦٧) فكانت النتيجة عكسية والله المستعان

❖ **نبذة مختصرة عن حرب (٦٧) (١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م):** قبل هذه الحرب بمدة يسيرة لمع نجم جمال عبد الناصر ومجدته إذاعة صوت العرب واشتهر عنه بأنه القائد الذي سيحرر فلسطين وسيلقي دولة اليهود في البحر وأنه سيصل بنفسه إلى تل أبيب ويُرجع فلسطين إلى العرب وكان حينها يمثل الزعيم العربي الأكبر على مستوى العالم العربي .

❖ موجة من التحديات

انزعج اليهود كثيراً من تسلل المجاهدين من سوريا ومصر إلى فلسطين وقيامهم بمهاجمة اليهود حينها وجه اليهود تهديداً للنظام السوري وأعلنوا أنهم سيدخلون دمشق وسيتخذون إجراءات رادعة ضد النظام السوري إذا استمر تسلل المجاهدين وكان ذلك في ١٠ / ٥ / ١٩٦٧ م على لسان راين الذي كان رئيس أركان جيش اليهود في ذلك الوقت وقابل جمال عبدالناصر هذا التهديد والتحدي بتحدي مماثل فطلب من الأمم المتحدة أن تسحب قواتها من سيناء وأعلن أنه سيغلق مضائق تيران البحرية التي هي المدخل الوحيد لليهود إلى البحر

الأحمر وكان هذا الإعلان بتاريخ ٢٢ / ٥ / ١٩٦٧ م فاعتبر اليهود هذه الإجراءات من عبد الناصر بمثابة إعلان حرب واعتبروه إلغاء لاتفاقية الهدنة التي حدثت سنة (٥٦) والتي كان من شروطها أن ينسحب اليهود من سيناء مقابل أن تبقى المضائق البحرية مفتوحة إلا أن جمال عبد الناصر أصر على إغلاق المنافذ البحرية قناة السويس ومضائق تيران وأغلق بذلك المنافذ التجارية على اليهود والإمدادات البحرية وغيرها وفي ٣٠ / ٥ / ١٩٦٧ م زار الملك حسين بن طلال ملك الأردن القاهرة ووقع اتفاقية دفاع مشتركة مع مصر وتم بذلك تحالف سوري مصري أردني أعلن ضد اليهود وطلب عبد الناصر من مراقبي الأمم المتحدة المغادرة فوراً فغادروا على الفور وبدأت إنذارات الحرب وأعلنت الدول العربية استعدادها لمعركة مصيرية وتحرير فلسطين واستنفرت الجيوش العربية في دول الطوق : (مصر وسوريا والأردن ولبنان) وأرسلت عدة دول عربية قواتها للمساندة كما أرسلت العراق بعض قواتها وهكذا الكويت وكانت المؤشرات والمعنويات مرتفعة لصالح الدول العربية فقد كانت بمجموعها أكثر قوة وتعداداً وعتاداً وخصوصاً أنها كانت بقيادة جمال عبد الناصر الزعيم الذي كسب ثقة الجماهير في تحرير فلسطين وطرد اليهود وقد كانت مصر وحدها تملك قوة عسكرية أضخم من اليهود فكانت مصر تمتلك ٤٥٠ طائرة و ١٢٠٠ دبابة بينما يمتلك اليهود ٣٠٠ طائرة و ٨٠٠ دبابة وكان تعداد جيش مصر يقدر ب ٢٤٦ ألف جندي وهذا فقط في الجيش المصري ناهيك عن القوات الأردنية والسورية

واللبنانية والقوات الأخرى المساندة من الدول العربية واندلعت الحرب يوم الاثنين ٢٧ صفر ١٣٨٧ للهجرة النبوية الموافق ٥ يونيو من عام ١٩٦٧ م والتي سميت بعد ذلك بالنكسة الكبرى وبالرغم من أن إذاعة صوت العرب في الأيام الستة الأولى كانت تذيع أخبار انتصارات الجيوش العربية وأخبار إسقاط الطائرات اليهودية إلا أن أرض المعركة كانت تحكي واقعاً آخر فمنذ أول ليلة لاندلاع الحرب بينما كانت الجيوش المصرية تعيش ليلة أنس وسهر قام الطيران اليهودي بحركة مباغته فوجه ضربة استباقية قام من خلالها بتدمير الطائرات المصرية والأردنية والسورية وهي مازالت على مدرجاتها ثم تتالت الخسائر العسكرية الكبيرة والاندحار العسكري المروع وبعد انتهاء الأيام الستة تظهر الكارثة وتتكشف المعركة عن هزيمة نكراء تحتل فيها اليهود الضفة الغربية وغزة والنسبة المتبقية للمسلمين من فلسطين (٣٣ %) كما احتل اليهود سيناء التي تبلغ مساحتها ٦١ ألف كيلو متر مربع وهي أكبر مساحة من فلسطين واحتل اليهود أيضاً مرتفعات الجولان وهي جبال عظيمة يصل ارتفاعها إلى ١١٥٠ متر كان اليهود يقولون: الجولان أخطر علينا من مصر وكانت بالفعل أخطر موقع استراتيجي يهدد اليهود حيث يمكن من الجولان قصف تل أبيب ومنها يستطيع المسيطر عليها أن يرى معظم أرض فلسطين أمامه سهلاً مكشوفاً وسارع اليهود فدخلوا المسجد الأقصى وهم يصرخون بكل صلف ووقاحة وغرور: (حط المشمش على التفاح .. دين محمد ولّى وراح) ويرددون أيضاً (محمد مات

.. وخلف بنات ..) يقولون ذلك استهزاءً بالمسلمين وفرحاً بضعفهم وهزيمتهم
ومما كانوا يرددونه أيضاً يومئذ قولهم :

(خير .. خير ..) أي هذا انتقام لأنفسهم من غزوة خيبر

سميت هذه الحرب حرب يونيو أو حرب النكسة وهي ثالث حرب تقع بين المسلمين العرب والعصابة اليهودية فاليهود شنوا هذه الحرب بدعوى الرد على التعبئة الظاهرة من قبل المسلمين العرب المجاورين لهم حسب زعمهم فشنوا هجوماً استباقياً مفاجئاً في وقت مبكر في صباح يوم ٥ يونيو دمر هذا الهجوم أكثر من ٩٠ ٪ من سلاح الجو المصري على مدارج المطارات وأدى هجوم مماثل إلى إعاقة سلاح الجو السوري وتعرض بعد ذلك الجيش المصري للهجوم بدون غطاء من الجو وفي غضون ثلاثة أيام حقق اليهود انتصاراً كبيراً على الأرض واستولوا على قطاع غزة وشبه جزيرة سيناء بكاملها حتى الضفة الشرقية لقناة السويس كما تم فتح جبهة شرقية في ٥ يونيو عندما بدأت القوات الأردنية تقصف القدس الغربية رغم تحذير اليهود للملك حسين بإبقاء الأردن خارج خريطة القتال مما أدى لتعرضها لهجوم يهودي مضاد وفي ٧ يونيو طردت القوات اليهودية القوات الأردنية من القدس الشرقية ومعظم الضفة الغربية ودعا مجلس الأمن الدولي إلى وقف إطلاق النار في ٧ يونيو - أي بعد تحقيق اليهود أهدافهم - فوافق حينئذ اليهود والأردن على الفور ووافقت مصر في اليوم التالي لكن سوريا صمدت واستمرت في قصف القرى في شمال دولة اليهود وفي ٩ يونيو شن اليهود

هجوماً على مرتفعات الجولان المحصنة واستولت عليها بعد انسحاب القوات السورية منها بعد قتال عنيف ثم وافقت سوريا على وقف إطلاق النار في ١٠ يونيو .

ملخص نتائج هذه الحرب الخاسرة : لقد كانت نتائج هذه النكسة كبيرة وموجعة للجيش العربي ويمكن تلخيص بعضها بالتالي :

١- تدمير سلاح الطيران المصري والأردني والسوري حيث دمرت ٣٩٣ طائرة من أصل ٤١٦ طائرة وهي مازالت على الأرض خلال الشانين دقيقة الأولى من المعركة .

٢- تدمير ٨٠٪ من عتاد الجيش المصري .

٣- استشهاد ١٠ آلاف مقاتل مصري و ٦١٠٠ مقاتل أردني و ١٠٠٠ مقاتل سوري ووقوع آلاف الجرحى .

٤- تشريد ٣٣٠ ألف فلسطيني ومصادرة اليهود لأراضيهم وتوزيعها على اليهود .

٥- إتاحة المجال لليهود للتوسع بحرية تامة في بناء المستوطنات .

٦- خفوت نجم جمال عبد الناصر وتغير المعادلة العربية فبعد أن كان العرب ينادون بتحرير أرض فلسطين التي احتلت سنة ٤٨ صار النداء والمطالبة بتحرير

الأراضي التي تم احتلالها سنة ٦٧ وتم نسيان أو تجاهل المطلب الأول وهو تحرير كامل أرض فلسطين .

ولئن كانت هذه النكسة نكبة كبرى ومصيبة عظيمة وكارثة شديدة إلا أن المتأمل في التاريخ العربي والإسلامي خلال قرون مضت يجد أن هذه النكسة رغم فداحتها كانت سبباً في إيقاظ الأمة الإسلامية وبدأت تلتفت إلى حقيقة الإسلام وبدأ الوعي الحقيقي للأمة يبدو بشكل كبير

أما اليهود فقد ازدادت غطرستهم بعد انتصارهم هذا فقاموا في ٦/٢٧ بالإعلان عن توحيد القدس الشرقية والغربية وإعلانها عاصمة لهم أبدية غير قابلة للتفاوض وأدت تلك الهزيمة إلى إحباط معنويات كثير من المسلمين من العرب وغيرهم وأعلن جمال عبد الناصر استقالته في ٩ يونيو وقامت مظاهرات حاشدة تطالبه بالبقاء في منصبه وأصيب اليهود بنشوة عارمة وكانت هذه الحرب بداية لمرحلة جديدة من الصراع بين اليهود الغاصبين والمستضعفين الفلسطينيين حيث أسفرت عن مئات الآلاف من اللاجئين ووضع أكثر من مليون فلسطيني في الأراضي المحتلة تحت الحكم اليهودي وكانت المكافأة لليهود دخولهم في علاقة استراتيجية مع الولايات المتحدة .

وبعد أشهر من الحرب وتحديدًا في نوفمبر أصدرت الأمم المتحدة قرارها رقم ٢٤٢ الذي دعا إلى انسحاب اليهود من الأراضي التي احتلوها في هذه الحرب

مقابل سلام دائم وأصبح هذا القرار أساساً للوساطات الدبلوماسية بين اليهود وجيرانهم من المسلمين العرب بما في ذلك اتفاقيات كامب ديفيد

والآن وبعد مرور ستة وخمسين عاماً من هذه الحرب الفاشلة تجاوز عدد المستوطنين في الضفة الغربية التي احتلها اليهود عام ١٩٦٧ أكثر من نصف مليون مستوطن ويتمتعون بكافة موارد الدولة بما في ذلك موارد الجيش اليهودي لحمايتهم وبعد حرب ١٩٦٧ ضم اليهود القدس واعتبروها عاصمة أبدية لهم والله غالب على أمره

❖ موقف مؤلم

هذه الهزيمة النكراء التي لحقت بالمسلمين العرب في معركتهم مع اليهود لها عدة أسباب من أهمها :

- **سياسة الاختراق :** إنه النفاق الأكبر إذ يحرص اليهود دائماً على اختراق خصومهم وأن يدسوا في أوساط خصومهم شخصيات هي في الظاهر من المسلمين ومعهم وهي في الباطن يهودية من الدرجة الأولى فالقوات الجوية المصرية كان مستشارها العسكري يهودي مدسوس وهو صاحب كتاب (وتحطمت الطائرات عند الفجر)!!! وقد طُبِعَ بأكثر من لغة وقد ذكر فيه : كيف أنهم أعدوا حفلة ماجنة لكبار قواد القوات الجوية المصرية وطيارها مع بنات الهوى من الراقصات اليهوديات ليلة الخامس من يونيو ٦٧ .

إنها القصة المؤلمة والمخزية في نفس الوقت حيث كان اليهود يرددون بكل خبث وسخرية قولهم : (انتصر الميخ المصري على الميراج الإسرائيلي ... أي الطيارون المصريون الغارقون في الفاحشة على الراقصات وبنات الهوى اليهوديات واستمرت الحفلة إلى قبيل الفجر وعند الفجر كان ضرب المطارات لما نام العصاة في وحلهم وبعد أن تم لليهود ما أرادوا هرب اليهودي المدسوس مع أول طائرة !!! وحينها انتصر الميراج اليهودي على الميخ المصري على الحقيقة والله المستعان .



الثامنة عشر : حرب العاشر من رمضان (١٣٩٣) للهجرة :

أراد أنور السادات - رئيس مصر بعد عبد الناصر - تحرير سيناء التي احتلها اليهود في حرب (٦٧) م وهي ما تسمى بالنكسة فاتفق مع سوريا على خطة محكمة وهي القيام بعملية سرية مباغتة هدفها القيام بهجوم مشترك في لحظة واحدة لتحرير سيناء وغزة من طرف مصر وتحرير الجولان من جهة سوريا.

❖ **خط بارليف :** وكان اليهود قد أنشئوا خطأً دفاعياً صناعياً قوياً أنشئوه بعد نكسة (٦٧) بعد قناة السويس وهذا الخط الدفاعي هو المعروف بخط بارليف وهو حاجز مائي صناعي عليه زيت يشتعل باستمرار فلا يمكن عبوره أو السباحة فيه أو القفز فوقه يبلغ عرضه (٢٠٠) متر وعلى صفته الشرقية سور ترابي ارتفاعه (٢٠) متر ويوجد فيه (٣٥) حصناً مدفوناً في الأرض مقاوم لقصف الطائرات والمدافع وتحيط بهذا الخط حقول ألغام واسعة وأسلاك كثيفة ومرابض دبابات للدفاع عنه وتوجد فيه منصات للصواريخ مضادة للطائرات على امتداد هذا الخط لهذا كان اليهود مطمئنين ويظنون أنه لا يمكن اختراق هذا الخط بل كانوا يتفاخرون به ويزعمون أن اختراقه يحتاج إلى المهندسين الروس مع المهندسين الأمريكيين مع سلاح الهندسة المصري .

وقفه شجاعة من الملك فيصل بن عبد العزيز - رحمه الله تعالى

لما عزمت مصر وسوريا على تنفيذ الهجوم وقف إلى جانبيه الملك فيصل بن عبد العزيز عليه رحمة الله فأرسل دعماً مالياً لمصر للبدء في المعركة (٦٠٠) دولار وأعلن حرب النفط فاجتمع وزراء البترول العرب في الكويت وأصدروا قراراً خطيراً وهو تخفيض الإنتاج العربي من النفط بنسبة ٢٠ ٪ تم تخفيضه بنسبة ٥ ٪ بعد ذلك شهرياً حتى ينسحب اليهود من الأراضي المحتلة وقرروا قطع البترول عن الدول الواقفة إلى جانب اليهود وفي مقدمتها أمريكا - دمرها الله - وتضررت أمريكا جداً وارتفع سعر البترول في أمريكا بنسبة ٧٠ ٪ .

♦ بداية المعركة

و في العاشر من رمضان (١٣٩٣) للهجرة الموافق ٦ أكتوبر عام ١٩٧٣م قامت مصر وسوريا بمفاجأة دولة اليهود في يوم مقدس لديهم بهجوم مباغت وكانت معظم القوات اليهودية في عطلة وفي حالة استرخاء شديد بالإضافة إلى ما ذكرنا من اطمئنان اليهود بسبب خط بارليف وأنه لا يمكن لأي جيش عربي اختراقه فبدأ الهجوم السريع وتحت هتاف الله أكبر سقط خط بارليف في أقل من ٤٠ ساعة وفي أقل من ١٨ ساعة عبر الجيش المصري الخط وسيطر على القناة ولا تكاد تذكر خسائر الجيش المصري أثناء الهجوم وحصل النصر ومنّ الله على عباده وجنوده المؤمنين في مصر بهزيمة اليهود عبر المسلمون القناة بعد أن حطموا خط

بارليف وعلا التكبير في كل مكان من أرض المعركة وأذل المسلمون اليهود في هذه الحرب فكان النصر حليف الإيمان والطاعة.

دارت على سيناء معركة الوغى	فوق السهول وفي ربى وبطاح
وكتائب الإيمان تهتف كلها	(الله أكبر) فوق كل سلاح
لتدك بارليف النيم بقوة	طب الجراح بمبضع الجراح
فإذا (مسليمة) اليامة هارب	متكراً يعدو بمرط (سجاح)
وإذا (بئائر) العجوز بمأتم	ومناحة كبرى وسوء صياح
ما أفلتت دبابة من حتفها	(كوهين) أو (شالوم) أو (مزراحي)
(عساف ياجوري) أتى مستسلماً	بفريقه أملاً يوم سراح
وهناك في أعلى الهضاب مجند	كالليث تحت لوائه الصداح
(الله أكبر) زلزلت أركانهم	و كأنها يشدو بها ابن رياح

كان القرار في البداية السيطرة على القناة وخط بارليف فقط ثم تأتي مرحلة لا حقة للسيطرة على سيناء لكن الجيش المصري تفاجأ بسقوط خط بارليف بهذه السهولة فقررت القيادة المصرية بقيادة السادات التوغل وإكمال تحرير سيناء بينما رأى الشاذلي رئيس أركان الجيش المصري أن تتمهل القوات المصرية لكونها غير مستعدة لهذا وليس لها غطاء جوي للحماية خصوصاً مع قوة القوة الجوية اليهودية التي تتفوق على القوة الجوية المصرية ولكن القيادة المصرية أصرت ورفضت نصائح العسكريين وتوغلت القوات المصرية داخل سيناء وترك اليهود المجال مفتوحاً أمام توغل القوات المصرية ثم قامت بهجوم جوي مضاد دمرت

فيه ٢٥٠ دبابة ولم تستطع الطائرات المصرية التصدي لهذا الهجوم أما على الجانب السوري فقد استطاع الجيش السوري في نفس الوقت أن يدخل الجولان بعملية مفاجئة أيضاً وصعدت القوات العسكرية السورية على جبل الشيخ العملاق وأسقطت الحماية العسكرية اليهودية عنه .

♦ أمريكا تقف إلى جانب اليهود

وتحت هذه الظروف سارعت أمريكا - دمرها الله تعالى - لإنقاذ اليهود فأقامت جسراً جويّاً من الامداد لليهود بالعتاد العسكري الحديث والذخائر فلم يكن بين الطائرة التي تصل إلى اليهود محمّلة بذلك والطائرة التي بعدها إلا دقائق ووفرت لليهود المعلومات الكاملة عن تحركات جيش المسلمين عبر أقمارها الصناعية وبسبب توفر المعلومات والإمداد العسكري أقام اليهود جسوراً على القناة وعبرت قواتهم بواسطتها إلى الضفة الأخرى وبينما الإذاعات العربية تعلن الانتصار الكامل كان جيش اليهود يفتح ثغرة بالقناة ويعبرها إلى الجانب الآخر وسميت هذه الثغرة ثغرة (الدفرسوار) ثم استطاعت القوات اليهودية أن تدمر المضادات المصرية للطيران وصارت طائرات العدو تجول بالأجواء المصرية بدون أي مقاومة وبذلك أحكمت السيطرة على الجيش المصري في سيناء ثم حاصرت القوات اليهودية الإسماعيلية فقام الأبطال المصريون وأعلنوا الجهاد بعدما رأوا انهيار الجيش المصري وانطلقت كتائب المجاهدين من المساجد وكان المشايخ هم الذين ينظمون خطط الدفاع عن الإسماعيلية فعجز اليهود عن اقتحام المدينة وأما

القوات السورية التي سيطرت على الجولان في بداية المعركة فقد انهارت معنوياتها بعد انتشار أخبار انهيار الجيش المصري فبدأت الانسحاب من مرتفعات الجولان وجعلت تترك مواقعها بدون قتال فعاد اليهود وسيطروا على الجولان من جديد واحتلوا فوق ذلك ثمانية عشر قرية سورية جديدة وأصبحت الطريق إلى دمشق بدون مقاومة لكن اليهود قرروا عدم التوغل واكتفوا باحتلال الجولان وانتهت المعركة بخسائر كبيرة جداً لكل الأطراف غير أن هذه المعركة حققت انتصاراً - ولو جزئياً - للمسلمين وكسرت المقولة التي أشاعها اليهود عن جيشهم بأنه لا يقهر ورفعت كثيراً من معنويات الجندي المسلم في مواجهة اليهود بعد أن تحطمت هذه المعنويات في حرب ١٩٦٧ م والحقيقة أنه لولا التدخل الأمريكي والاستخبارات الأمريكية التي كانت تأتي بالمعلومات العسكرية الدقيقة لتحركات الجيوش الإسلامية إلى اليهود لولا ذلك بعد تقدير الله لكان الحديث عن هذه المعركة سيأخذ شكلاً آخر والله الأمر من قبل ومن بعد والحمد لله على كل حال .

❖ نتائج هذه الحرب :

بعد ذلك أصدر مجلس الأمن قراره رقم ٣٣٨ الداعي إلى إيقاف الحرب وبدء المحادثات ، ولكن كانت لهذه الحرب نتائج مهمة على الصعيد العسكري والسياسي منها :

١- فقد العرب أراضي إضافية في هذه الحرب، ولم يستطيعوا تحرير الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧.

٢- ارتفاع الروح المعنوية للجندي العربي بعد أن استطاع قهر الجيش اليهودي في بداية المعركة .

٣- تحطيم أسطورة "إسرائيل التي لا تقهر" وفتح المجال وإمكانية قيام حرب أخرى ضد اليهود .

٤- أثبت النفط العربي أنه سلاح فعال وعملي في مواجهة القوة اليهودية ومن يدعمها ، وهز اقتصاد العالم الغربي بقوة.

٥- أسفرت المفاوضات عن فتح باب المحادثات السلمية مع اليهود مقابل الانسحاب ، وتخلي العرب عن "لاءات" الخرطوم ^(١) ، وفتح الباب أمام الحلول السلمية.

(١) هو مؤتمر عقده رؤساء وملوك العرب في الخرطوم في شهر ٧ / ١٩٦٧م اشتهر بمؤتمر اللاءات الثلاث :

❖ - لا للصلح .

❖ - لا للتفاوض .

❖ - لا للاستسلام .

وذكر بعض المؤلفين أن "جولدماير" رئيسة وزراء إسرائيل آنذاك كانت تبكي أمام أخبار الهزائم التي حدثت لإسرائيل في بداية المعركة، وأيقن اليهود أنه لولا الدعم الأمريكي لهم لاختلفت نتائج المعركة كلياً.

ثم انتهت المفاوضات بين الطرفين باتفاقية ينسحب اليهود بناءً عليها ٣٠ كيلومتراً شرق القناة، وتنسحب مصر غرب القناة ماعدا قوة رمزية مصرية شرق القناة هي (٧٠٠٠) جندي مصري لمسافة ٨ كيلو متراً، وتفصل قوات الأمم المتحدة بين الطرفين في المساحة الباقية والتي تبلغ ٢٢ كيلومتراً وهي الكائنة شرق القناة والقوات الإسرائيلية المسيطرة على باقي سيناء ^(١) .

النصارى يقفون إلى جانب اليهود وكان ذلك من جملة أسباب النكبة :

وبينما بكت مصر أبناءها ومصيبتها وخسارتها الفادحة .. هللت الجماعة النصرانية وكنيستها القبطية وتبادلوا التهاني في سرية إعلانا بفرحتهم لانتكاسة المسلمين آملين دخول اليهود للعمق بالأراضي المصرية ..

بل وأعلنت بعض الكنائس عن فرحتها بدق الأجراس والتي لم يفهم المسلمون مغزاها.

خرجت مصر من النكسة تجر أذيال الهزيمة وتنعي أبناءها ورجالها وتضمد جراحها إثر هزة وصدمة عنيفة هزت كيان مصر كلها بل والأمة العربية وافقدت

(١) للاستزادة انظر: صلاح الأمة في علو الهمة ، أعلام وأقزام كلاهما للعفاني .

المصريين الثقة في أنفسهم وفي قادتهم المضللين وزعامتهم الواهية وأجهزة إعلام بارعة في سرد الأوهام والأكاذيب ..

لطمة قوية افقت مصر من سكرتها بعد أن سادتها الأهواء والشعارات والحفلات والفن .. لم تكن مجرد هزيمة عسكرية بل مهزلة بكل المقاييس ..
الوضع لا يحتمل السكوت على تفاصيلها . أصبحت الدولة بلا جيش .. بلا حماية .. عارية بلا غطاء .. والعدو على بضع كيلو مترات من العاصمة أوقفه الحذر من التوغل والزحف وسط تكدس سكاني قد يعرض جنوده للخطر ..
قيادات العدو تخشى على جنودها من سكان ومواطنين عزل وتضع احتمال تعرض جنودها لمخاطر الاندساس وسط تجمعات وبلاد تعداد سكانها كبير ..
وقيادات الحكومة والجيش المصري ألقت بفلذة اكبادها من خيرة شبابها ورجالها وجنودها العسكريين في جحيم دون حرب أو قتال أو حتى إطلاق رصاصة .. في ستة أيام قضى العدو على جميع المطارات والمنشآت العسكرية الهامة والفرعية وكثير من المؤسسات الهامة .. بل ودمرت بلاد وهجر مواطنيها وسلبت الأراضي بلا حرب وشرذ الآلاف من أبنائنا في مجاهل الصحراء بلا عتاد ولا مأوى ولا قيادة حكيمة ..

قيادات انشغلت بجوائز الفنانين والأدباء والشعارات والخطابات والثقافة الاشتراكية وحفلات أضواء المدينة عن مسؤولياتها وأماناتها ..

فاقت هزيمة مصر في الخسائر البشرية والإنشائية والأراضي كل التوقعات وفاقحت حتى أحلام العدو وكل التصورات ..

دخل الحزن والنواح كل بيت وغرقت العيون بالدموع كما غرقت البلاد بدماء آلاف القتلى بلا حرب .. كل تلك الأحداث وما زالت بعض أجراس الكنائس تقرع .. من فرط سعادتها لا تستطيع تأجيل مشاعر الفرح والشهامة ..

ووسط استغراب المواطنين الذين لم يألّفوا هذا المسلك والذي فسر بمكر ودهاء قيادات الكنيسة على أنه تعبير عن الحزن ..

ولإنقاذ ما يمكن إنقاذه وحفظ ماء الوجه قامت الحكومة المصرية بحملة عزل ومحاکمات لبعض أجهزة الدولة في الجيش والمخابرات .. وألّتي كشفت عن كم هائل من الفساد وانحراف تلك الأجهزة الهامة لحماية البلاد وانشغالها بساقيات الفن وحفلات ماجنة .. حيث تفرغ كبير مسؤولي المخابرات للإعداد لتلك الحفلات للترفيه عن القادة المهام وزوارهم .. وذاعت أسماء المتورطين في هذا الفساد من القائد الأعلى للجيش عبد الحكيم عامر وبطانته إلى صلاح نصر وقيادات مخابرات الدولة وأسماء محظوظيهم من الفنانين برلتي عبد الحميد ووردة واعتماد خورشيد اللّتي فضحت أحوال البلاد تلك الفترة في شهادتها أثناء المحاکمات وكذلك في كتابها الذي طبع بالثمانينات .. بل وأزلّفت أسماء كبار الفن في العالم العربي مثل كوكب الشرّ أم كلثوم وحفلاتها المكثفة اللّتي سبقت الهزيمة بأيام وسكرت قادة جيوش مصر وحكومتها ..

حدثت تغيرات بأجهزة الدولة وعينت لها قيادات جديدة للمخابرات بدأت بكل همّة فك رموز وشفرات الهزيمة وكل ما يتعلق بها أسبابها ودوافعها وتحليل مجريات أحداثها .. وتبين أن الأهداف العسكرية والمدنية التي ضربت شملت مواقع ومنشآت لا يمكن رصدّها ولا علمها إلاّ بعيون كثيرة متواجدة داخل البلاد .. ولا يكفي للحصول على المعلومات الخاصة بها حفنة من العملاء والجواسيس . فالضربات تعدت سيناء والقناة إلى العمق الاستراتيجي للبلاد متوجهه إلى الأهداف بطلعات جوية واعية مؤكدة لها الأهداف دون أي احتمال للخطأ .. بل إن توقيت الضربات كان يتزامن مع حفلات وانشغالات خاصة بقيادة النظام والجيش لا يلم بتفاصيلها إلاّ عيون كثيرة للعدو من المقرين للسلطة .. كما أن بعض المنشآت التي ضربت كانت في عمق وتواجد داخل البلاد لا يكشفها ولا يميزها عن المنشآت المحيطة بها أي مسح جوي مهما كانت دقة خرائطه إلاّ إذا كان على وعي تام بالمكان من مصادر أرضية تحدد له مكان الهدف ..

كثرت الألغاز ووضعت الشكوك محل اهتمام ودراسة .. فلاحداث هزيمة بهذا الحجم والدقة في إصابة الأهداف لابد أن يحتاج الأمر لمجموعات كبيرة العدد منظمة ومنتشرة داخل البلاد ..

درست أجهزة المخابرات بعناية ردود فعل الهزيمة في الشارع المصري .. ورفعت تقييم عن ملامح الحزن على الوجوه .. والذين كشف عن مشاعر زائفة للحزن على وجوه نسبة ليست محل تجاهل من الأقباط النصارى تسبقها نظرات

فرح وشماتة تنطلق من العيون وتكاد تنطق بها الشفاه بل وتتناقلها الهمسات في المجتمعات القبطية كلما اثرت مواضيع تتعلق بالهزيمة ..

وضعت الكنائس على اختلاف الملل وأماكن العبادة الخاصة بالأقليات بما فيهم اليهود تحت المراقبة الشديدة .. وقد كانت كنائس الأجانب واليهود ورعاياهم موضوعة تحت المراقبة الشديد خاصة بعد قيام الثورة التي اتخذت موقفا معاديا للاتجاه الغربي وحفاظا على أمنها لاعتقادها بولاء بقايا الأجانب ورعايا الكنائس التبشيرية للاستعمار ..

الجديد الذي أضيف للمراقبة هو الكنائس القبطية الأرثوذكسية والمناطق الأثرية وغيرها الخاصة بهم ..

ومع استمرار الضربات الجوية المتقطعة للعدو واستهدافها لمنشآت حيوية بعمق البلاد أزاحت أجهزة المخابرات الغموض وكشفت عن تواجد أجهزة تجسس بكنائس بالعاصمة وعدد من كنائس المحافظات بالوجه البحرى ومنها المنصورة وطنطا والقليوبية والزقازيق ..

وتبين استخدام رجال تلك الكنائس للأجهزة بحجرات خاصة ومواقع بالكنيسة وصفت على أنها مقدسة لا يدخلها العامة؛ فقط رجال الكنيسة ..

وقبض على بعض رجال الكنائس القبطية في حالة تلبس وسجلت ترددات الأجهزة ..

وعلى إثر اعتقالهم والقبض عليهم تناثرت الأخبار وطافت كل مصر وتناولت الصحافة بعضها .. وصدم المسلمون المصريون صدمة شديدة كان لها الأثر السيء في رؤيتهم للأقباط حيث تبدلت مفاهيم الثقة واستبدل بالشك والحذر وزاد الطين قطران ثبوت تورط بعض الأقباط النصارى العاملين بالجيش والخارجية في إمداد العدو بمعلومات لم يكن لتتاح له إلا من خلال مواقع هؤلاء الأقباط النصارى الوظيفية وضبطت بحوزتهم على أجهزة تصوير واستخدامات بغرض التجسس والتواصل مع العدو ..

وتلك الأمور والأخطاء الجسيمة التي وقعت بها الدولة الغير ملتزمة دينياً وألحقت بالبلاد الخراب والدمار تجنبها السلف الصالح من ولاة أمور المسلمين في عهد الخلافة .. بحظر إلحاق غير المسلمين بالجيش والمراكز والمناصب الهامة بالبلاد تجنباً لحدوث مثل تلك الأعمال التي قد تدمر البلاد .. والاكتفاء بتولى المسلمين أمور حماية البلاد وإعفاء أهل الكتاب منها مقابل دفعهم الجزية اتباعاً لمنهج الله والتزاماً بشريعته وهو سبحانه الاعلم بأمور خلقه .. وبسرعة البرق تناثرت الأقوال وزادتها الشائعات قصص وروايات جسمت من هول الصدمة ... وكعادة الحكومة اختصرت قضية تورط الكنيسة في أحداث التجسس والعمالة لصالح العدو واقتصرت الاتهام على مجموعة القساوسة ورجال الكنيسة الذين أدينوا متلبسين بحوزتهم وبكنائسهم أجهزة التصنت .. وكعادة المصريين

بطبائعهم المرنة وليونة وطيبة قلوبهم واستعدادهم الفطري لسيان الاساءة ..
تقبلوا مبررات الحكومة والكنيسة ومروا يتلك الأحداث مر الكرام ..^(١) .



(١) لعنةُ جماعةِ الأُمّةِ القِبْطِيَّةِ للكاتب: أَمَّجَاد .

وأخيراً : ماذا نستفيد من دراستنا لهذه الغزوات ؟

لاشك أن الناصر في هذه الغزوات والمعارك تتبين له أمور كثيرة ويستفيد منها دروساً عظيمة منها :

١- شدة عداوة الكفار للإسلام وأهله وأنهم كما أخبر الله في محكم التنزيل فقال سبحانه: ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنَّ آتِبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وقال سبحانه: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ١٠٩].

وقال سبحانه: ﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [النساء: ٨٩].

وقال سبحانه: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (٣٦) لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٧].

وقال سبحانه : ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَىٰ اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٣].

وقال سبحانه : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٧) يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [الصف: ٩].

فهذا هو وصف ربنا لهم وهو أعلم بهم والمتأخرون منهم كالمقدمين لم يتغير شيء من بغضهم وعدائهم للإسلام والمسلمين وإن حاول المتأخرون التضليل على من يصدقهم فنادوا بحقوق الإنسان وبالسلام العالمي وبغيرها من الشعارات التي لم تغير من واقع الكفار شيئاً وإن كانت للأسف قد غيرت من واقع كثير من المسلمين فصدقوها وركنوا إليها وصاروا يرددونها كالبيغاوات والله المستعان .

٢- معرفة ما حصل من البذل والتضحيات من الجانبين وأن دين الله لم يصل إلينا وإلى غيرنا بسهولة .

٣- بيان زيف الشعارات التضليلية الكاذبة التي انخدع بها كثير من المسلمين والتي من أشهرها :

- السلام العالمي ، الإنسانية (مضلة المنظّمات) وغيرهما ^(١)

٤ - صيانة عقيدة الولاء والبراء والحب في الله والبغض في الله هذه العقيدة العظيمة التي تتعرض لحرب شرسة من قبل اليهود والنصارى وأذئابهم فبدأ بعض المغفلين من المسلمين يحسن الظن بالكفار ويشني عليهم بأن عندهم رحمة وأخلاق حسنة ومعاملة طيبة يعاملون بها أهل الإسلام

بل قد حصل مثل هذا الشناء على الكافرين من كثير من علماء السوء فإننا لله وإنا إليه راجعون .

٥ - يضمحل اليأس الذي قد أصيب به بعض المسلمين ويتجدد الأمل في قلوبهم ويقوى حتى يصير يقيناً بأن المستقبل لهذا الدين العظيم والأدلة على هذا كثيرة جداً ولو لم يكن من ذلك إلا قوله سبحانه : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥].

وقوله سبحانه : ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ [غافر: ٥١].

(١) وقد تطرقت لهذه الأساليب الماكرة في كتابي (إبراز الحقائق في التحذير من الغزو الفكري وما اشتمل عليه من البوائق) يسر الله طبعه .

عن تميم بن أوس الداري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال : قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** : « ليلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل عزاً يعز الله به الإسلام وذلاً يذل الله به الكفر » (١) .

وعن أبي بن كعب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال : قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** : (بشر هذه الأمة بالسنة والرفعة والدين والنصر والتمكين في الأرض) (٢) .

عن حذيفة: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «تَكُونُ النَّبُوءَةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعَهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النَّبُوءَةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعَهَا إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاصِيًا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعَهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبَرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعَهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوءَةٍ» ثُمَّ سَكَتَ (٣) .

-
- (١) صحيح : أحمد (١٠٣ / ٤) واللفظ له والحاكم (٤٣٠ / ٤) والطبراني في " المعجم الكبير " (١ / ٢٢٦) وابن بشران في " الأمالي " (١ / ٦٠) وابن منده في " كتاب الإبان " (١ / ١٠٢) والحافظ عبد الغني المقدسي في " ذكر الإسلام " (٢ / ١٢٦) من طريق أحمد عن تميم الداري مرفوعاً وسنده صحيح، وصححه الحاكم أيضاً ووافقه الذهبي وقال المقدسي: " حديث حسن صحيح "، وله شاهدان: أحدهما عن المقداد بن الأسود أخرجه ابن منده والحاكم وسنده صحيح، والآخر عن أبي ثعلبة الخشني أخرجه الحاكم (١ / ٤٨٨) .
- (٢) حسن : أحمد (١٣٤ / ٥) واللفظ له والحاكم (٣١١ / ٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع .
- (٣) صحيح : أحمد (٢٧٣ / ٤) وهو في " الصحيحة " للعلامة الألباني (٥) .

٦- أن الحق والباطل في صراع مستمر منذ أن خلق الله أبانا آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها قدر الله ذلك وأراد له حكم عظمة جليلة علم بعضها من علم وجهلها من جهل.

❖ **تنبيه:** يجب ربط هذه الأحداث وغيرها بمقتضى أسماء الله عز وجل الحسنی وصفاته العلا ومقتضى سننه التي لا تتبدل، وعدم ربطها بالأمور المادية البحتة **يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى:** وأسماءه الحسنی تقتضي آثارها وتستلزمها استلزام المقتضي الموجب لموجبه ومقتضاه، فلا بد من ظهور آثارها في الوجود، فإن من أسمائه: الخلاق المقتضي لوجود الخلق، ومن أسمائه الرزاق المقتضي لوجود الرزق والمرزوق وكذلك الغفار والتواب والحكيم والعفو، وكذلك الرحمن الرحيم، وكذلك الحكم العدل إلى سائر الأسماء. ومنها الحكيم المستلزم لظهور حكمته في الوجود، والوجود متضمن لخلقه وأمره ﴿**ألا له الخلق والأمر تبارك الله ب العالمين**﴾ [الأعراف: ٥٤] ^(١) اهـ

فما أحوج المسلمين إلى تقوية هذه المفاهيم في قلوبهم ولا سيما في هذا الزمان الذي طغت فيه التفسيرات المادية للأحداث وأصبحنا لا نكاد نسمع في وسائل الإعلام والتوجيه والتثقيف من يربط الناس وما يجري عليهم من الأحداث بالله عز وجل وتفرد في التدبير والقوة والقدرة والقهر والحكمة والرحمة والغنى وغيرها من صفات الله عز وجل العلى وأسمائه الحسنی. كما لا نكاد نسمع من يربطها بسنن الله عز وجل في التغيير وسنته سبحانه في عقوبة العصاة والظالمين

وإهلاك الكافرين، وسننه سبحانه في نصره لعباده المؤمنين وانتصاره للمستضعفين.

ولو أن هذا المنهج المادي في النظرة للأحداث قد انحصر في أهل الكفر والإلحاد لم يكن غريباً لما يعيشونه من خواء عقيدي وروحي ولما يتقلبون فيه من ظلمات الكفر والتصورات وعمى القلوب والبصائر قال الله عز وجل في وصفهم: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الرعد: ١٩]، فهم قد عموا عن قدرة الله وعز وجل وقهره وعمى يترتب على كفرهم وظلمهم من العقوبات، وإنما الغريب أن تنتشر مثل هذه التفسيرات في إعلام المسلمين ومجتمعاتهم.

ولابد لي من الإشارة إلى أمر بالغ الأهمية، ذلك أننا نرى هذا التفسير الإسلامي للتاريخ يُقابل بالسخرية والتهكم من أولئك العلمانيين الذين نصبوا من أنفسهم دعاة للتقدم والتنوير، وحماة للمجتمع من شرور (الظلاميين) وهو أحد الأوصاف التي يطلقونها على دعاة الإسلام المنادين بالعودة إلى الشرع المطهر.

فنحن نذكر مثلاً أنه بعد وقوع الهزيمة في عام ١٩٦٧م، ساد شعور عام بأن سبب الهزيمة هو البعد عن الله تعالى، وخرج كثير من الغيورين ينادون بالعودة إلى الله وأنه لا سبيل إلى تحقيق النصر إلا بالرجوع إلى الكتاب والسنة. وهذا لاشك أنه هو الصواب لكن هذا التفسير لم يرق لأولئك الذين أشرنا إليهم من العلمانيين وأصحاب الفكر اليساري، فخرجت تحليلاتهم تسخر من هذا التفسير وتصفه بالجهل والتخلف .

يقول الصحافي اليساري عادل حمودة متحدثاً عن المدة التي أعقبت النكسة :...

وخرجت بعض قوى اليمين ... وهي تفسر الهزيمة تفسيراً كان بينه وبين المنطق والعقل والواقع مسافة من عدم الفهم ليست قصيرة، فالهزيمة عندها لم تقع بسبب صراعات السلطة، وفساد الجيش، أو بالتحديد فساد قيادته، وانعدام الخبرة، وضعف التدريب والتخطيط، إلخ الأسباب التي كشفت فيما بعد، وإنما وقعت الهزيمة لأننا نسينا الله ،ولأننا فقدنا اتصالنا بالسماء ،ولأننا تركنا طريق الإسلام ومشينا في طريق الشيطان ،إلخ هذه المقولات التي لا تزال تتردد حتى الآن وفي مناسبات مختلفة ^(١) .

ونحن نقول لهذا الكاتب وأمثاله إن هذه الأسباب التي ذكرتها للهزيمة إنما هي كالأعراض لمرض أخطر منها وأعظم ،وهو البعد عن الله ومخالفة أمره، فلو كان قادة البلاد في تلك المدة ممثلين لأوامر الله لطبقوا شرعه، ولا تمثلوا أمره في ضرورة إعداد العدة للعدو، ولنصبوا على الجيش من يصلح له، لكنهم لما عصوا أمر الله نسوا ذلك كله، فاهتموا بأنفسهم ومصالحهم الشخصية وأهملوا المصلحة العامة، فأضروا بالبلاد والعباد .

ثم لماذا ينزعج هذا المخذول وأمثاله من هذه التفسيرات؟

هل هو الخوف من أن يرجع الناس إلى ربهم أم ماذا؟

نعوذ بالله من الخذلان.

(١) الهجرة إلى العنف (ص: ٩٩).

والحمد لله رب العالمين

وسبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

كان الفراغ من مراجعة هذا البحث قبل ظهر الخميس ٢٢ صفر ١٤٤٥ هـ الموافق
٧ / ٩ / ٢٠١٣ م

أبو العباس / منصور بن عبده بن أحمد المجيدي

اليمن - أبين - جعار - مسجد أبي بكر الصديق

هاتف / ٧٧٦٤٩٥٤٨٨



المحتويات



المحتويات

٣	تقريظ الشيخ / فيصل الحاشدي لكتاب تحفة الإخوان.....
٥	مقدمة المؤلف.....
٨	أسباب طرق هذا الموضوع.....
١١	الفصل الأول.....
١٢	أولاً: تعريف التمثيل :.....
١٦	المعنى الثاني :.....
١٧	الممثلون من أشد الناس عذاباً يوم القيامة.....
١٧	شبهة مع الرد عليها.....
٢٠	إمام الممثلين.....
٢٢	أصل التمثيل وبدايته.....
٢٣	التمثيل وظيفه القروء:.....
٢٤	مفاسد المسلسلات والتمثيلات.....
٣٩	خطر المسلسلات والتمثيلات عموماً.....

- بطولة الممثل الزائفة مأساة عظيمة..... ٥٤
- خطر ما يُسمى ب (المسلسلات الإسلامية) خصوصاً :..... ٥٨
- الفصل الثاني..... ٧٥
- الغزوات المذكورة في هذا البحث هي :..... ٧٧
- الأولى : غزوة بدر الكبرى..... ٧٨
- بداية المعركة..... ٩١
- نهاية مفرحة..... ٩٩
- الثانية : غزوة فتح مكة (الفتح الأعظم)..... ١١٥
- الثالثة : معركة الجسر :..... ١٣٩
- الرابعة : معركة البويب ^٠ :..... ١٤٥
- الخامسة : فتح الثُّوبَة (السودان)..... ١٥٠
- السادسة : فتح جزيرة رُودِس..... ١٥٥
- السابعة : فتح الأندلس..... ١٦١
- الثامنة : معركة بلاط الشهداء ^٠..... ١٨٢

التاسعة : فتح عَمُورِيَّة ^٥	١٨٩
العاشر : معركة حارم ^٥	٢٠٥
الحادية عشرة : معركة عين جالوت ^٥	٢١٧
الثانية عشرة : فتح أرمينيا ^٥ الصغرى ^٥ سنة ٦٧٣ هـ / ١٢٧٦ م :	٢٣٩
الثالثة عشر : معركة (شَقْحَب) ^٥ أو معركة "مرج الصُّفَر" ^٥ :	٢٤٦
الرابعة عشر : فتح البوسنة والهرسك ^٥ :	٢٦٠
الخامسة عشر : فتح بلغراد ^٥ - عاصمة الصرب ويقال لها بلجراد :	٢٦٩
السادسة عشر : معركة كبرى للمسلمين في الحبشة سنة ٩٣٥ هـ :	٢٧١
السابعة عشر : معركة العاشر من رمضان (١٣٩٣) هجرية (١٩٧٣) م بين (مصر وسوريا) من جهة وبين (اليهود) من جهة أخرى	٢٧٧
الثامنة عشر : حرب العاشر من رمضان (١٣٩٣) للهجرة :	٢٨٥
وقفه شجاعة من الملك فيصل بن عبد العزيز - رحمه الله تعالى	٢٨٦
وأخيراً : ماذا نستفيد من دراستنا لهذه الغزوات ؟	٢٩٨
المحتويات	٣٠٧

تَجَمُّدٌ